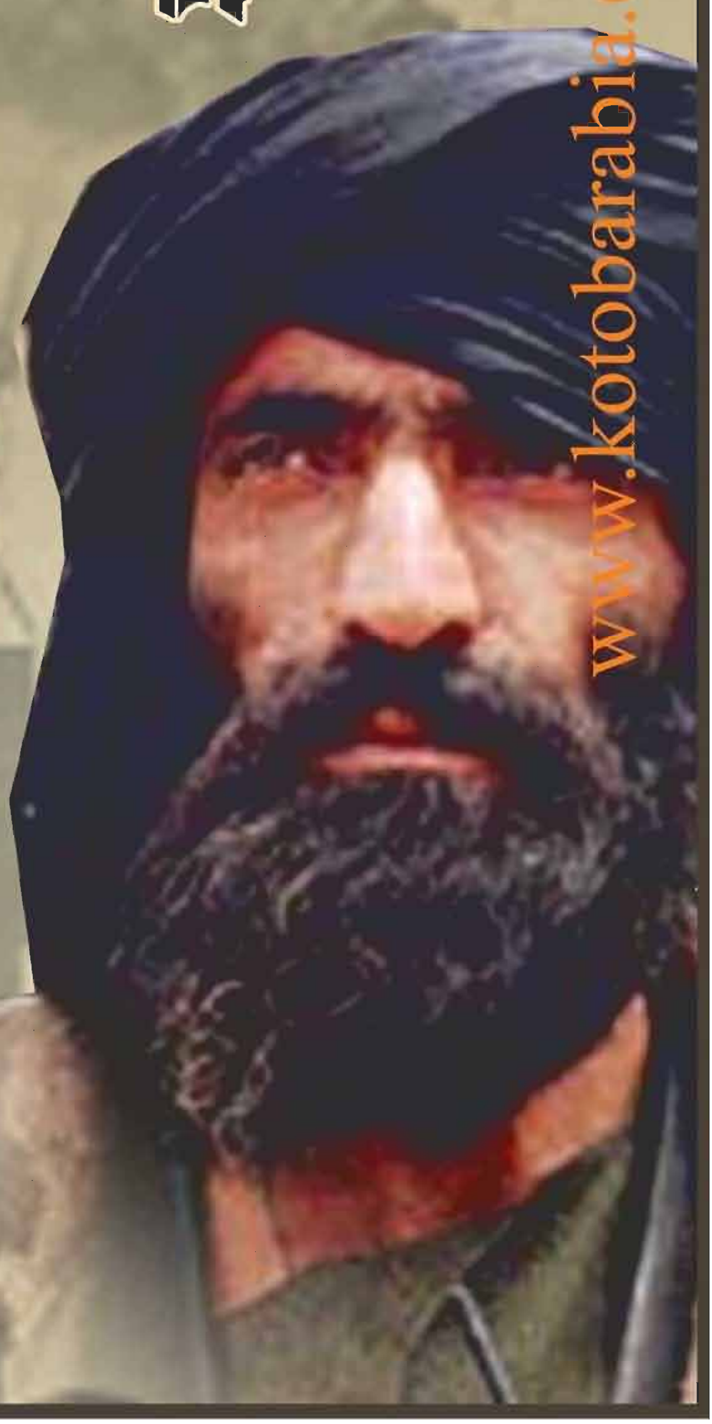
الإرهاب والتعصب عبر التاريخ



رائد قاسم

الإرهاب والتعصب

عبر التاريـــــــــخ

(دراسة تحليلية تاريخية لظاهرتي الإرهاب والتعصب في السلوك البشري والمجتمعات الإنسانية حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م)

رائد قاسم

٢٠٠٥م

الفهرس

إهداء

إلى شهداء الإرهاب في كل مكان من هذا العالم المترامي، إلى كافة البشر الذين سحقوا بآلة الموت والدمار، إلى الأطفال الذين حرموا البسمة من دون جرم أو خطيئة، إلى المرأة التي فقدت الأب والأخ والحبيب، إلى كل إنسان يؤمن بالإنسانية وإن الأرض لجميع البشر دون استثناء.. أهديكم جميعا عبقات الهيام في عالم يصارع من أجل البقاء...

المؤلف

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن الله عز وجل يعذب ستة في ستة، العرب بالعصبية، والدهاقية بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل.

بحار الأنوار ج٦٦ ص٢٧٠

بِسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيمِ

تمهيد

يعتبر الإرهاب في عالم اليوم آفة خطيرة تهدد البشرية بكافة تنظيماتها ومؤسساتها وتجمعاتها، ذلك أن الإرهاب وما يحويه في الغالبية العظمى من الأحيان من ظواهر معتمة كالتعصب والغلو والانغلاق والتطرف يدفع بالذات البشرية إلى وأد كل قيمة جميلة يانعة في الحياة من اجل تحقيق الهدف الأناني الشرير دون ضوابط تنبع من الفطرة السوية والقيم الإنسانية المتصلة بها.

إن الإرهاب لم يكن وليد هذا العصر، وإنما استفحل أمره في القرن العشرين لتقاطعه المركزي مع الحضارة والمدنية، والنظام الحقوقي والاقتصادي والسياسي الدولي، فمن قراءة سريعة لتاريخ البشرية نجد أن الإرهاب صاحب كافة مراحل حياة البشر على الأرض سواء قبل ظهور الأديان السماوية أو بعدها.

ولكل عصر عوامل معينة ومسببات بذاتها لظهور وبروز الإرهاب كأيدلوجية وفعل ورد فعل فردي أو جماعي، قد تتقاطع مع عوامل ومسببات في عصور سابقة أو لاحقة، إلا أن الإرهاب في نهاية الأمر يظل ظاهرة إنسانية منبوذة بكافة ظواهرها المتصلة لاسيما التعصب الذي يعتبره من أهم وأوضح هذه الظواهر المصاحبة.

والأمة الإسلامية العربية عبر تاريخها الطويل لم تكن بمأمن سواء في الجاهلية أو في الإسلام من الإرهاب والتعصب، فكان أن كتبت صفحات

عديدة من تاريخها بالدماء التي أريقت إرهابا وتعصبا، ولكن هل يعني ذلك أن العرب والمسلمين إرهابيين ؟

وهل يعني ذلك أن الإسلام كدين سماوي كريم يدعو أتباعه إلى الإرهاب والتعصب قتلُ وإبادة وترويعا وسحقا للكرامة لاسيما مع غير المسلمين من أتباع الديانات السماوية والوضعية الأخرى ؟

ما سر بروز المنظمات الإرهابية الإسلامية في العالم واتخاذها الإرهاب وتميزها بالتعصب والتطرف في حركتها الذائبة نحو هدفها الأيدلوجي ؟

أسئلة كثيرة في هذا المضمار، يحاول هذا الكتاب الإجابة عنها إلا أن هناك ثمة ملاحظات في غاية الأهمية:

الأولى: أن الغرب أثناء المد الشيوعي ساهم في اتساع القاعدة الشعبية والتنظيمية للحركات الإسلامية خاصة السنية منها، وبعد زوال النظام الشيوعي لم يستطع النظام العربي الرسمي احتضان الحركات الإسلامية، فكانت النتيجة الحتمية، مواجهة دامية بين تلك الحركات وأنظمتها.

ثانيا: الدول العربية والغربية ساعدت تلك الحركات في مواجهة الشيوعية وغضة الطرف تماما عن أيدلوجيتها الرافضة للآخر، وتعصبها الشديد، ودمويتها في حرب العدو، وكل ذلك من اجل محاربة الشيوعية دون حسبان خطر انقلاب تلك المنظمات على مجتمعاتنا وهذا ما حدث في نهاية الأمر.

ثالثا: في البلدان الغربية تتواجد العديد من الحركات المتطرفة والمتعصبة والإرهابية أيضا، إلا أنها خلايا نائمة، وذلك لحيوية واتساع النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي وشموليته وعدم اقتصاره على فئة معينة من الشعب. إن عمليات التغيير والتطوير في البلدان الغربية ذات إيقاعات سريعة ومتعاقبة سواء على الصعيد السياسي أو في النظم الاجتماعية والاقتصادية، لأنها دول مؤسساتية، الاعتبار في كينونتها للحركة والتنظيم لا للفرد أو العائلة أو الحزب الأوحد، بينما ترزح الشعوب العربية في ظل أنظمة سياسية ودينية واجتماعية شمولية، لا تنموا فيها قيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، بل على النقيض من ذلك تماما، يكون الولاء فيها للرمز لا للقيم، بل الرمز مبلور القيم

وصانعها، وتتوارى القيم الإنسانية المتفق عليها لتحل محلها قيم متخلفة، وأيدلوجيات متعفنة، تسيرها شخصيات سياسية ودينية مستبدة.

إن قيم الحرية والديمقراطية لا تنموا في المجتمعات الشرقية والعربية لأنها تعارض نظام يسيطر عليه جناحان، الأول الأسرة المالكة أو الحزب الحاكم،والثاني يسيطر عليه علماء الدين وأتباعهم، فالنظام السياسي يسيطر على الأجساد والأموال، بينما يسيطر علماء الدين على الأرواح والعقول والأفكار، أما قيم الديمقراطية والحرية فتشكل خطرا جليا على كلا النظامين الحاكمين في المجتمعات الإسلامية والعربية، لذلك يعتمد النظام السياسي الحاكم إلى محاولة تزييف أنشطته في الداخل والخارج من اجل تقديمها على أنها تمثل نتاج الديمقراطية والحرية التي ينادى بها العالم المتحضر، بينما يعمد النظام الديني إلى تطعيم عقول ونفوس العوام بالأوهام لحملها على رفض آخر نتاج إنساني تعيشه البشرية في ألفيتها الثالثة.

إنها حياة عشوائية متخلفة، لا يحكمها قانون أو نظام، تلك التي تعيشها الشعوب العربية والإسلامية ومنها خرج الإرهاب الذي يسعى للقضاء على ما تبقى من إنسانية البشر في هذا العصر.

عند استعراض تاريخ الشعوب والأمم في كافة أنحاء العالم، خاصة الشعوب الغربية، نجد الإرهاب والتعصب ملازما لكافة مراحل الصراع سواء كان سياسيا أو دينيا أو اقتصاديا، وعند تراجعه وانكفائه وبالتحديد في القرن الماضي، لا بد أن نجد أن قيم الحرية والانفتاح ساهمت في امتصاص ظاهرة الإرهاب وجعلتها تعيش في دائرة ضيقة ومغلقة لأبعد الحدود، لقد شلت فاعليتها، وحجمت من قدرتها على النشاط والحركة بفعل ديناميكية النظام القائم في كافة المجالات.

ومن قراءة سريعة وحية لتاريخ الأمتين العربية والأوربية في العصور الوسيطة يلاحظ الباحث أنهما تشتركان في بروز ظاهرة الإرهاب بكافة تفاعلاتها، من خلال النظام السياسي المستبد والسلطة المقيتة لرجال الدين، وعندما تخلصت الشعوب الغربية من كلا النظامين (السلطة الملكية المطلقة

وسلطة الكنيسة) وتطور النظام السياسي من الاستبداد إلى دولة المؤسسات، تراجعت الحركات الإرهابية،وعندما تم حل المشاكل السياسية العالقة وتقدمت الدول القطرية صناعيا وازدهرت اقتصاديا تراجعت حدة الأنشطة الإرهابية في أوربا والعالم المتحضر.

وإذا ما كان الغرب والعالم اجمع يريد الاستقرار والنماء دون حادي عشر من سبتمبر آخر، لا بد أن يساعد في خلق نظام عربي جديد، يأخذ على عاتقه بناء حياة جديدة لشعوب عاشت أجيال متعاقبة في ظل أقسى الأنظمة، وأكثرها تخلفا، وأشدها قهرا واضطهادا للإنسان.

حينها فقط ستحترق كافة الشعارات التي تتغنى با الأنظمة والمنظمات الإرهابية في العالمين الإسلامي و العربي، وستشرق شمس جديدة هي شمس الحرية والعدالة والمساواة.

رائد قاسم

٢٠٠٥م

الفصل الأول:

الإرهاب... جذور التاريخ واللغة

يرجح البعض إلى أن كلمة (إرهاب) ظهرت لأول مرة عام ١٧٩٤م إبان الثورة الفرنسية، ويشير بوغدان زلاتاريك إلى لجنة السلامة الوطنية التي شكلها (روبسبير) ورفاقه التابعة لمحكمة الرهبة والتي عرفت بالتعاطي مع كافة أشكال القمع والاضطهاد فيما لم يكن مألوفا من قبل مما حدا بالعديد من المؤرخين للقول بان هذا المصطلح كان منطلقه من فرنسا في القرن الثامن عشر الميلادي.

وكلمة (إرهاب) مشتقة من كلمات لاتينية بمعنى (جعله يرتعد) (يرتجف) ومنها الاشتقاقات (ارهب) (إرهابي) (terrorism) وتدل على استخدام أساليب إرهابية من قبل أشخاص عاديين أو ضعفاء، أي ليسوا في مراكز متقدمة في السلطة، إلا أن تعريف الإرهاب فيما بعد تعرض للغموض والابتذال تبعا للأيدلوجيات المتعارضة، والمصالح المتضاربة، والثقافات المتنوعة.

يرى كارل ماركس أن ماهية الإرهاب ليست سوى عنف ثوري مشروع ووصفه بـ(قاطرة التاريخ)، وان الطبقات الإقطاعية المستبدة التي تتمتع بالسلطة والنفوذ لن تتنازل عن مواقعها إلا إذا مورس عليها العنف بكافة طرقه ومنها المؤدية إلى الخوف والرهبة والفزع، ويرى (تروتسكي) أن الإرهاب عنف ايجابي في العصور الثورية لأنه موجها ضد فئات قوية حاكمة تحتكر السلطة بكافة عناصرها ومقوماتها، وتستفرد بالمقدرات الاقتصادية والسياسية

والإعلامية للشعوب.

وعلى مدى ٥٠ عاما حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لم يستطع العالم رغم التقدم الهائل لاسيما في الحقول القانونية والحقوقية الاتفاق على تعريف يتمتع بقدر من اليقين، وعدم المزج من الناحية القانونية وبالتالية السياسية بين الإرهاب كممارسة غير مشروعة في إطلاقها، وبين العنف المشروع المتمثل في حق الشعوب في مقاومة قوات الاحتلال، أو الأنظمة غير الشرعية، وذلك لأسباب عديدة منها:

١ ـ أن العالم تسوده مصالح متناقضة، فالجهة التي تمارس العنف لتحقيق أغراضها تعتبر إرهابية في نظر التي تهدد مصالحها، بينما تعتبرها دول أخرى منظمات تناضل من اجل حق مشروع، على سبيل المثال، القضية الفلسطينية، فعندما تعتبر الدول العربية أن النضال المسلح للمنظمات الفلسطينية حقا مشروع تقره القوانين والأعراف الدولية والديانات السماوية، وان الاحتلال الإسرائيلي احتلال غير شرعي، تقف الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل في اتهامها للمنظمات الفلسطينية بأنها منظمات إرهابية وان من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها بكل ما أوتيت من قوة، وذلك لوجود قوى متعاطفة مع إسرائيل داخل الولايات المتحدة تضغط اقتصاديا وسياسيا وإعلاميا باتجاه مساندة الدولة العبرية بحيث يصعب على أي إدارة أمريكية تجاوزها للفوز برئاسة الجمهورية والسيطرة على مقاليد السلطة في البيت الأبيض دون الالتفات بشكل مطلق لأية اعتبارات أخلاقية أو قانونية.

هذا ما كان سائدا في فترة الثمانينات عندما دعمت الاستخبارات الأمريكية فلول المجاهدين في أفغانستان ضد الاحتلال السوفييتي، وأمدتهم بالسلاح، وأشارت في أجهزة الإعلام العالمي إلى كون قضيتهم عادلة ووصفتهم بالمناضلين ضد الاحتلام، وان ما يقومون به ليس إرهابا، ولكنها غضت الطرف عن مجازر القوات الروسية في الشيشان، واعتبرت المقاومين هناك إرهابيين.

٢ ـ يعيش العالم بين عقائد مختلفة، والعديد من القوى تتخذ من

عقائدها دستورا لنهضتها، ومرجعا سياسيا وأخلاقيا لحركتها، ومن خلال هذه العقيدة يتحدد مفهوم الإرهاب في نظامها الثقافي والإعلامي، فإسرائيل كدولة يهودية تعتقد اعتقادا جازما بأن ارض فلسطين ملك لليهود وحدهم دون غيرهم من البشر لاسيما العرب، في المقابل يعتقد العرب وفقا لاعتباراتم الدينية والتاريخية، أن فلسطين أرضا محتلة، وحقا عربيا إسلاميا مغتصب، واليهود ليسوا سوى كيان غاصب، ومقاومتهم حقا مطلق غير منقوص تؤكده الشرائع السماوية والأرضية.

هذا التباين العقائدي بين الطرفين، ينتج عنه خلافا في التشخيص السياسي والقانوني، فعندما تاجم منظمة فلسطينية يهود، سواء كانوا مدنيين أم عسكريين باعتبارهم محتلين، يعلن اليهود بأنم تعرضوا لعملية إرهابية، لاسيما وأنا تحت عنوان هدف غير قانوني أو أخلاقي يتمثل في محاولة إخراجهم من أرضهم وتدمير دولة إسرائيل، التي تعترف با الأمم المتحدة، وانه ليس إرهابا بل دفاعا عن النفس كافة التدابير الأمنية والعسكرية والسياسية التي سوف تتخذها دولة إسرائيل بما فيها ملاحقة أرباب المنظمات الفلسطينية ومنتسبيها قتلا واعتقالا، وإغلاق الحدود الدولية، وإحكام الحصار على المدن الفلسطينية،وإطلاق النار العشوائي الذي يتسبب في سقوط ضحايا مدنيين، بينما يرى الجانب الآخر إن كافة إشكال المقاومة حقا لا غبار عليه، ولا بد لدول العالم الحر من دعمه، لأنه حق مقاومة شرعي يهدف إلى الحرية والاستقلال.

٣ ـ بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وانيار المعسكر الشيوعي، وسيادة الرأسمالية، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى وحيدة في العالم، بذات هذه الأخيرة مع حلفائها الغربيين، بالسيطرة على الجهاز التشريعي والقانوني والاقتصادي العالمي، ومن خلاله قامت بإنشاء إستراتيجية توافقيه تدف إلى التعتيم والضبابية عبر إطلاق الصفة الشمولية على كل الأعمال المشروعة والإرهابية وعدم النظر إلى التشريعات الدولية التي ترتكز على مبادئ متفق عليها كحق تقرير المصير ونبذ الأنظمة الشمولية والعنصرية، والتعتيم على

البيئة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المولدة للإرهاب نظرا لارتباطها بمصالح حيوية مع القوى العظمى.

ونظر لتوجيه أجهزة هذا النظام في عملية استغلال دولية للموارد الطبيعية والكفاءات البشرية تتمثل بالسيطرة على مقدرات الشعوب وحرمان العديد منها من حق التنمية، وعدم النظر بعين الاعتبار لمصالح الشعوب المتضررة[1]، فقد نشئت فجوات حضارية بين العالم الغني، والعالم الفقير، وتكدست الثروات الهائلة في جيوب دول معدودة وأفراد معد وديين، مما أذى إلى تضارب في المصالح السياسية وتناقض في القيم الإنسانية، والمسبقات الثقافية، مما دفع بالعديد من الدول والمنظمات الدولية حول العالم إلى معاداة السياسة الأمريكية على وجه الخصوص باعتبارها زعيمة الحضارة الرأسمالية بلا منازع، وعقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر دعت إدارة الرئيس الأمريكي بوش إلى محاربة الفقر والأمية، وحق الدول الفقيرة في التنمية، وان من واجب الدول الغنية مساعدتا في ذلك، وتحدث عن حق شعوبا في خدمات صحية وتعليمية واجتماعية جيدة.

تعريف الإرهاب

برزت عدة تعاريف للإرهاب من منطلقات أيدلوجية وسياسية ولغوية مختلفة من أهمها ما يلي:

١ ـ تعريف الإرهاب في قاموس أكسفورد: الإرهاب هو: حكم عن طريق التهديد كما وجهه ونفذه الحزب الموجود في السلطة في فرنسا في أوائل عهد الثورة الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩٤).

نلاحظ أن هذا التعريف قاصر على الجهة الممارسة للإرهاب، وهي الحكومة أو الحزب إبان الثورة الفرنسية، نظرا لاقترافها أبشع الجرائم وقمع

---

(١) يقول «ريمون آرون» احد أقطاب مدرسة الحضارة الغربية الحديثة: «ليس هنالك من حضارة سوى الحضارة الغربية، ويجب القضاء نهائيا على كل من يفكر بمسها بسوء، لأنها من تراث الدين اليهودي ـ المسيحي، وهي الحضارة اليونانية الإغريقية الأوروبية التي يجب أن يقبل بها العالم لأنها متفوقة على غيرها».

المعارضة عن طري التصفية الجسدية وتدمير البني التحتية للمناطق المنتفضة، وشن حملات اعتقالات تعسفية، دون آليات قانونية، وإعدامات بالجملة من دون محاكمة لكل من يثبت أو يشك في كونه معارضا للسلطات، وحرمان المناطق المنتفضة من مستلزمات الحياة الأساسية كالغداء والماء والدواء، ونشر المرتزقة والقناصة للقتل والاغتصاب العشوائي بهدف الترويع وثني عامة الشعب عن مناصرة الثورة.

يكمن النقص في هذا التعريف في كونه مقتصرا على الجهة الممارسة للإرهاب ولم يتصدى بالذكر للجهة الممارس ضدها، ولم يحدد بدقة الدافع لممارسة النشاط الإرهابي إنما يدركه القارئ بالبداهة عندما يطلع على تاريخ الثورة الفرنسية.

إلا أن قاموس أكسفورد جاء بتعريف آخر للإرهاب «استخدام العنف والتخويف بحجة خاصة لتحقيق أغراض سياسية».

إلا انه يركز على إرهاب الأفراد أو المنظمات أو الأحزاب ولم يتعاط مع إرهاب الحكومات ضد الأحزاب أو المنظمات الثورية أو السكان المدنيين، وصفوة الملاحظات على التعريف الوارد في قاموس أكسفورد ما يلي:

١ ـ اقتصار التعريف الأول على الحالة الفرنسية رغم الفواصل الزمنية بين القاموس والثور ة الفرنسية.

٢ ـ إغفال القاموس في تعريفه الثاني إرهاب الحكومات ضد الأفراد أو المنظمات.

٣ ـ لم يوضح القاموس في تعريفه الثاني دافع المنظمات أو الأفراد لممارسة الإرهاب ضد الحكومة.

إن تعريف أكسفورد للإرهاب جاء مضطربا قد يكون نتيجة لظرف سياسي وثقافي خاص في الملكة المتحدة، تمثلت فيه الحالة الفرنسية بكل قوة لاعتبارات ثقافية دون النظر لبقية أنحاء العالم.

٢ ـ التعريف الأمريكي للإرهاب:

أ ـ تعريف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية: عرفت الوكالة في

عام ١٩٨٠م الإرهاب على انه «التهديد الناشئ عن عنف من قبل أفراد آو جماعات».

ب ـ تعريف مكتب التحقيقات الفدرالي: عرفه المكتب عام ١٩٨٣م على انه «عمل عنيف أو عمل يشكل خطرا على الحياة الإنسانية وينتهك حرمة القوانين الجنائية في أية دولة».

ت ـ تعريف وزارة العدل الأمريكية عام ١٩٤٨م «الإرهاب أسلوب جنائي عنيف يقصد به بوضوح التأثير على حكومة ما عن طريق الاغتيال أو الخطف»

ث ـ تعريف الجيش الأمريكي عام ١٩٨٣م «الاستعمال أو التهديد بالاستعمال غير المشروع للقوة أو العنف من قبل منظمة ثورية».

ج ـ تعريف وزارة الدفاع «الاستعمال أو التهديد غير المشروع للقوة للأشخاص أو الأموال غالبا لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عقائدية».

ح ـ تعريف وزارة الخارجية عام ١٩٨٨ «عنف ذو باعث سياسي يرتكب عن سابق تصور و تصميم ضد أهداف غير حربية من قبل مجموعات وطنية فرعية أو عملاء دولة سريين و يقصد به إعادة التأثير على جمهور ما».

خ ـ تعريف فريق المهمات الخاصة التابع لنائب الرئيس الأمريكي عام ١٩٨٨م «في سعيهم للقضاء على الحرية و الديمقراطية، يتخذ الإرهابيون أهدافهم من غير المحاربين عن عمد لتحقيق أغرضهم الذاتية الخاصة، فهم يقتلون و يشوهون الرجال و النساء و الأطفال العزل. كما يقدمون عمداً على قتل القضاة، ومراسلي الصحف والرسميين المنتخبين، والإداريين الحكوميين، والقادة النقابيين ورجال الشرطة وغيره ممن يدافعون عن قيم المجتمع».

الجدير بالذكر أن تعريف الإرهاب فيما سبق لم يصدر

من قبل مجمع التشريع الأمريكي، وإنما صدرت من مراكز اتخاذ القرار، ومؤسسات الأمن السياسي والعسكري، وجميعها بدون استثناء أغفلت إرهاب الحكومة ضد الأفراد أو الجماعات أو المنظمات، وجردت من عناصرها القانونية، لذلك فإنها تعبر عن وجهة نظر النظام الأمريكي القائمة على المصالح

الإستراتيجية والقومية للولايات المتحدة فقط.

في هذا المضمار أجرت مجلة الشاهد السياسي مقابلة مع البروفيسور نوام تشومكسى من معهد التكنولوجيا في جامعة «كامبريدج» بمساشوستش بالولايات المتحدة وكان عصب اللقاء عن ظاهرة الإرهاب، وقد عرفه البروفسير الأمريكي على انه «محاولة لإخضاع أو قسر السكان المدنيين أو حكومة ما، عن طريق الاغتيال أو الخطف أو أعمال العنف، وذلك لتحقيق أهداف سياسية» وأضاف قائلا : وهناك تعريف آخر ويأتي في نطاق مكافحة ما تسميه الولايات المتحدة التمرد و العصيان الذي تلتزم به الولايات المتحدة بشكل رسمي وتدخل في قائمة المتمردين العاصين دولاً أخرى ككوبا مثلاً ونيكارجوا، قد نلنا بفضل ما اتخذناه على الجبهتين من إجراءات لقمعهما تنديداً من محكمة العدالة الدولية بتهمة ارتكاب الإرهاب الدولي. المشاهد: لقد تكلمت حتى الآن عن تعريف الولايات المتحدة الرسمي للإرهاب، كيف تعرفه أنت كأكاديمي و محلل سياسي مرموق؟ أو بالأحرى هل هناك ازدواجية في المفهوم؟ هل هناك أكثر من معيار؟

تشومكسى: إنه معيار واحد، ترى كل دولة أن الإرهاب هو ما يرتكبه الآخرون فحسب لقد ضم اجتماع شرم الشيخ مثلاً بعض أهم قياديي ألإرهاب في العالم، ومع ذلك كان التنديد بالإرهاب الصادر عن آخرين شديداً ولو تحقق اجتماع قمة مماثلة لقمة «شرم الشيخ» في دمشق وحضرته كل من ليبيا و السودان وإيران وندد البيان الصادر عنهم بالإرهاب بقوة وبنفس بريق بيان «شرم الشيخ» نفسه، نعم الإرهاب بنظرنا هو ما يرتكبه الطرف الآخر فقط بغض النظر عما نفعله نحن[١].

٣ـ تعريف مكتب جمهورية ألمانيا الاتحادية لحماية الدستور عام ١٩٨٥م «الإرهاب هو كفاح موجه نحو أهداف سياسية يقصد تحقيقها بواسطة الهجوم على أرواح وممتلكات أشخاص آخرين وخصوصا بواسطة

---

(١) المشاهد السياسي العدد الثالث ٣١ مارس ١٩٩٦ ص ١٠ ص ١١.

جرائم قاسية».

لم يحدد هذا التعريف الجهة التي تمارس الإرهاب من اجل تحقيق أهدافها السياسية، فهل هي المنظمات الخارجة على القانون؟ أم هي السلطة؟ وما معيار الخروج على القانون؟ وما هو هذا القانون؟ هل هو الذي أقرته السلطة التنفيذية دون الرجع للسلطتين القضائية والتشريعية؟ ودون الاتصال الاشتراعي بالمعايير المتفق عليها دوليا؟ أم انه ذلك القانون المبني على مقررات الهيئات التشريعية والقضائية المنتخبة؟

٣ ـ تعريف الإرهاب في دائرة المعارف الروسية، هو «سياسة التخويف المنهجي للخصوم بما في ذلك استئصالهم ماديا» وفصلت الدائرة بين الإرهاب والعنف في تعريفها للأخير على انه «الاستعمال المنظم المشروع للعنف داخل المجتمع».

ولكن الدائرة لم تبين الهدف من ممارسة الإرهاب، وعند فصلها بين الإرهاب والعنف، لم تحدد الجهة التي يحق لها ممارسة العنف دون الإرهاب، هل هي السلطة وحدها أم أن هناك مؤسسات أخرى؟ وما القاعدة الشرعية المخولة بممارسة العنف؟ وما معاييره وكيفية التفريق بينه وبين الإرهاب ؟.

إن بإمكان أي حكومة سن قوانين بالغة القسوة من اجل حماية سلطتها بمبررات العنف المشروع داخل المجتمع!

٤ ـ تعريف الإرهاب في قاموس الأكاديمية الفرنسية نسخة عام ١٧٩٦م، عرف الإرهاب على انه «(نظام الرعب) والإرهابي هو الشخص الذي يحاول فرض وجهة نظره بطريقة قسرية تثير الخوف».

اغفل هذا التعريف أيضا إمكانية ممارسة الدول للإرهاب وحصره في شخص أو عدة أشخاص، ثم انه تجاهل سؤال مهم، لماذا يقوم شخص ما بفرض وجهة نظره بطريقة غير مشروعة ؟

وعرف الإرهاب إجمالا بـ(نظام الرعب) فهل هو مناط بالمنظمات الثورية المسلحة التي تمارس العنف من اجل تحقيق أهدافها أم نظام السلطة بأجهزتها الأمنية المتعددة؟ لا بد انه يعني الأول لقوله: الشخص الذي يحاول

فرض وجهة نظر....

برزت عدة وجهات نظر تتلخص في كون الإرهاب مصدره الأول الدولة، يصف الكاتب الفرنسي (ج.م دومناك) الدولة بأنا عنف منظم وقد عبر (ج.لافو) عن ذلك بوضوح أكثر إذ يقول «أن السياسة لا تقوم بدون عنف.. بل جوهر السياسة في كل زمان و مكان ينطوي على العنف[1] ويسير على نفس المنوال «ج.فروبند» الذي يقول «إن القوة تكون بالضرورة أداة السياسة الأساسية و أنا من مقوماتا الجوهرية» وعرف العنف بقوله: «سوف نطلق العنف على القوة التي تاجم مباشرة أشخاص الآخرين و خيرتم أفراداً أو جماعات بقصد السيطرة عليهم بالموت و التدمير والإخضاع و الهزيمة» ويقول د. سالم إبراهيم «وقد أظهرت الدراسات التاريخية أن الإرهاب الذي تمارسه أنظمة الحكم التي تسيطر على أساس التسلط و السيطرة أكثر بكثير من العنف الذي تمارسه الطبقات المعارضة» ويقول الكاتب الأمريكي مايكل كلير «إن الولايات المتحدة تقف في ناية الخط الذي يمد معظم الأنظمة الاستبدادية في العالم بتقنية القمع»[2].

٥ ـ تعريف الإرهاب عند المفكر شيمد: في كتابه «الإرهاب السياسي» جمع شيمد أكثر من ١٠٩ تعريف للإرهاب، ثم قدم تعريف شامل يجمع القواسم المشتركة في كافة التعريفات التي أوردها في كتابه، وقد عرف الإرهاب على انه «الإرهاب هو أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الجزافية كهدف عنف فعال، وتشترك هذه الضحايا الفعالة في خصائصها مع جماعة أو طبقة في خصائصها مما يشكل أساسا لانتقائها من أجل التضحية با. ومن خلال الاستخدام السابق للعنف و التهديد الجدي بالعنف، فإن أعضاء تلك الجماعة أو الطبقة الآخرين يوضعون في حالة من الخوف المزمن (الرهبة) هذه الجماعة أو الطبقة التي تم تفويض إحساس أعضائها بالأمن

---

(١) العنف و الإرهاب ص ٨٩ ١.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩.

عن قصد هي هدف الرهبة وتعتبر التضحية بمن أتخذ هدفاً للعنف عملاً غير سوى أو زمن (وقت السلم مثلاً) أو مكان (في غير ميادين القتال) عملية التضحية أو عدم التقيد بقواعد القتال المقبولة في الحرب التقليدية وانتهاك حرمة القواعد هذا يخلق جمهورا يقظاً خارج نطاق الرهبة، ويحتمل تشكيل قطاعات من هذا الجمهور بدورها هدف الاستمالة الرئيسي،والقصد من هذا الأسلوب المباشر للقتال هو شل حركة هدف الرهبة وذلك من أجل إرباك أو إذعان، وإما لحشد أهداف من المطالب الثانوية (حكومة مثلاً أو أهداف للفت انتباها للرأي العام مثلاً لإدخال تغيرات على الموقف أو السلوك، بحيث يصبح متعاطفا مع المصالح القصيرة أو الطويلة لمستخدمي هذا الأسلوب من الصراع»[1].

لم يقدم شيمد تعريفا دقيقا لماهية الإرهاب وعوضا عن ذلك استغرق في عرض كيفية ممارسته وبيان أهداف ممارسيه ومظاهره، ووقع في تناقض مريب، لأنه في البادية يقول: «الإرهاب هو أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الجزافية كهدف عنفي فعال»، ثم يقول بعدها «وتشترك هذه الضحايا الفعالة في خصائصها مع جماعة أو طبقة في خصائصها مما يشكل أساسا لانتقائها من أجل التضحية بها» فهل ضحايا الإرهاب يقتلون عشوائيا أم أنم منتقون بعناية؟، ثم انه يقول «وتعتبر التضحية بمن أتخذ هدفاً للعنف عملاً غير سوى أو زمن (وقت السلم مثلاً) أو مكان (في غير ميادين القتال) عملية التضحية أو عدم التقيد بقواعد القتال المقبولة في الحرب التقليدية وانتهاك حرمة القواعد هذا يخلق جمهورا يقظاً خارج نطاق الرهبة...» هل يقصد المعرف بلدا معينا أم العالم بأسره؟ لم يوضح لنا ما يريده بالضبط مما يجعل تعريفه مضطربا، ولنا خد مثالا بدولة إسرائيل، فعندما قتل د. يحي عياش بواسطة هاتف نقال في غزة، أجرت معهد داحاف، استطلاعا للرأي أفاد بترحيب غالبية شعب إسرائيل بمقتله «أفاد استطلاع للرأي نشريه صحيفة بديعوت أحرونوت أمس الاثنين أن غالبية ساحقة من الإسرائيليين مع تصفية خبير المتفجرات في حركة

(١) الإرهاب الدولي د.محمد عزيز شكري ص٨٧.

المقاومة الإسلامية حماس يحيى عياش الذي اغتيل الجمعة الماضي في غزة. وجاء السؤال في الاستطلاع على الوجه التالي :هل تعتبر تصفية يحيى عياش لها ما يبررها في الوقت الذي بلغت فيه مسيرة السلام سنين أوجها؟. ورد ٨٧% بالإيجاب واعترض ١١% ولم يبد رأيا٢% وقد أجرى الاستطلاع معهد «داحاف»[1].

٦ ـ تعريف «جيك » للإرهاب: هو العنف الذي يهدد ضحاياه سواء كان بممارسة الأفراد أو الجماعات للعنف المصمم ميدانيا لتحقيق الخوف أو الرهبة الذي يأتي على ضحية الإرهاب الذي قد لا تكون له علاقة بقضية الإرهابي، إن الإرهاب هو العنف الموجه للعامة ويكو ن الخوف هو الأثر المستهدف تحقيقه»، وهذا تعريف ناقص، مهلهل، قد اغفل كغيره ممارسة الدولة للإرهاب وتجاهل هدف ممارسته وحصر غايته بالخوف، والجهة المستهدفة بالجمهور.

٧ ـ تعريف اتفاقية جنيف لقمع ومعاقبة الإرهاب عام ١٩٣٧م: الأعمال الإرهابية هي الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما وتستهدف أو يقصد منها خلق حالة رعب في أدهان شخص معين أو مجموعة من الأشخاص أو عامة الجمهور.

يؤخذ على هذا التعريف بأنه جعل الدولة ضحية الإرهاب، بينما من الممكن أن تمارس هذه الدولة أو تلك الإرهاب ضد حركة تحرير أو معارضة أو شعبا اعزل يعيش حالة احتجاج واسعة أو واقعا تحت سلطات احتلال دولة ما، ثم أن التعريف يضع هدفا وحيدا لممارسة الإرهاب ألا وهو خلق حالة من الرعب في أذهان الأشخاص بينما من الممكن أن تتعدى الأهداف والمقاصد إلى مرمى ابعد من ذلك بكثير، فالنظام الحاكم يهدف إلى قمع المعارضة والبقاء في السلطة عن طريق ممارسة كافة طرق الإرهاب وأساليبه، والحركة المعارضة تمارس الإرهاب من اجل إسقاط النظام الحاكم أو تحقيق مكاسب معينة

(١) جريدة الحياة/ شعبان ١٤١٦م/٢٠٠٠م.

كإطلاق سراح معتقلين أو الحصول على الحكم الذاتي أو تغيير سياسات جذرية في الدولة المستهدفة بالإرهاب.

٨ ـ المعاهدة الأوربية لمكافحة الإرهاب عام ١٩٧٧م: لم تحدد هذه الاتفاقية تعريفا محددا للإرهاب إلا أنا ذكرت عدد من الجرائم التي اعتبرتا واقعة تحت مظلة الإرهاب منها ما كان مجرما في اتفاقيات دولية سابقا ومنها ما كان القانون الجنائي الدولي قد حرمها وأضاف إليها كل الأفعال الخطرة التي تدد حياة الأشخاص أو أموالهم، إلا أن هذه الاتفاقية في نظر العديدين تبقى غامضة لأنا تفتح ثغرة في التأويل من جانب بعض الدول لاتخاذ تقدير تعسفي فيما يعد إرهابا وما هو ليس كذالك.

٩ ـ تعريف الإرهاب في القانون الفرنسي رقم ١٠٢٠/٨٦ لعام ١٩٨٦م: الإرهاب هو «خرق للقانون يقدم عليه فرد من الأفراد أو تنظيم جماعي بدف إثارة اضطراب خطير في النظام العام عن طريق التهديد بالترهيب».

وهذا تعريف يقتصر على الواقع الفرنسي بمفرده، فإذا ما كانت فرنسا تعتبر دولة ديمقراطية، يسودها حكم القانون، المنبثق من دستور معبر عن ضمير الشعب وآمال الأمة، وان أي تغيير في نظام الجمهورية سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا لا بد أن يمر من خلال النوافذ التشريعية والقانونية المعتبرة، فان هذا لا ينطبق بأي حال من الأحوال في الدولة ذات النظام الشمولي، والتي تتخذ من التعسف والقهر أدوات لفرض سيطرتا على الجماهير.

١٠ ـ تعاريف أخرى للإرهاب: ورد في المعجم القانوني لمؤلفه (بلاك) أن الرهبة تعرف على أنا ذعر أو رعب أو فزع أو حالة ذهنية تسببها الخشية من ضرر جراء حادث أو مظهر معاد أو متوعد أو هي خوف يسببه ظهور خطر.

أما الكاتب (ارنولد) فيقول: «أن الإرهاب ظاهرة وصفها أسهل من تعريفها»، ويقول بسيوني: «الإرهاب هو إستراتيجية عنف محرم دوليا تحفزها بواعث عقائدية (أيديولوجية) أو تتوخى أحداث عنف مرعب داخل شريحة

خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول إلى السلطة أو للقيام برعاية لمطلب أو لمظلمة بغض النظر عما إذا كان مقترفو العنف يعملون من اجل أنفسهم ونيابة عنها أم نيابة عن دولة من الدول».

ويصف (ليليش) الإرهاب على: «انه جملة من الأفعال التي حرمتها القوانين الوضعية لمعظم الدول إضافة إلى أفعال معينة حرمتها الاتفاقيات الدولية».

ويقول: (سوتيل) بان «الإرهاب هو العمل الإجرامي المصحوب بالرعب أو العنف أو الفزع بقصد تحقيق هدف محدد».

ويقول: (ليمكين) الإرهاب يقوم على تخويف الناس بممارسة أعمال العنف».

أما جيفانو فيتش فيرى أن الإرهاب هو: «عبارة عن أعمال من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بالتهديد مما ينتج عنه الإحساس بالخوف من خطر بأي صورة».

ويشير(مالدانا) إلى مفهومين للإرهاب، احدهما واسع والآخر ضيق، فالمفهوم الواسع يعرف الإرهاب على انه: «كل جنائية أو جنحة سياسية أو اجتماعية ينتج عن تنفيذها أو التعبير عنها ما يثير الفزع العام لما لها من طبيعة ينشا عنها خطر عام».

أما المفهوم الضيق فيعرف الإرهاب على انه: «الأعمال الإجرامية التي يكون هدفها الأساسي نشر الخوف والرعب ـ كعنصر شخصي ـ وذلك باستخدام وسائل تستطيع خلق حالة من الخطر العام ـ كعنصر مادي ـ».

ويشير د. صلاح الدين عامر إلى أن الإرهاب هو اصطلاح يستخدم في الأزمنة المعاصرة للإشارة إلى الاستخدام المنظم للعنف لتحقيق هدف سياسي وبصفة خاصة جميع أعمال العنف «حوادث الاعتداء الفردية أو الجماعية أو التخريب» التي تقوم منظمة سياسية بممارستها على المواطنين وخلق جو من عدم الأمن وهو ينطوي في هذا المفهوم على طوائف متعددة من الأعمال أخطرها اخذ الرهائن واختطاف الأشخاص بصفة عامة وخاصة الممثلين

الدبلوماسيين وقتلهم ووضع متفجرات أو عبوات ناسفة في أماكن تجمع المدنيين أو وسائل النقل العامة، والتخريب، وتغيير مسار الطائرات بالقوة وليس ثمة شك في أن واحدا من أهم أسباب غموض الاصطلاح هو ما يلجا إليه كل طرف من أطراف الـ اع المسلح من وصف لبعض أوجه نشاط الطرف الآخر بأنا أعمال إرهاب حتى غدا من المستطاع القول بان الإرهاب هو حرب الآخرين»[1].

يبدوا أن الإرهاب في القانون الدولي مجرد تسمية تنطوي تحتها عدد من الجرائم المعرفة قانونا، بينما الإرهاب جريمة بماهيتها في عدد من القوانين المحلية للدول.

وسواء كان الإرهاب جريمة في حد ذاتا أو مجموعة جرائم إذا ما ارتكبت لدوافع معينة تعتبر إرهابا، فان له ملامح قانونية معينة منها:

١ ـ إن الإرهاب وسيلة وليست غاية.

٢ ـ إن طرقه وأساليبه المتنوعة تتميز بالعنف المؤدي إلى خلق حالات من الفزع والرعب في نفوس الجهة المستهدفة.

٣ ـ في الغالبية العظمى من الحالات التي يمارس فيها الإرهاب تكون الدوافع سياسية أو عقائدية.

ورد في معجم المصطلحات للعلوم الإدارية والاجتماعية أن الإرهاب هو: «بث الرعب الذي يثير الجسم والعقل، أي الطريقة التي تحاول با جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق اتخاذ العنف، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص سواء كانوا أفرادا أو ممثلين للسلطة ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة أو مؤسسات ومرافق».

وفي معجم الدبلوماسية والشئون الدولية «الإرهاب وسيلة لنشر الذعر واللجوء إلى القتل والاغتيال والاعتداء على الحريات الشخصية لإرغام الأفراد على الخضوع والاستسلام لها والرضوخ لمطالبها التعسفية أو تصرفاتا الكيدية

---

(١) الإرهاب الدولي بين التجريم والمكافحة ص٢٦.

وقد يستخدم الإرهاب لترويع المسالمين بغية تحقيق أغراض وفرض سيطرة».

الإرهاب في اللغة العربية

ورد في لسان العرب في مادة (رهب) «رهب بالكسر، يرهب رهبة ورهباً، بالضم، ورهباً أى خاف ورهب الشئ رهباً ورهبه:خافه و الاسم الرهب و الرهبى، والرهبونت، و الرهبونى، ورجل رهبوت يقال: رهبوت خير من رحموت، أي لأن ترهب خير من أن ترحم. وترهب غيره إذا توعده، وأنشد الأزهري العجاج يصف عيراً وأتته تعطيه رهباها إذا ترهبا على إضمار الكشح بولا زغربا رهباها الذي ترهبه، كما يقال: هالك وهلك إذا ترهبا: إذا توعدا. وقال الليث: الراهب جزم لغة في الرهب. قال: الرهباء أسم من الرهب نقول الرهباء من الله و الرغباء إليه. وفى حديث الدعاء رغبة ورهبة إليك. الرهبة: الخوف و الفزع جمع بين الرغبة و الرهبة. وفى حديث رضاع الكبير: فبقيت سنة بما رهبته.وقال أبن الأثير: هكذا جاء في رواية، أي من أجل رهبته وهو منصوب على المفعول له. وأرهبه رهبة: أي أخافه وفزعه وأسترهبه: استرعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فسر قوله عز و جل (واس ترهبوهم و جاءوا بسحر عظيم) أي أرهبوهم»[1].

وجاء في المنجد: الإرهابي: من يلجا إلى الإرهاب لإقامة سلطته. الحكم الإرهابي: نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف تعمد إليه حكومات أو جماعات ثورية.

أَرْهَب: خوفه. يقال (أَرْهَب عنه الناس باسه ونجدته) أي أن بأسه ونجدته حملا الناس على الخوف منه.

إسْتَرهَبُهُ: خوفه

الرَهْبَة: الخوف

الراهب: الخائف

---

(١) (لسان العرب لأبى الفضل أبن منظور/ دار صادر / بيروت /ط٣/مج أول /مادة رهب /ص٤٣٦ وص٤٣٧).

الرَهِيب. اَ لمرهُوب : ما يخاف منه

تعريف الإرهاب

لا بد لمعرفي الإرهاب الأخذ بعين الاعتبار عدة ضوابط قانونية وإدراكية من أهمها:

١ ـ الإرهاب مفهوم وليس فعل، أي انه من الممكن أن يشتمل على فعل أو عدة أفعال يجرمها القانون.

٢ ـ لابد للإرهاب من دافع وعامل، ولا بد أن يكون ذا صور وأنواع، مختلفة، وان يكون له هدف مهما كان محدودا.

٣ ـ الإرهاب نتيجة عوامل معينة تختلف باختلاف الزمان والمكان إلا أن هناك عوامل تمثل قواسم مشتركة في اغلب الأزمنة والأمكنة.

٤ ـ لا بد من التجرد والموضوعية وان يكون التعريف قانونيا بحثا دون الأخذ بالاعتبارات والمعايير ذات الأصول العقائدية والسياسية التي عادة ما تستخدم في إدارة صراع محلي أو إقليمي أو دولي.

نستطيع بناء على هذه الضوابط تعريف الإرهاب على انه : استخدام العنف المؤدي إلى الرهبة أو الخوف أو الرعب في سبيل تحقيق هدف سياسي أو اقتصادي أو إعلامي أو عقائدي أو شخصي من قبل دولة أو منظمة أو جماعة أو فرد في زمن السلم أو الحرب خلافا لقواعد القانون الدولي.

فعلى سبيل المثال منظمة ثورية تريد الاستيلاء على السلطة في ظل نظام مشروع[1] عن طريق القيام بعمليات القتل والاغتيال وتدمير المرافق العامة ضد

---

(١) يصعب تحديد طبيعة النظام المشروع فهل هو النظام المعترف به دوليا، أم هو النظام الذي يمارس الديمقراطية جزئيا أو كليا، أم هو ذلك النظام الذي يتعاط مع كافة أشكال القمع والتعسف فتقابله المنظمة الثورية بالمثل، أو لربما تبتدئ الأخيرة بالإرهاب فتكون للنظام ردة فعل مماثلة؟! وعندما تتدخل القوى الإقليمية والدولية في الصراع تتهم النظام السياسي أو المنظمة الثورية بالإرهاب وفقا لما تمليه مصالحها الوطنية والإستراتيجية بغض النظر عن الزوايا القانونية والأخلاقية. ومن هنا لا بد لفقهاء القانون من الإجابة على سؤالين جوهريين باعتقادنا.

١ـ هل ثمة معايير تحدد مشروعية النظام السياسي القائم في الدول الأعضاء بمنظمة الأمم المتحدة

الدولة أو تنظيمات منافسة، يعتبر قيامها بذه الجرائم إرهاب لأنا نشرت الرعب والخوف في النفوس مما يمنحها فرصة لا مشروعة لتحقيق غاياتا التي من الممكن أن تكون مشروعة في ظل نظام نيابي انتخابي تناط بالشعب مسئولية اختيار الحكومة والسلطة التشريعية(١).

دوافع الإرهاب

هناك عدة دوافع منها ما يلي:

١ ـ الدافع السياسي:

يقول د. نبيل حلمي: الدافع السياسي هو تحقيق أهداف سياسية بضغط العمليات الإرهابية، فمعظم العمليات الإرهابية وأعمال العنف تكمن ورائها دوافع سياسية مثل السيطرة الاستعمارية لبعض الدول والتفرقة العنصرية والفصل العنصري، ومقاومة الاحتلال ومحاولة الحصول على حق تقرير المصير لشعب واقع تحت الاحتلال أو أعمال العنف من دولة من الدول. ومن هذه الدوافع أن تحاول مجموعة تنبيه الرأي العام العالمي إلى قضية سياسية أو محاولة الإفراج عن مجموعة من السجناء في سجون الدولة أو إجبار الدولة على تغيير سياسة معينة في مواجهة إقليم معين من أقاليمها. ومن جانب آخر قد تمارس الدولة الأعمال الإرهابية والعنف ضد شعب معين للسيطرة عليه ولإجبار سكانه على التخلي عن أراضيهم والفرار منها سواء إلى مناطق أخرى في نفس الدولة أو إلى خارج حدود هذه الدولة. فالعمليات الإرهابية ذات الدافع السياسي هدفها في النهاية هو الوصول إلى قرار سياسي بمعنى إرغام دولة أو جماعة سياسية على اتخاذ قرار معين أو الامتناع عن قرار تراه في مصلحتها، وما

على الأقل أم أن مجرد انضمامها للمنظمة كفيلا بتحقيق هذه الشرعية ؟

٢ـ في ظل وجود دول قمعية لا تعرف للديمقراطية سبيلا متى يكون الكفاح المسلح ضد سلطتها مشروعا في القانون الدولي؟

(١) إن تنظيم يقوم بالقتل والخطف تحقيقا لهدف اقتصادي ألا وهو جني المال يكون دافعه في هذه الحالة الفقر، والهدف الرفاه، والسلوك عنف، والظاهرة إرهاب وعلى هذا نستطيع قياس العديد من أشكال الإرهاب على هذا المنوال.

كانت تتخذه أو تمتنع عنه إلا بضغط العمليات الإرهابية[1].

إن غلق قنوات التعبير والتغيير السلمي في ايطاره القانوني ينتج عنه شيوع العنف السياسي مما يدفع في النهاية إلى الإرهاب، لذلك فانه من الملاحظ أن الدول التي تتسم بالشفافية تعتبر فيها ظاهرة الإرهاب من الظواهر النادرة أو المحدودة.

٢ ـ الدوافع الإعلامية:

وهو نشر القضية أمام الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي، فالحركة الثورية تمارس الإرهاب للفت أنظار الرأي العام بأنواعه الثلاثة إلى قضيتها مما يترتب عليه محاولة حلها بالطرق المتاحة، لذلك يشير بعض خبراء الإرهاب إلى أن من أهداف العمليات الإرهابية حل القضية محل الـ اع عن طريق نشر الرعب والذعر،وذلك باستغلال وسائل الإعلام للضغط على الطرف الآخر في الـ اع والإطراف المحيطة لحل القضية حتى لا تتعدى جغرافية الإرهاب وديمغرافيته الدولة أو الشعب المستهدف.

٣ ـ الدوافع الشخصية:

هو تحقيق أهداف شخصية من خلال القيام بعمليات إرهاب، ومن صور الدوافع الشخصية الفرار من البلد بواسطة خطف طائرة والفرار من البلد، ثم طلب لجوء سياسي في بلد آخر حطت به الطائرة للمفاوضات أو للتزود بالوقود، أو خطف طائرة أو حافلة لتحقيق هدف إطلاق سراح معتقلين أمنيين أو سياسيين أو لتعبير عن موقف معين سياسيا كان أو اقتصادي أو اجتماعي.

أنواع الإرهاب:

١ ـ إرهاب تقليدي: كارتكاب جرائم مدانة في القانون كالقتل الفردي أو الجماعي، والقيام بعمليات الاغتيال لشخصيات مؤثرة على حركة الصراع، والقيام بعمليات تفجير للاماكن العامة والمؤسسات الخدمية والربحية، وخطف

---

(١) الإرهاب الدولي بين التجريم والمكافحة ص ٣٣.

الأفراد والطائرات والحافلات واحتجاز الرهائن مما يخلق الرعب والفزع والخوف في النفوس.

٢ ـ إرهاب غير تقليدي: هذا النوع من الإرهاب قد يكون م ويا وراء النظم الاجتماعية كالعادات والتقاليد والأعراف والقيم السائدة، ويقصد به إجبار الفرد أو الجماعة على الاحتفاظ بآرائها سياسيا أو دينيا أو عقائديا من خلال ممارسة اضطهاد غير عنفي كشن حملات نفسية تشمل الإقصاء الاجتماعي، والنقد المبطن، والمقاطعة وسوء الاتصال في الـالات الإنسانية والاقتصادية، حتى تسلم برأي الأغلبية أو السلطة الحاكمة دون الإقرار بحق الاعتراض وإبداء الرأي المخالف أو الظهور بما تمليه طبيعة الخصوصية المذهبية أو السياسية أو الاجتماعية لهذه الطائفة أو تلك.

صور الإرهاب:

١ ـ الصورة الأولى: الإرهاب زمن السلم:

وذلك بان تمارس حكومة ما بحق جماعة ما سياسة القمع والإقصاء مما يدفع الأخيرة إلى ممارسة الإرهاب كرد فعل على الممارسات الحكومية.

وقد تمارس الحكومة المعترف با إقليميا أو دوليا الإرهاب بغية رسالة سياسية لدول أخرى أو لإرساء سياسية معينة أو لانجاز أهداف اقتصادية.

٢ ـ الصورة الثانية: الإرهاب زمن الحرب:

صنف القانون الدولي من خلال اتفاقية لاهاي والقانون الجنائي الدولي جرائم الحرب إلى ثلاث طوائف :

الأولى: جرائم الحرب

الثانية: جرائم ضد الإنسانية

الثالثة: جرائم إبادة الجنس البشري

إما الإرهاب فقد اعتبره جريمة مستقلة مضافة إليها من أشكالها:

١ ـ قتل الأفراد أو كامل أفراد الجماعة سواء كانت مدنية أو عسكرية دون إجراءات أو مبررات قانونية معترف با.

٢ ـ إلحاق ضرر جسدي أو عقلي جسيم بالأفراد.

٣ ـ إخضاع الجماعة عمدا لأحوال معيشية مشينة يقصد با الإهلاك في اغلب الأحيان.

٤ ـ فرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة.

٥ ـ نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى.

وقد عد القانون الدولي تدمير المنشات الخدمية الحيوية كالمدارس والمعاهد والجامعات والملاجئ إرهابا لان لها حماية خاصة لاعتبارات إنسانية بينما لا تعد هذه الأفعال إرهابا في حال استهدافها منشات عسكرية.

الفصل الثاني:

الإرهاب والتعصب في **إسلام النص والأديان السماوية**

عادة ما يرتبط بالإرهاب كممارسة وظاهرة عدة ظواهر مصاحبة وملازمة على المستوى الشخصي والجماعي، وتستحكم كمرتكزات للنشاط الفكري والثقافي، السياسي، وهي ما يلي:

١ ـ التعصب لغة: عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جانب.

٢ ـ التطرف: في اللغة: تطرف: اتى الطرف. والشي: صار طرف، جاوز حد الاعتدال، ومنه تطرف في آرائه، فهو متطرف.

٣ ـ الغلو: الغلو في اللغة: هو مجاوزة القدر في كل شيء، غلوت في الأمر إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه.

٤ ـ الانغلاق الفكري: ويعني الاقتصار في التلقي الثقافي على ثقافة معينة دون غيرها، والانكفاء على معطياتها فكرا وسلوكا وأداء.

هذه الظواهر متجانسة فيما بينها، وكل ظاهرة سببا في إيجاد أخرى في العديد من الأحيان، فالانغلاق الفكري يؤدي إلى التعصب، والتعصب يؤدي إلى التطرف والغلو، وكلاهما يؤديان إلى بروز الإرهاب في نهاية الأمر، من ناحية أخرى من خلال رصد بعض جوانب السلوك الإنساني نلاحظ أن التعصب والانغلاق والغلو والتطرف عادة ما تمتزج في ظاهرة واحدة ألا وهي (التعصب) الذي يعبر عن ذات إنسانية منغلقة في إرسالها واستقبالها الثقافي

والحركي و تشخص في كونا ذات سلبية يغلب عليها ظاهرة التعصب إلا إنا تعاني من عدة أعراض تمثل الظواهر الممتزجة في النفس والشخصية العامة والثقافة الإدراكية.

إن الإرهاب وليد لظواهر اعتبرها العديد من الفلاسفة أمراض اعترت الشخصية الإنسانية وتسببت في شيوع العداء بين الأمم مما نتج عنها حروبا وصراعات وسفك للدماء على مر التاريخ.

الإرهاب والتعصب في المجتمع العربي قبل الإسلام:

يقول الإمام علي(عليه السلام) واصفا العرب قبل الإسلام:

{والناسُ في فِتَن انجذم[1] فيها حبلُ الدين، وتزعزعت سواري[2] اليقين، واختلف النجرُ[3] وتشتت الآمرُ، وضاق المخرجُ،وعمي المصدرُ، فالهدى خامل، والعمى شامل، عصي الرحمن ونُصر الشيطان، وخُذِلَ الإِيمانُ فانارت دعائمهُ، وتنكّرت معالمهُ،ودرست[4] سبلُه،وعفت شركه[5]... فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دارٍ وشرّ جيرانٍ، نومُهم سُهود، وكُحلهم دموع، بأرض عالمها مُلجَم وجاهلها مُكرَم.

وفي خطبة أخرى له: {إنّ اللّه بعث (محّمدا صلى الله عليه وآله وسلم) نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار منيخون[6] بين حجارة خُشن[7] هث، وحيّات صُمّ[8] تشربون الكَدر، وتأكلون الجشِب[9] وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الآصنام فيكم منصوبةٌ، والآثام بكم

---

(١) إنقطع.
(٢) الدعائم.
(٣) الاَصل.
(٤) نطمست.
(٥) الطرق.
(٦) مقيمون.
(٧) جمع خشناء من الخشونة.
(٨) التي لا تسمع لعدم إنزجارها بالاَصوات.
(٩) لطعام الغليظ.

معصوبة}[١].

ويقول في أخرى {بعثه(ﷺ)، والناس ضُلاّل في حيرة، وحاطبون في فتنةٍ،قد استهوتم الأهواءُ،واستزلّتهم الكبرياءُ، واستخفّتهم[٢] الجاهلية الجهلاءُ، حَيارى في زلزالٍ من الآمر، وبلاءٍ من الجَهل، فبالَغَ (ﷺ) في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحَسَنة}.

وأيضاً في أخرى :{أضاءت به (ﷺ) البلاد بعد الضلالة المظلمة، والجهالة الغالبة، والجفوة الجافية، والناس يستحلون الحريمَ،ويستذلون الحكيمَ، يحيون على فترة[٣] ويموتون على كفرة}.

وتقول الزهراء(عليها السلام) في وصفها لحال العرب قبل الإسلام:{وكنتم على شفا حفرة من النار، مِذْقَة الشارب ونزة الطامع، وقبسة العجلان[٤]، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلة خاسئين صاغرين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمدٍ(ﷺ) بعد اللّتيا واللتي....}.

لم يكن المجتمع العربي قبل الإسلام يعيش في ظل نظام مركزي عقلاني، بل كان يعتمد في تسيير دفة حياته على أعراف قبلية جامدة غير نابعة في اغلب الأحيان من مركزية عقائدية متطورة، بل من مفاهيم فرضتها طبيعة الأرض ومنطق الغلبة والقوة السائد بين العرب.

النظام الاجتماعي تسيطر عليه قلة من البرجوازية الحاكمة بينما تعيش بقية الأفراد والشرائح في ظل حكم الأقلية وفي أوضاع معيشية مزرية، وتتسم الحياة الاجتماعية والاقتصادية باستحكام نظام العبودية الذي تغذيه الغزوات والحروب التي من خلالها توفر أيدي العاملة مسحوقة الحقوق والإنسانية،

---

(١) مشدودة.

(٢) طيّشتهم.

(٣) على خلوّ من الشرائع.

(٤) قبسة العجلان: مثل في الاستعجال تشبيها بالمقتبس الذي يدخل الدار ولا يمكث فيها إلا ريثما يقتبس.

وتسخر للأعمال القاسية المميتة في بعض الأحيان، بينما تستخدم النساء للبغاء وإنتاج الذرية.

القبيلة الوحدة السياسية عند العرب الجاهليين، وتعتبر دولة مصغرة ينتمي أليها الأفراد والجماعات ما عدا الأرض باعتبار أن القبائل العربية كانت تتنقل من مكان لآخر بحثا عن الماء والغداء لدوابا.

ومن الانتماء القبلي نشئت العصبية للقبيلة والعرق، والتي عانت منها الأمة العربية في الإسلام أيضا، يقول د.السيد عبد العزيز سالم: «والعصبية عند العرب نوعان: عصبية الدم وهي أساس القرابة في البيت الواحد ومصدر الترابط الوثيق بين أفراد القبيلة كما لو كانوا أسرة.

٢ ـ عصبية الانتماء إلى أب بعيد أو جد مشترك من نسله تكونت القبيلة أو القبائل المنتمية إليه»[١].

ومن الملاحظ أن احتفاظ القبائل ببداوتا ووحشيتها يضمن لها الاحتفاظ بقوتا والتغلب على غيرها وذلك لأنا تعتمد في حياة البادية على العصبية، مصدر قوتا[٢].

ويقول عن نظام الحرب في القبائل العربية قبل الإسلام: «لم يكن عند قبائل العرب المتبدية جيوش منظمة ولكن جميع أفراد القبيلة شيوخا وشبانا كانوا يلبون نداء القبيلة عندما يستنفرهم رئيسها وقد رأينا أن العرب كانوا يندفعون في ذلك وراء العصبية»[٣].

وفي وصفه لحياة العرب في الجاهلية: «وهكذا كانت حياة العرب قتال في قتال دماء تسفك ودماء تراق ولم يكن يطفئ الدم إلا سفك دم جديد ويتعدد القتل والثار وتتوارث القبائل المتخاصمة الثارات حتى إذا تفاقم الأمر واتت الحرب على الحرث والنسل تداعوا إلى الصلح وتحمل الديات

---

(١) تاريخ العرب ي عصر الجاهلية ص٣٦٠.

(٢) نفس المصدر ص ٣٦١.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٦٦.

والمغارم»[1].

من الطبيعي في ظل نظام غير مركزي، يعتمد منطق القوة، وتدور كافة النظم حوله بفاعلية، أن تسود العصبية بكافة مفرداتا، ومن العصبية تنشى ظاهرة الإرهاب، وذلك نظرا لان البيئة التي تعيش فيها القبائل والأفراد تحوي كافة مقومات طغيانا على النفوس والعقول والممارسات، ومن مظاهر شيوع الإرهاب والتعصب في المجتمع العربي قبل الإسلام ما يلي:

١ ـ الحروب:

العديد من الحروب التي خاضتها القبائل العربية منشئها العصبية وغلبة منطق القوة على منطق العقل والضمير، منها حرب البسوس التي استمرت لأكثر ما يقارب الأربعين سنة وكانت وقائع شررها ما يرويه المؤرخون ومن بينهم ابن الأثير: اتفق أن رجلا يقال له سعد بن شميس ابن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس وكان للجرمي ناقة اسمها سراب تركها ترعى مع نوق جساس في حمى كليب فخرج كليب يوما يتعهد الإبل ومراعيها فاتاها وتردد فيها وكانت أبله وابل جساس مختلطة فنظر كليب إلى سراب فأنكرها وسال جساسا وكان في صحبته عن أمرها فاخبره بخبرها فأمره كليب بإبعادها عن حماه فاستاء جساس من ذلك لان الجرمي نزيله وضيفه وله عليه حق الجوار فلم يملك غضبه وقال لكليب لا ترعى ابلي مرعى إلا وهذه معي فقال كليب لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها فرد عليه جساس بقوله لئن ووضعت سهمك في ضرعها لأضعن سنان رمحي في لبتك. وافترقا... وخرج كليبا يوما إلى الحمى وجعل يتصفح أبله فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعتها فأنفذه فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما با صرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت إليه فلما رأت ما حل بناقته وضعت يدها على رأسها وأذلاه، وكان جساس حاضرا فأسكتها وسكن الجرمي وقال لهما إني سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة سأقتل غلالا، وكان

---

(١) نفس المصدر ص ٣٧٥.

غلال فحل ابل كليب، وكان جساس يقصد بمقالته كليبا، وخرج جساس يتحين الفرص لينال مرامه من كليب، فخرج كليب يوم آمنا، فلما بعد عن البيوت ركب جساسا فرسه وحمل رمحه وسار في إثره يتعقبه حتى أدركه وقال لكليب يا كليب الرمح وراءك فقال إن كنت صادقا فاقبل إلي من أمامي، فلم يعبا جساس بما قاله وطعنه من الخلف فارداه قتيلا، ولما علم قوم كليب بمقتله دفنوه وقد شقوا الجيوب وخمشوا الوجوه وخرجت الأبكار وذوات الخدور إليه وطردوا جليلة بنت مرة لأنا أخت قاتل كليب، وكان لكليب أخ اسمه مهلهل يضرب به المثل في الشجاعة... فلما بلغه مقتله جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم المار والشراب وجمع قومه للثار وأرسل منهم وفدا إلى بني شيبان وعليهم مرة بن ذهل بن شيبان في نادي قومه فقالوا له إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وإنا نعرض عليكم خلالا أربعة لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع أما أن تحي لنا كليبا أو تدفع لنا قاتله جساسا فنقتله به أو هماما فانه كفء له أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه، فقال لهم أما إحيائي كليبا فلست قادرا عليه وأما دفعي جساسا إليكم فانه غلاما طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا ادري أي بلاد قصد وأما همام فانه أبو عشرة واخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فما أتعجل الموت ولكن لكم عندي خصلتان أما أحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم وأما الأخرى فاني ادفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر، فغضب القوم ونشبت الحرب بينهم[1]...

ومن الحروب أيضا حرب داحس والغبراء وكان سببها أن حذيفة بن بدر الفزاري كانت له خيل كثيرة فقدم أليه فتى من عبس يقال له ورد بن مالك وقال له لو اتخذت من خيل قبس فحلا يكون أصلا لخيلك فقال حذيفة؟: خيلي خير من خيل قيس ولجا في ذلك حتى تراهنا على فرسين من

---

(١) ابن الأثير، ج١ ، ص٣١٨.

خيل قيس هما الخطار والحنفاء وفرسين من خيل حذيفة هما داحس والغبراء وقيل أن الرهن كان على فرسي داحس والغبراء واتفق حذيفة وقيس على أن يكون السباق قدر مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير فخاف حذيفة أن يظفر قيس بالرهن فأقام رجلا من بني أسد في الطريق وأمره أن يعترض داحسا والغبراء في وادي ذات الاصاد ويعوقهما عن السباق فلما وصل داحس إلى الثنية وكان سابقا اعترضه الاسدي ثم وصلت الغبراء بعده مصلية (أي الثانية) وتجنب راكبها طريق الثنية حتى لا يعترضه الاسدي وانتهى السباق بسبق الغبراء وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء فرسه أيضا ثم جاء داحس بعد ذلك واختلف قيس وحذيفة في السبق وطالب حذيفة بالرهن وأرسل ابنه إلى قيس يطالبه به،فقتله قيس فقامت الحرب بين عبس وذبيان[1]...

٢ ـ وأد البنات:

يطرح المؤرخون عدد من الأسباب التي دفعت بالمجتمع الجاهلي لممارسة ظاهرة وأد البنات منها الفقر الذي كانت تعاني منه العديد من الشرائح الاجتماعية بينما يعتبر المترفون أقلية حاكمة، وتزداد جرائم الوأد سعة وانتشارا أثناء القحط والجفاف الذي يجعل الفقراء يضطرون إلى أكل «العلهز» وهو عبارة عن وبر بالدم من شدة الجوع، وقد ترجم القران الكريم تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[2] ومنها الوأد لعلة أو قبح مثل ولادة البنت الزرقاء أو الشيماء أو العنقاء أو الكسحاء ممن يتشاءم منها، يذكر بهذا الخصوص أن والد سودة بنت زهرة وهي عمة وهب والد آمنة أم النبي الكريم (ﷺ) أرسل أبوها لوأدها لعلة جسدية ظاهرة فيها ولكنه تركها وصارت فيما بعد كاهنة مشهورة[3] ومنها الوأد لدوافع دينية،إذ أن شيوع العقائد الوثنية أدى إلى اعتقاد العرب بان الملائكة إناث لذا

---

(١) الكامل في التاريخ ج١ص٣٤٣ ـ ٣٥٥.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣١.

(٣) العبودية ص ٢٣٤.

يجب إلحاق البنات بالبنات، ومنها الخوف من العار لان شيوع الحرب بين القبائل دفع بالعديد من الأسر إلى الخوف من سبي بناتنا لذلك كانوا يئدونن تجنبا للعار.

ويذكر العديد من المؤرخين إلى أن تاريخ الوأد يعود إلى أيام المنذر بن النعمان (ملك الحيرة) الذي حمل على بني تميم لامتناعهم عن دفع الإتاوة، فأوقع فيهم خسائر كبيرة وسبى نسائهم، ولما تم الصلح بين الطرفين فاوضوا على إرجاع نسائهم فكان حكم النعمان تخيير المسبيات بين سابيهن وأهلهن، فاختلفن في ذلك، واختارت بنت قيس بن عاصم التميمي سابيها على زوجها، فاستعار أبوها وحلف بن يدس كل بنت تولد في التراب ووأد بضع عشر بنتا وفي رواية أخرى مقاربة أن قبيلة ربيعة عندما اختارت ابنة زعيمها سابيها على أهلها فاستن زعيم ربيعة الوأد وقلدته فيه سائر العرب.

وفي كيفية الوأد يقول د. فاضل الأنصاري: «أنم كانوا يحفرون حفرة، فإذا ولدت الحامل أنثى ولم يشأ أهلها الاحتفاظ با رموا با إلى الحفرة، أو أنم كانوا يقولون للام بان تيئ ابنتها للوأد بتطييبها وتزيينها،ثم يأخذها أبوها إلى الحفرة التي أعدت مسبقا، فيدفعها فيها ويهيل عليها التراب حتى تستوي الحفرة بالأرض، وقد يقوم بإغراقها أو بذبحها بدلا من ذلك، ويمكن أن يقوم العبيد في بعض الحالات بتلك المهمة بدلا من الأب، وليس للام حق الاعتراض، وقد تكلف هي نفسها أحيانا بدفن الوليدة بدلا من الأب أو العبد في حفرة أعدت سلفا، بمجرد اكتشاف أنا أنثى، بينما يزغرد النسوة عند ولادة الذكر وتخرج الأم منتشية مزهوة، ويختلف عمر الوأد بين قبيلة وأخرى، فبعضه كان يأد بناته عند الولادة أو في عمر سنهن الأولى أو بعد ذلك، واعتادت قبيلة كندة وأد بناتا عند السادسة بان يجتمع أفراد أسرتا في موكب تصطحب فيه الضحية مضمخة بالطيب مزينة بالحلي لتساق إلى الحفرة المهيأة وسط زفة من الرقص والغناء والزغاريد وضرب الدفوف، ثم يقوم الأب بدفع ابنته إلى موضع حتفها، ويهيل التراب فوقها فتختلط تعابير اندهاشها مما تصورته لهو مع صرخات

استغاثتها التي تختنق في ضجيج الاحتفال»[1].

الإسلام وظاهرتي الإرهاب والتعصب

لم تشر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والروايات الصحيحة سواء عند الشيعة أو عند السنة، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، والصحابة (رضي الله عنهم) على بروز ظاهرتي الإرهاب والتعصب باعتبارها من مكونات الأيدلوجية الإسلامية، بل كان التسامح والعفو وعدم التمييز ومحاربة الفكر الجاهلي بكافة معطياته سمة سائدة في أصول الفكر والأدب الإسلامي، نعم ثمة آية واحدة تشير إلى الإرهاب وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُو اللهِ وَعَدُوكُمْ﴾[2]، يقول صاحب الميزان في تفسيرها الخاص: «الإعداد تيئة الشي للظفر بشيء آخر وإيجاد ما يحتاج إليه الشي المطلوب في تحققه كإعداد الحطب والوقود للإيقاد وإعداد الإيقاد للطبخ، والقوة كل ما يمكن معه عمل من الأعمال وهي في الحرب كل ما يتمشى به الحرب والدفاع من أنواع الأسلحة، والرجال المدربين والمعاهد الحربية التي تقوم بمصلحة ذلك كله، والرباط مبالغة في الربط وهو أيسر من العقد، يقال: ربطه ربطا ورابطه مرابطة ورباطا، فالكل بمعنى غير أن الرباط ابلغ من الربط، والخيل هو الفرس، والإرهاب قريب المعنى من التخويف، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾... أمر عام بتهيئة المؤمنين مبلغ استطاعتهم من القوى الحديثة ما يحتاجون إليه قبال ما لهم من الأعداء في الوجود أو في الفرض، والاعتبار فأن المجتمع الإنساني لا يخلو من التالف من أفراد أو أقوام مختلفي الطباع ومتضادي الأفكار لا ينعقد بينهم مجتمع على سنة قيمة بمنافعهم إلا وهناك مجتمع آخر مضاد في منافعه ويخالفه في سنته ولا يعيشان برهة من الدهر إلا وينشب بينهم الخلاف ويؤدي ذلك إلى التغلب والقهر، فالحروب المبيدة والاختلافات الداعية إليها مما لا مناص عنها في المجتمعات الإنسانية، والمجتمعات هي هذه المجتمعات

(١) العبودية ص ٢٤٤.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٠.

ويدل ذلك ما نشاهده من تجهز الإنسان في خلقه بقوى لا يستفاد منها إلا للدفاع كالغضب والشدة في الأبدان والفكر العامل في القهر والغلبة، فمن الواجب الفطري على المجتمع الإسلامي أن يتجهز دائما بإعداد ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل بحسب ما يفترضه من عدو لمجتمعه الصالح، والذي اختاره الله للمجتمع الإسلامي إنما انزل عليهم من الدين الفطري الذي هو الدين القيم، هي الحومة الإنسانية التي يحبط فيها حقوق كل فرد من أفراد مجتمعها ويراعى فيها مصلحة الضعيف والقوي، والصغير والكبير والحر والعبد، والرجل والمرأة، والفرد والجماعة والبعض والكل على حد سواء، دون الحكومة الفردية الاستبدادية التي لا تسير إلا على ما تهواه نفس الفرد المتولي لها في دماء الناس وأعراضهم وأموالهم بما شاء وأراد، ولا حكومة الأكثرية التي تطبق أهواء الجمهور من الناس وبطل منافع آخرين وترضي الأكثرين (النصف + واحد) وتضطهد وتسقط الأقلين (النصف ـ واحد) ولعل هذا هو السر في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْل﴾ حيث وجه الخطاب إلى الناس بعد ما كان الخطاب في الآيات السابقة موجها إلى النبي(ﷺ)... ذلك أن الحكومة الإسلامية حكومة إنسانية بمعنى مراعاتها حقوق كل فرد وتعظيم إرادة البعض واحترام جانبها من كان من غير اختصاص الإرادة المؤثرة بفرد واحد أو بأكثر الأفراد، فالمنافع التي يهددها عدوهم هي منافع كل فرد فعلى كل فرد أن يقوم بالذب عنها ويعد ما استطاع من قوة لحفظها من الضيعة، والإعداد وان كان منه ما لا يقوم بأمره إلا الحكومات بما لها من الاستطاعة القوية والإمكانات البالغة، لكن منها ما يقوم به الأفراد بفرديتهم كتعلم العلوم الحربية والتدرب بفنونها، فالتكليف تكليف الجميع، وقوله تعالى : ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُو اللهِ وَعَدُوكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾... في مقام التعليل لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدوا لَهُمْ﴾.. أي واعدوا لهم لترهبوا وتخوفوا به عَدُو اللهِ وَعَدُوكُمْ) وفي عدهم عدوا لله ولهم جميعا بيان للواقع وتأكيد في التحريض، وفي قوله: وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ.. دلالة على أن المراد بالأولين هم الذين يعرفهم المؤمنون بالعداوة لله ولهم....

والإرهاب بإعداد القوة وان كان في نفسه من الأغراض الصحيحة التي تتفرع منها فوائد عظيمة ظاهرة غير انه ليس تمام الغرض المقصود من إعداد القوة ولذلك أردفه بقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ ليدل على إجماع الغرض وذلك أن الغرض الحقيقي من إعداد القوة هو التمكن من الدفع مبلغ الاستطاعة وحفظ المجتمع من العدو الذي يهدده في نفوسه وأعراضه وأمواله، وباللفظ المناسب لغرض الدين إطفاء نائرة الفساد الذي يبطل كلمة الحق ويهدم بنيان دين الفطرة الذي به يعبد الله في أرضه ويقوم ملاك العدل في عباده... وبالجملة فإعداد القوة إنما لغرض الدفاع عن حقوق المجتمع الإسلامي ومنافعه الحيوية والتظاهر بالقوة المعدة ينتج إرهاب العدو وهو أيضا من شعب الدفاع ونوع عرفه قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فان من فوائده الإعداد الراجعة إلى أفراد المجتمع».

وجاء في التبيان: قوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فالهاء في (به) راجعة إلى الرباط، وذكره لأنه على لفظ الواحد، وان كان في معنى الجمع، لأنه كالجراب والقراب والذراع / والإرهاب إزعاج النفس بالخوف، تقول: ارهبه إرهابا، ورهبة، ترهيب، ورهبة، رهبة، وترهب، ترهب، واسترهبه، استرهاب، وقوله: وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، تقديره وترهبون آخرين، فهو نصب ب (ترهبون) ويجوز أن يكون نصب بقوله ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ وللآخرين من دونهم وقيل في المعنيين بذلك خمسة أقول: احدهما قال مجاهد: هم بنو قريظة، وقال السدي هم أهل فارس، وقال الحسن وابن زيد هم المنافقون، الرابع: الجن، وهو اختيار الطبري، قال: لان الإعداد للأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبقى إلا من لا يشاهد، الخامس، قال الحباني: كل من لا تعرفون عداوته دخل فيه ومعنى (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم فلذلك لم يكن معه المفعول الثاني، وقوله الله يعلمهم، معناه يعرفهم.. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ يعني ما من شي تنفقونه في الجهاد إلا والله يوفيكم ثوابه على ذلك بأتم الجزاء ولا تبخسون، فمعنى الآية الأمر بإعداد السلاح والكراع لإخافة أعداء الله بما يملا صدورهم

من الاستعداد لقتالهم مع تضمن اخلاف ما انفق في سبيل الله باحوج ما يكون صاحبه إليه بما تربح فيه تجارته».

يمكن الاستفادة مما تقدم أن الآية الكريمة جاءت لمعالجة قضية هامة وشائكة في علاقات الأمم مع بعضها البعض ألا وهي (الحرب) وان (ترهبون) التي هي هنا عصب الآية ومركزية مقصدها بمعنى ردع الأعداء من الإقبال على حرب المسلمين من خلال التهيؤ بإعداد القوة التي تقوم بمهمة الردع، وهذه سياسية قديمة حديثة، ففي هذا العصر وما سبقه من عصور تتسلح الدول بكافة أنواع الأسلحة في الحرب والسلم لردع خطر محتمل، واستباق لحرب متوقعة، وقد عرف العالم ما اصطلح على تسميت بي (سباق التسلح)، وان قصد به في اغلب الأحيان تسلح الدول لاسيما الكبرى بالعتاد المحرم دوليا كالأسلحة الجرثومية والكيميائية والنووية.

القرآن الكريم بين الإرهاب وروح التسامح

ما عدا هذه الآية القرآنية الكريمة، فان القران الكريم ككتاب سماوي شريف، ذو مضامين أخلاقية وتربوية وقيمية عالية يحمل في طياته العديد من مباني التسامح والسلام ونبذ الإرهاب والتعصب، ودعوة الإنسان إلى التفكر والتدبر وتطوير ادراكاته ليكون عنصر فائدة قصوى في الحياة الواسعة التي وهبها له الخالق عز وجل، نستعرض منا ما يلي:

١ ـ في الحث على السلم:

وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١).

٢ ـ في الصلح ونصرة المظلوم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ

(١) سورة الأنفال، آية ٦١.

اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِن اللهَ يُحِب الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَين أَخَوَيْكُمْ وَاتقُوا اللهَ لَعَلكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

٣ ـ في الحث على التفكر والانفتاح العقلي والإنساني وذم الركون إلى ثقافة الأجداد والآباء.

وذلك في قوله تعالى :

١ ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَل لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنهُمْ عَدُو لِي إِلا رَب الْعَالَمِينَ﴾(٢).

٢ ـ ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ ۞ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۞ بَلْ قَالُوا إِنا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمةٍ وَإِنا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾(٣).

٣ ـ ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمةٍ وَإِنا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾(٤).

٤ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(٥).

٥ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا

(١) سورة الحجرات آية ٩ - ١٠.
(٢) سورة الشعراء من الآية ٦٩ - ٧٧.
(٣) سورة الزخرف ١٩ ـ ٢٢.
(٤) سورة الزخرف آية ٢٣.
(٥) سورة البقرة آية ١٧٠.

وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾[1].

٦ ـ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2].

٧ ـ ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[3].

٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4].

٩ ـ ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[5].

٤ ـ في آداب الاختلاف والدعوة إلى الإسلام

وذلك في قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[6].

ـ ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[7].

ـ ﴿قل قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[8].

٥ ـ في حرية العبادة :

ـ وذلك في قوله تعالى .فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[9].

ـ و في قوله تعالى﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ

---

(١) سورة البقرة آية آية ١٧٠.
(٢) سورة الأعراف آية ٢٨.
(٣) سورة الداريات آية ٢١.
(٤) سورة الحجرات آية ١٣.
(٥) سورة الغاشية آية ١٧.
(٦) سورة النحل آية ١٢٥.
(٧) سورة آل عمران آية ١٥٩.
(٨) سورة الكافرون.
(٩) سورة الكهف آيه ٢٩.

﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وفي هذه الآية يقول صاحب الميزان: «وفي قوله تعالى ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدينِ﴾ نفي الدين الإجباري، لما أن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنا اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه، فان الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد ألبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من سنخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال أن ينتج الجهل علما، أو تولد المقدمات غير العلمية تصديقا علميا، فقوله تعالى ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدينِ﴾ إن كان قضية إخبارية حاكية عن حال التكوين أنتج حكما دينيا ينفي الإكراه على الدين والاعتقاد وان كان حكما إنشائيا تشريعيا كما يشهده به ما عقبه تعالى من قوله ﴿قَدْ تَبينَ الرشْدُ مِنَ الْغَي﴾ كنهيه عن الحمل على الاعتقاد والإيمان كرها وهو نبي متك على حقيقة تكوينية وهي التي مر بيانا أن الإكراه إنما يعمل ويؤثر في مرحلة الأفعال البدنية دون الاعتقادات القلبية»[2].

وينقل عن التفاسير في مناسبة الا ول روايتين الأولى ما أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد قال: كانت النضير (قبيلة من اليهود) أرضعت رجالا من الأوس فلما مر النبي(ﷺ) بإجلائهم قال أبنائهم من الأوس: لنذهبن معهم ولندينن دينهم، فمنعهم أهلوهم واكرهوهم على الإسلام، ففيهم نزلت هذه الآية (لا إكراه في الدين) والثانية (ما أخرجه إسحاق وابن جرير عن ابن عباس في قوله (لا إكراه في الدين) قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي (ﷺ) «ألا استكرههما فإنما قد أبيا إلا النصرانية؟» فانزل الله فيه ذلك[3].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.

(٢) الميزان ، ج٢ص٣٤٢.

(٣) التعددية والحرية في الإسلام ص٣٠- ٣١.

سيرة النبي الكريم (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام)

تحوي سيرة النبي(ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) وصحابته (رضي الله عنهم) العديد من الروايات والأحاديث التي تحث على التحلي بالروح الايجابية، المتوازنة، الواعية، ونبذ التعصب بكافة حيثياته وأشكاله وصوره، والإرهاب الفكري بكل ما يحمله من اضطهاد للآخرين لكونهم مختلفين مع الفرد المسلم في الدين أو العقيدة أو الجنس أو اللون أو العرق، نستعرض بعضا منها فيما يلي:

ـ جاء في صحيح البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله قال «مر بنا جنازة فقال لها النبي(ﷺ) وقمنا به، فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي! قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا».

ـ وفي البخاري أيضا «كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، فقالا: إن النبي مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا».

ـ عن الرسول (ﷺ): «من آذى دميا فقد آذاني».

ـ روي أن غلاما لابن عباس ذب حشاة فقال له ابن عباس: إذا سلخت فابذأ بجارنا اليهودي، ثم كررها حتى قال له الغلام: لم تقول هذا؟ فقال: أن رسول الله (ﷺ) لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه يورثه.

ـ عن يعقوب بن الضحاك عن رجل من أصحابنا سراج وكان خادما لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: بعثني أبو عبد الله (عليه السلام) في حاجة وهو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه، فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتنمين، وكان فراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولا، فجئت وأنا بحال فرميت بنفسي.

فبينما أنا كذلك إذا أنا بابي عبد الله قد اقبل. فاستوى جالسا وجلس على صدر فراشي فسألني عما بعثني له، فأخبرته، فحمد الله، ثم جرى ذكر قوم فقلت: جعلت فداك، إنا نبرا منهم إنهم لا يقولون ما نقول. فقال: يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرءون منهم؟

قلت: نعم

قال: فهو إذا عندنا ما ليس عندكم لنا أن نبرا منكم؟
قلت: لا جعلت فداك
قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا افتراه اطرحنا؟
قلت: لا والله جعلت فداك. ما نفعل؟
قال: فتولوهم ولا تبرئوا منهم.

ـ عن عبد العزيز القراطيسي قال: «قال لي أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم. يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولون صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء.. حتى ينتهي إلى العاشرة. فلا تسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك وإذا رأيت من هو أسفل منك درجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه مالا يطيق فتكسره، فان من كسر مؤنا فعليه جبره».

ـ عن الصباح أبي سيابة، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال: ما انتم والبراءة يبرا بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي الدرجات.

ـ عن الإمام علي (عليه السلام): الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

ـ عن عمار بن أبي الاحوص قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام): إن عندنا أقواما يقولون بأمير المؤمنين ويفضلونه على الناس كلهم وليس يصفون ما نصف من فضلكم أنتولاهم؟

فقال لي: نعم في الجملة، أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله؟ ورسول الله من عند الله ما ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم وعندكم ما ليس عند غيركم. إن الله تبارك وتعالى وضع الإسلام على السبعة أسهم: على الصبر، والصدق، واليقين، والرضا، والوفاء، والعلم، والحلم. ثم قسم ذلك بين الناس فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم، فهو كامل الإيمان محتمل.

ثم قسم لبعض الناس السهم، ولبعض السهمين، ولبعض ثلاثة أسهم،

ولبعض الأربعة أسهم، ولبعض الخمسة أسهم، ولبعض الستة أسهم، ولبعض السبعة أسهم.

فلا تحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم، ولا على صاحب الثلاثة أربعة أسهم، ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم، ولا على صاحب الخمسة أسهم ستة أسهم، ولا على صاحب الستة سبعة أسهم، فتثقلوهم وتنفروهم ولكن ترفقوا بم وسهلوا لهم المدخل»[1].

ـ عن محمد بن يحي عن احمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن داود بن النعمان عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه.

ـ عن علي عن أبيه عن النوفلي عن ألسكوني عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية».

ـ عن الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحي عن خضر عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من تعصب عصبه الله بعصابة من نار.

ـ عن علي عن أبيه عن علي بن محمد القاساني عن القاسم بن محمد عن ألمنقري عن عبد الرزاق عن معمر الزهري قال: سئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن العصبية فقال: العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم.

ـ قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): لأفضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

ـ عن علي (عليه السلام): ما لأبن ادم والفخر أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه.

---

(١) البحار ج٦٦ ،ص١٦٩.

ـ عن أبي العباس قال: سئلت أبا عبد الله عن ادني ما يكون به الإنسان مشركا. فقال: من ابتدع رأيا فأحب عليه أو ابغض عليه.

ـ جاء في السير أن علي (عليه السلام) سئل عن أهل الجمل: أمشركون هم

قال: من الشرك فروا.

قيل: أمنافقون هم؟

قال: أن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.

قيل: فما هم؟

قال: إخواننا بغوا علينا(١).

ـ وجاء في النهج: أن علي (عليه السلام) كان جالسا في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بإبصارهم فقال: إن أبصار هذه الفحول طوامح وان ذا سبب هبابها فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله فإنما هي امرأة كامرأته. فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافرا ما افقه؟ فوثب القوم ليقتلوه، فمنعهم علي قائلا: رويدا إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب(٢).

ـ روى البخاري في باب بعث علي وخالد إلى اليمن: أن رجلا قام فقال: يا رسول الله اتق الله. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ويلك الست أحق أهل الأرض أن يتقى الله؟ فقال خالد: يا رسول الله ألا اضرب عنقه؟ قال: لا لعله أن يكون يصلي.

ـ عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعوذ في كل يوم من ست خصال: من الشك والشرك والحمية والغضب والبغي والحسد.

ـ العسقلاني في إصابته: في ترجمة سرحوق المنافق: انه أتي به ليقتل، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هل يصلي؟ قالوا: إذا رآه الناس؟قال: إني نيت أن اقتل المصلين.

---

(١)دراسات في ولاية الفقيه ج٢ص٨٠٧.

(٢) النهج قصار الحكم.

ـ جاء في كتاب الإسلام بين الشيعة والسنة: «أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال لتلميذه مسلم بن معاذ الهروي: بلغني انك تجلس في المسجد وتفتي الناس ؟

قال: نعم وكنت أود أن أسالك عن ذلك إذ يأتيني الرجل فاعرفه على مذهبكم فأفتيه بأقوالكم ويأتيني الرجل اعرفه على غير مذهبكم فأفتيه بأقوال مذهبه ويأتيني الرجل فلا اعرف مذهبه فاذكر له أقوال الأئمة وادخل قولكم بين الأقوال. فقال: أحسنت هكذا افعل»[1].

ـ عن الكليني عن أبي عسير عن عبد الله بن سنان قال: عن عبد الله بن سنان قال: قذف رجل مجوسي عند أبي عبد الله فقال الإمام الصادق (عليه السلام): أمه، فقال الرجل: أن ينكح أمه، فقال الإمام: ذاك عندهم نكاحٌ في دينهم.

ـ في رواية الغوالي: أن رجلاً سبّ مجوسياً بحضرة الإمام الصادق (عليه السلام) فزجره ونهاه فقال له: إنه تزوّج أمه، فقال (عليه السلام): أما علمت أن ذلك عندهم نكاح؟.

ـ وعن الصادق عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه ما فعل غريمك؟ قال أحدهم: ذاك ابن فاعلة، فنظر إليه أبو عبد الله الصادق نظراً شديداً فقال: جعلت فداك إنه مجوسي نكح أمه فقال الإمام: أوليس ذلك من دينه نكاح؟.

ـ في رواية: مرّ الإمام علي عليه السلام بشيخ مكفوف كبير يسأل فقال: ما هذا فأجابه أحد أصحابه: يا أمير المؤمنين هذا نصراني، فقال الإمام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال.

ـ عن كثّير بن نمرة: بينما أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب على المنبر إذ جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكّمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق ينبغي بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم إلا أنه لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا: لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئاً

---

(١) الإسلام بين الشيعة والسنة ج٢، ص٦٩.

ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا، ثم أخذ في خطبته.

ـ سئل الإمام الصّادق عليه السلام: ما أدنى ما يكون به العبد كافراً؟ فأخذ حصاةً من الأرض فقال: إنه يثمرغ شيئاً فيتولّى عليه ويبرأ ممن خالفه.

ـ عن أبي العباس قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أدنى ما يكون الإنسان مشركاً، قال: من ابتدع رأياً فأحب عليه أو أبغض عليه.

ـ يروى عن المفضّل بن عمر أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) انه كان جالساً في الروضة الشريفة في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفكّر كيف خصّ الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة والشرف والفضل، إذ أقبل أبو العرجاء فجلس في مكان قريب من الروضة بحيث يسمع ما يقوله المفضّل فلما استقر به المجلس قال له صاحبه: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، فقال: صاحب آخر: إنه كان فيلسوفاً ادّعى النبوة العظمى واله لة الكبرى، فقال ابن أبي العرجاء: دع ذكر محمد فقد تحيّر فيه عقلي وضلّ فيه أمر فكري وحدّثنا في الأصل الذي يمشي به، ثم تكلّم بكلام مراده منه أن الدنيا بلا خالق ولا مدبر، فلم يتمالك المفضّل نفسه فأقبل عليه قائلا: يا عدو الله ألحدت في دين الله وأنكرت الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم وصوّرك في أتمّ صورة ونقلك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حين انتهيت؟ فقال ابن أبي العرجاء: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن تبينت حجة تبعناك وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادلنا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدّى في جوابنا، ويسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستغرف حجتنا حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننا أنا قد قطعناه أدحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه رداً فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

ـ روي أن امرأتين جاءتا علي (عليه السلام) عند القسمة إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهما وكدا من الطعام، فقالت العربية يا أمير المؤمنين إني امرأة من العرب وهذه امرأة من

العجم فقال علي (عليه السلام) لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق[1].

ـ روى الطوسيّ في «التهذيب» عن الصادق قول أمير المؤمنين لمّا قدِم الكوفة وأمر الحسنَ بن عليّ أن ينادي في الناس: (لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة)، فنادى في الناس الحسنُ بن عليّ بما أمره به أميرُ المؤمنين، فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن عليّ صاحوا: واعُمَراه! واعمراه! فلمّا رجع الحسن إلى أمير المؤمنين قال له: ما هذا الصوت؟

فقال: يا أمير المؤمنين! الناس يصيحون: واعمراه! واعمراه! فقال أمير المؤمنين: قل لهم: صلّوا.

ـ جاء عن علي (عليه السلام) في الخطبة القاصعة: الْحَمْدُ لِلهِ الذِي لَبِسَ الْعِز والْكِبْرِيَاءَ واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ واصْطَفَاهُمَا لِجَلالِهِ.

وَ جَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ ثُم اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلائِكَتَهُ الْمُقَرَبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ إِني خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ وتَعَصبَ عَلَيْهِ لأَصْلِهِ فَعَدُو اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِبِينَ وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيةِ وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيةِ وادرَعَ لِبَاسَ التعَززِ وخَلَعَ قِنَاعَ التذَللِ أَ لا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغرَهُ اللهُ بِتَكَبرِهِ ووَضَعَهُ بِتَرَفعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدنْيَا مَدْحُوراً وأَعَد لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً.

وَ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ وطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ ولَوْ فَعَلَ لَظَلتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ولَخَفتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلائِكَةِ وَ لَكِن اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وإِبْعَاداً

(١) الغارات ج١، ص٣١.

لِلْخُيَلاءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطويلَ وجَهْدَهُ الْجَهِيدَ وكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتةَ آلافِ سَنَةٍ لا يُدْرَى أ مِنْ سِنِي الدنْيا أَمْ مِنْ سِنِي الآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلا مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً إِن حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السمَاءِ وأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُو اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وأَنْ يَسْتَفِزكُمْ بِنِدَائِهِ وأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ وأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنزْعِ الشدِيدِ ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ فَقَالَ رَب بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِنَن لَهُمْ فِي الأَرْضِ ولأُغْوِيَنهُمْ أَجْمَعِينَ قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْماً بِظَن غَيْرِ مُصِيبٍ صَدقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيةِ وإِخْوَانُ الْعَصَبِيةِ وفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَ الْجَاهِلِيةِ حَتى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ واسْتَحْكَمَتِ الطمَاعِيةُ مِنْهُ فِيكُمْ فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السر الْخَفِي إِلَى الأَمْرِ الْجَلِي اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذل وأَحَلوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ وأَوْطَئُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونكُمْ وحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ وقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ وسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النارِ الْمُعَدةِ لَكُمْ فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً وأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وعَلَيْهِمْ مُتَأَلبِينَ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدكُمْ ولَهُ جِدكُمْ فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ووَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ وأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ وقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُل مَكَانٍ وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُل بَنَانٍ لا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ولا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُل وحَلْقَةِ ضِيقٍ وعَرْصَةِ مَوْتٍ وجَوْلَةِ بَلاءٍ فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيةِ فَإِنمَا تِلْكَ الْحَمِيةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ واعْتَمِدُوا وَضْعَ التذَللِ عَلَى رُءُوسِكُمْ وإِلْقَاءَ التعَززِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ وخَلْعَ التكَبرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ واتخِذُوا التوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوكُمْ إِبْلِيسَ وَ جُنُودِهِ فَإِن لَهُ مِنْ كُل أُمةٍ جُنُوداً وأَعْوَاناً وَرَجِلاً

وقُرْسَاناً ولا تَكُونُوا كالْمُتَكبِرِ عَلَى ابْنِ أُمِهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ وقَدَحَتِ الْحَمِيةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ وَنَفَخَ الشيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ الندَامَةَ وأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ألا وقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ وأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلهِ بِالْمُنَاصَبَةِ ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِيةِ فَإِنهُ مَلاقِحُ الشنَئَانِ ومَنَافِخُ الشيْطَانِ التِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ حَتى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ومَهَاوِي ضَلالَتِهِ ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصدُورُ بِهِ.

ألا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ الذِينَ تَكَبرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وتَرَفعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبهِمْ وَ جَاحَدُوا اللهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ ومُغَالَبَةً لِآلائِهِ فَإِنهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيةِ ودَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيةِ فَاتقُوا اللهَ ولا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً ولا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُساداً ولا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وخَلَطْتُمْ بِصِحتِكُمْ مَرَضَهُمْ وأَدْخَلْتُمْ فِي حَقكُمْ بَاطِلَهُمْ وهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وأَحْلاسُ الْعُقُوقِ اتخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلالٍ وجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى الناسِ وتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ ودُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ ومَوْطِئَ قَدَمِهِ ومَأْخَذَ يَدِهِ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وصَوْلاتِهِ ووَقَائِعِهِ ومَثُلاتِهِ واتعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ واسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدهْرِ فَلَوْ رَخصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخصَ فِيهِ لِخَاصةِ أَنْبِيَائِهِ وأَوْلِيَائِهِ ولَكِنهُ سُبْحَانَهُ كَرهَ إِلَيْهِمُ التكَابُرَ ورَضِيَ لَهُمُ التوَاضُعَ فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ وعَفرُوا فِي الترَابِ وُجُوهَهُمْ وخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ وابْتَلاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ وامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ ومَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ فَلا تَعْتَبِرُوا الرضَى والسخْطَ بِالْمَالِ والْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ والاخْتِبَارِ فِي

مَوْضِعِ الْغِنَى والاقْتِدَارِ فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَ يَحْسَبُونَ أنما نُمِدهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ فَإِن اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَ لَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ (عليه السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصوفِ وبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِي فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ ودَوَامَ عِزهِ فَقَالَ أَ لا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِز وَبقَاءَ الْمُلْكِ وهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ والذل فَهَلا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذهَبِ وجَمْعِهِ واحْتِقَاراً لِلصوفِ ولُبْسِهِ ولَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لأَنبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنوزَ الذهْبَانِ ومَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ومَغَارِسَ الْجِنَانِ وأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيورَ السمَاءِ ووُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ ولَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاءُ وَبطَلَ الْجَزَاءُ وَ اضْمَحَلتِ الأَنبَاءُ ولَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ ولا اسْتَحَق الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ولا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا ولَكِن اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ والْعُيونَ غِنًى وخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبصَارَ والأَسْمَاعَ أَذًى ولَوْ كَانَتِ الأَنبِيَاءُ أَهْلَ قُوةٍ لا تُرَامُ وعِزةٍ لا تُضَامُ ومُلْكٍ تُمَد نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرجَالِ وتُشَد إِلَيْهِ عُقَدُ الرحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الاعْتِبَارِ وأَبعَدَ لَهُمْ فِي الاسْتِكْبَارِ ولَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النياتُ مُشْتَرَكَةً والْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً ولَكِن اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاتبَاعُ لِرُسُلِهِ والتصْدِيقُ بِكُتُبِهِ والْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ والاسْتِكَانَةُ لأَمْرِهِ والاسْتِسْلامُ لِطَاعَتِهِ أُموراً لَهُ خَاصةً لا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وكُلمَا كَانَتِ الْبَلْوَى والاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ والْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلا تَرَوْنَ أَن اللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَولِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لا تَضُر ولا تَنْفَعُ ولا تُبْصِرُ ولا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الذِي جَعَلَهُ لِلناسِ قِيَاماً ثُم وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً وأَقَل نَتَائِقِ الدنْيَا مَدَراً وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ورِمَالٍ دَمِثَةٍ وعُيُونٍ وَشِلَةٍ وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ لا يَزْكُو بِهَا خُف ولا حَافِرٌ ولا ظِلْفٌ ثُم أَمَرَ آدَمَ (عليه السلام)

وولَدَهُ أنْ يَثْنوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ وغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ ومَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ حَتى يَهُزوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِلُونَ لِلهِ حَوْلَهُ ويَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبذُوا السرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وشَوهُوا بِإِعْفَاءِ الشعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمُ ٱبتِلاءً عَظِيماً وامْتِحَاناً شَدِيداً واخْتِبَاراً مُبِيناً وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ ووُصْلَةً إِلَى جَنتِهِ ولَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَناتٍ وأَنْهَارٍ وسَهْلٍ وقَرَارٍ جَم الأشْجَارِ دَانِيَ الثمَارِ مُلْتَف الْبُنَى مُتصِلَ الْقُرَى بَيْنَ بُرةٍ سَمْرَاءَ ورَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ورِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاءِ ولَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا والأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُردَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وُنورٍ وضِيَاءٍ لَخَففَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشك فِي الصدُورِ ولَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ولَنَفَى مُعْتَلَجَ الريْبِ مِنَ الناسِ ولَكِن اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشدَائِدِ وَيَتَعَبدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتكَبرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وإِسْكَاناً لِلتذَللِ فِي نُفُوسِهِمْ ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ وأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وآجِلِ وَخَامَةِ الظلْمِ وسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى التِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرجَالِ مُسَاوَرَةَ السمُومِ الْقَاتِلَةِ فَمَا تُكْدِي أَبداً ولا تُشْوِي أَحَداً لا عَالِماً لِعِلْمِهِ ولا مُقِلاً فِي طِمْرِهِ وعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصلَوَاتِ والزكَوَاتِ ومُجَاهَدَةِ الصيَامِ فِي الأيامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لأَطْرَافِهِمْ وَتخْشِيعاً لأَبْصَارِهِمْ وَتذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ وَتخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وإِذْهَاباً لِلْخُيَلاءِ عَنْهُمْ ولِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالترَابِ تَوَاضُعاً والْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً ولُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصيَامِ تَذَللاً مَعَ مَا فِي الزكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ والْفَقْرِ.

انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الأفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأشْيَاءِ إِلا عَنْ

عِلةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلاءِ أَوْ حُجةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السفَهَاءِ غَيْرَكُمْ فَإِنكُمْ تَتَعصَبُونَ لأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ ولا عِلةٌ أَما إِبْلِيسُ فَتَعَصبَ عَلَى آدَمَ لأَصْلِهِ وطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنا نَارِي وأَنتَ طِينِي.

وَ أَما الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ فَتَعَصبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النعَمِ فَ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَموالاً وأَوْلاداً وما نَحْنُ بِمُعَذبِينَ فَإِنْ كَانَ لا بُد مِنَ الْعَصَبِيةِ فَلْيَكُنْ تَعَصبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ومَحَامِدِ الأَفْعَالِ ومَحَاسِنِ الأُمُورِ التِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ والنجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ ويَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ بِالأَخْلاقِ الرغِيبَةِ والأَحْلامِ الْعَظِيمَةِ والأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ والآثَارِ الْمَحْمُودَةِ فَتَعَصبُوا لِخِلالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ والْوَفَاءِ بِالذمَامِ والطاعَةِ لِلْبِر والْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ والأَخْذِ بِالْفَضْلِ والْكَف عَنِ الْبَغْيِ والإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ والإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ والْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَ اجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ وذَمِيمِ الأَعْمَالِ فَتَذَكرُوا فِي الْخَيْرِ والشر أَحْوَالَهُمْ واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُم...)[1].

نقد الروايات المتعارضة

تطرح من جانب أهل السنة والجماعة بعض الروايات التي تشير إلى الإرهاب والتعصب من قبل النبي (ﷺ)، وهي بلا شك روايات تتعارض مع كافة الأسس والمباني والأركان التي جاء بها الإسلام كدين سماوي خاتم، وكذلك سيرة النبي (ﷺ) التي يتفق عليها المسلمين بأجمعهم وآيات القران الكريم التي تدعوا إلى الرحمة والرفق بالعباد، ولعلها جاءت لتبرير الصراع الدموي على السلطة بين الخلفاء، والقمع الشديد للمعارضة، وتبريرا للنظام الاجتماعي والفقهي السائد في تلك المرحلة من تاريخ الدولة الإسلامية، والباحث المطلع على الديانة الإسلامية أهدافها وأسسا يجدها تتعارض تماما مع شخصية النبي (ﷺ) التي يصورها التاريخ كشخصية إنسانية غاية في الكمال

(١) نهج البلاغة خطبة ١٩٢ الجزء الثالث.

والأدب والاستقامة، يقول القرآن الكريم ﴿وَإِنكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾[1]، ولعل مثل هذه الروايات استغلت من قبل بعض المستشرقين الذين ذابوا على مهاجمة شخصية النبي (ﷺ) ودين الإسلام، واتخذوا من أقوال بعض العلماء من أهل السنة مستندا لأرائهم النائية لحقيقة الأمر وواقعه، ورغم أن تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي والعقائدي والفقهي محفوف بالدماء إلا أن الأسس والمباني والأركان لا يمكن أن تجرم ليتخذها الباحث مدارا للتاريخ، فالتاريخ لا بد أن يوضع في مدار الأسس وليس العكس، وإذا ما كان ذلك فان تجريم الأسس والأركان لاعتبارات التاريخ أمر دخيل في المنطق الرشيد عادة.

من هذه الروايات ما نسب إلى النبي (ﷺ) قوله «بعث بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له. وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»[2].

قال ابن رجب الحنبلي: «والذي يظهر أن في القرآن أربعة سيوف. سيف على المشركين حتى يسلموا أو يؤسروا فإما منا بعد وإما فداء وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة. وقد أمر الله بجهادهم والإغلاظ عليهم في سورة براءة وسورة التحريم وآخر سورة الأحزاب. وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية. وسيف على أهل البغي وهو مذكور في سورة الحجرات ولم يسل (ﷺ) هذا السيف في حياته».

إلا أن النبي (ﷺ) يقول أيضا في حديث مسند «بني الإسلام على ثلاث مال خديجة وسيف علي وأخلاق محمد»، ويخالف مضمون هذا الحديث عشرات الروايات والأحاديث والآيات القرآنية المتعارضة، منها لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فما بال لو كان النبي (ﷺ) مريقا للدماء مجبولا على الغلبة وإشهار السيف، ولعل ما ناله من قريش من أذى كفيل بإيقاظ روح العداوة والانتقام في شخصه إلا انه عفا عن

---

(١) سورة القلم آية ٤.

(٢) رواه أحمد والطبراني. أنظر الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي (ﷺ) «بعث بالسيف بين يدي الساعة» لابن رجب الحنبلي.

قريش بأجمعها عند دخوله لمكة في قول مشهور وجهه لقريش«اذهبوا فانتم الطلقاء».

وينسب للنبي(ﷺ) انه رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه. وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده». فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله. خذ خاتمك فانتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله[1].

.. قال الفقهاء: قوله فنزعه فطرحه. وهذا أبلغ في باب الإنكار. ولذا قدمه (ﷺ) في قوله: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده». وقال النووي : فيه إزالة المنكر باليد لمن قدر عليها. وقيل: نزع الخاتم من يده وطرحه دليل على غضب عظيم وتهديد شديد وفيه أن النهي للتحريم المتوعد عليه بالنار وقول صاحبه لا آخذه مبالغة في اجتناب النهي إذ لو أخذه لجاز ولكن تركه تورعا لمن يأخذه من الضعفاء لأنه نهاه عن لبسه خاصة لا عن التصرف فيه بغير اللبس...

مما لاشك فيه أن تصرف النبي(ﷺ) في هذه الرواية لا يليق بقدسية شخصه ومكانته العظيمة بين المسلمين، أن معالجة لسلوك خاطئ لرجل من المسلمين بهذه الكيفية تنم عن تعصب مقيت وشخصية متسمة بالغطرسة والقسوة وهذا بعيد عن شخصية الأنبياء السماويين وعلى رأسهم النبي الكريم (ﷺ)، إن غرس مثل هذه الروايات في أذهان الناشئة ساهم في خلق الجماعات التكفيرية وبلورت شخصيات منتسبيها بالإرهاب

والتعصب والتطرف وسائر الظواهر المعادية للذات الإنسانية السوية وهاهي الجماعات الإرهابية كالتكفير والهجرة والقاعدة والجماعة الإسلامية في العراق والجزائر ومصر وأنحاء الجزيرة العربية في السعودية والكويت واليمن تمارس القتل والبطش وتتخذ من هذه الروايات منارا، كيف لا وأفراد هذه

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة.. صحيح مسلم. هامش باب في طرح خاتم الذهب. كتاب اللباس والزينة.

الجماعات نلوا منها منذ نعومة أظفارهم، خاصة مع تبرير هذه الروايات من قبل عدد من الفقهاء المعتبرين لدى مجاميعهم الفقهية التي تستند في تقديم الرواية حتى لو كانت ضعيفة أو مجروحة السند على القرآن والعقل لاسيما في مدرسة الفقه الحنبلي الذي تنتمي إليه معظم الحركات الإسلامية السنية.

ومما يروى ونترك التعليق للقارئ عن ابن هريرة أن الرسول (ﷺ) قال: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار».. وفي رواية أخرى: «ثم تحرق بيوت على من فيها».. قال الفقهاء: المراد أناس مفقودين بعض من المنافقين فإنه لا يظن بالمؤمنين أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع سيد المرسلين.. وقيل هذا مختص بزمانه (ﷺ) لأنه لم يتخلف عن الجمعة في ذلك الوقت إلا منافق ويحتمل أن يحصل عاما فيكون تشديدا على تاركي الجمعة بغير عذر وتنبيها على عظم إثمهم[1]..

(الإرهاب) في النص الإسلامي:

من خلال خاصية البحث الالكتروني لأكثر من ٣٠٠٠ مصدر من مصادر المسلمين شيعة وسنة نستطيع اليقين بان (الإرهاب) لم يكن في يوم ما من مكونات الأيدلوجية الإسلامية، وإنما هو ظاهرة انتابت الإسلام التاريخي والفقهي لعوامل وأسباب تكونت بفعل الفراغ السياسي الذي عاشته الأمة بعد وفاة النبي (ﷺ)، والصراع المحتدم على السلطة الذي ظلت الأمة الإسلامية أسيرة له طوال قرون طويلة انتهاء بالقرن الأول من الألفية الثالثة، ولسنا في هذا الفصل بصدد استعراض عوامل الإرهاب والتعصب في العالم على وجه العموم، والأمة الإسلامية والعربية على وجه الخصوص فذلك في الفصل الرابع من هذا الكتاب، وإنما نؤكد على أمرا هام وحيوي، أن الحركات الإسلامية والتيارات الدينية الملتزمة بالإرهاب فكرا ونجا وتطبيقا، ارتأته دون الرجوع إلى

---

(١) مسلم. كتاب المساجد. باب فضل صلاة الجماعة والتشدد في التخلي عنها. وانظر أبو داود كتاب الصلاة... أنظر أبواب الجهاد في كتب السنن...

المكونات الارتكازية للعقيدة الإسلامية، والتي يتفق عليها جل المسلمين تقريبا، وإنما اتخذت الإرهاب طريقا نتيجة تلك العوامل المرتبطة بالفراغ السياسي، والصراعات المرتبطة به، لذلك فإنا تعتمد في تبرير كفاحها الدموي على فتاوى صادرة من أشخاص معدومي الكفاءة والشأن على مستوى الأمة، وأما أن تستدل بالنبي (ﷺ) أو الصحابة أو ما يعرف بالسلف الصالح، فهذا إنما ينجز عبر الفهم الغير دقيق للرواية أو الحدث التاريخي عبر النهج السلفي الذي لا يستند في الغالبية العظمى من الأحيان على أية قراءة واعية ومتوازنة وحية للنص، وإنما يتجه لتبرير لاعقلاني يصب في نفوس القاعدة المشحونة بالتعصب والعاطفة دون الالتفات للحسابات العقلية والمنطقية، وفي الصفحات القادمة أن شاء الله متسع من الخطاب في هذا الـال، ونستعرض في الوجيز التالي مجموعة من النصوص الإسلامية، سواء في الحديث، أو في البحوث الفقهية، لنتتبع من خلالها موارد الإرهاب ومشتقاته (إرهابا) و (ارهب).

أولا: إرهاب

١ ـ بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤ باب غزوة احد وغزوة حمراء الأسد:

فقال أبو سفيان «اعل هبل». فقال النبي (ﷺ) «قولوا الله أعلى واجل». فقال أبو سفيان «موعدنا وموعدكم بدر الصغرى». ونام المسلمون وفيهم الكلوم وفيهم نزلت «إن يمسسكم قرح.الآية».

وفيهم نزلت أن تكونوا تألمون..الآية. لان الله تعالى أمرهم على ما بهم من الجراح أن يتبعوهم وأراد بذلك إرهاب المشركين، فخرجوا إلى حمراء الأسد، وبلغ المشركين ذلك فأسرعوا حتى دخلوا مكة...

٢ ـ بحار الأنوار ج٢١ ص٢٠٧ باب غزوة تبوك وقصة العقبة:

«يا علي أن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك». وذلك أن النبي (ﷺ) علم خبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ممن غزاهم وسفك دمائهم، فأشفق أن يصيبوا المدينة عند نأيه عنها وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن من معرتم وإيقاع الفساد في دار هجرته.والتخطي

إلى ما يشين أهله ومهلفيه، وعلم (ﷺ) انه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين (عليه السلام).

٣ ـ بحار الأنوار ج٦٣ ص١٧٣ باب ما يصل من الطيور وسائر الحيوان:

يقال للسادات جماجم، ومنذ حديث عمر ائت الكوفة فأن با جمجمة العرب، أي سادتا، لان الجمجمة، الرأس، وهو اشرف الأعضاء، وقيل جماجم العرب التي تجمع البطون فتنسب إليها، وقال فيها «السلطان ظل الله ورمحه» استوعب باتين الكلمتين نوعي ما على الوالي للرعية، لحدهما الانتصار من الظالم، والإعانة، والآخر إرهاب العدو ليرتدع عن قصد الرعية وأداهم، ويأمنوا بمكانه من الشر.

٤ ـ مصباح الفقاهة للسيد الخوئي، ج١ القسم الثالث ما يحرم لتحريم ما يقصد منه شانا بمعنى أن من شانه أن يقصد منه الحرام. مسألة حرمة بيع السلاح من أعداء الدين ص ٣٠٥.

انه قد أمر في الآية الشريفة[1] بجمع الأسلحة وغيرها للاستعداد والتهيئة إلى إرهاب الكفار وقتالهم، فبيعها منهم ولو في حال الهدنة نقض للغرض فلا يجوز، وأما ما دل على الجواز فانه لضعف سنده لا يقام الروايات المانعة، ويضاف إليها انه ظاهر في سلاطين الجور من أهل الخلاف.

٥ ـ شرح الأزهار، ج٤ الإمام احمد المرتضى ص٩١.

قال في الكافي: خصي الآدمي محرم بالإجماع والخيل مكروه لأنه يذهب صهيلها الذي يحصل به إرهاب العدو وفي سائر الحيوانات جائز وحرمه بعضهم.

٦ ـ نضد القواعد الفقهية المقداد السيوري ص٢٧٦:

وقد علم (منه) أن التجمل ليس من الكبر في شي، وقسم بعضهم

---

(١) ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ــ الأنفال آية ٦٢.

التجمل بانقسام الأحكام الخمسة:

١ ـ الواجب: كتجمل الزوجة عند إرادة الزوج منها ذلك، وتجمل ولاة الأمر إذا كان طريق إلى إرهاب العدو...

٧ ـ بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني، ج٧ ص١٢٦ -١٢٧.

وأما الكلام في الأربعة الأخماس ففي موضعين في باين من يستحق السهم منها ومن لا يستحق وفي بيان مقدار الاستحقاق أما الأول فالذي يستحق السهم هو الرجل المسلم المقاتل وهو أن يكون من أهل القتال ودخل دار الحرب على قصد القتال وسواء قاتل أو لم يقاتل لان الجهاد والقتال إرهاب العدو وإدا كما يحصل بمباشرة القتل يحصل بثبات القدم في صف القتال.

وقال تعالى عز شانه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقال جلت عظمته وكبرياءه ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾. وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطائِفَتَيْنِ أَنهَا لَكُمْ﴾، وغير ذلك من النصوص، والذي جاوز الدرب فارسا على قصد القتال مجاهد لوجهين احدهما أن المجاوزة على هذا الوجه إرهاب العدو وانه جهاد والدليل على انه إرهاب العدو وانه جهاد قوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ولان دار الحرب لا تخلو من عيون الكفار وطلائعهم فإذا دخلها جيش كثيف رجالا وركبانا فالجواسيس يخبرونهم بذلك فيقع الرعب في نفوسهم حتى يتركوا القرى والرساتيق هرابا إلى القلاع والحصون المنيعة فكان مجاوزة الدرب على قصد القتال إرهاب العدو وانه جهاد.

ثانيا: إرهابا

ـ شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٧ ص٢٢٢.

الطعن الحادي عشر: والجواب أن الفجاءة جاء إلى أبي بكر كما ذكر أصحاب التواريخ فطلب منه سلاحا يتقوى به على الجهاد في أهل الردة فأعطاه فلما خرج قطع الطريق ونهب أموال المسلمين وأهل الردة جميعا وقتل كل من وجد كما فعلت الخوارج حيث خرجت فلما ظفر به أبو بكر رأى حرقه بالنار

إرهابا لأمثاله من أهل الفساد ويجوز للإمام أن يخص النص العام بالقياس الجلي عندنا.

ثالثا: إرهابه

١ ـ تقريب المعارف لتقي الدين أبي الصلاح الحلبي ج١ ص١٧١.

«وإرهابه أهل البغي لطف فيه وان كانا مرتفعين بغيبته الحاصلة عن جناية المكلف عن نفسه فالتبعة عليه دون مكلفه سبحانه ودون الحجة الملطوف له بوجوده وتكليفه لازم له وان فقد لطفه بالرئاسة لوقوف المصلحة في ذلك على إيثاره معرفة الإمام والانقياد له».

٢ ـ شرح النهج، ج١٧ ص ١١١ فصل فيما جاء في الحذر من كيد العدو.

«قال انه ليس من ادعى إلى حلول النقم وزوال النعم وانتقال الدول من سفك الدم الحرام. انك ظننت انك تقوي سلطانك بذلك فليس الأمر كما ظننت بل تضعه بل تعدمه بالكلية. ثم عرفه أن قتل العمد يوجب القود وقال له قود البدن أي يجب عليك هدم صورتك كما هدمت صورة المقتول والمراد إرهابه بهذه اللفظة أنا ابلغ من أن يقول له فان فيها القود».

٣ ـ شرح النهج ج١٨ ص ٤١٢.

ومن كلام بعض الحكماء: إذا اضطررت إلى مصاحبة السلطان فابدأ بالفحص عن معتاد طبعه ومألوف خلقه ثم استحدث لنفسك طبعا ففرغه في قالب إرادتك وخلقا تركبه مع موضع وفاقه حتى تسلم منه وان رايته يهوى فنا من فنون المحبوبات فاظهر هواك لضد ذلك الفن ليبعد عنك إرهابه.

رابعا: ارهبه

١ ـ الكافي ج٥ ص٥٣.

علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن محبوب رفعه أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب يوم الجمل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم فدعوني إلى أن اصبر للجلاد وابرز للطعان

فلا مهم الهبل وقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب أنصف القارة من رماها فلغيري فليبرقوا وليرعدوا فانا أبو الحسن الذي فللت صدهم وفرقت جماعاتم وبذلك القلب ألقى عدوي وأنا على ما وعدني ربي من النصر .

٢ ـ الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج٤ ص١١١.

«واخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه قال بلغني إن الله لما أراد أن يخلق الفرس قال لريح الجنوب إني خالق منك خلقا اجعله عز لأوليائي ومذلة لأعدائي وحمى لأهل طاعتي فقبض من الريح قبضة فخلق منها فرسا فقال سميتك فرسا وجعلتك عربيا، الخير معقود بناصيتك والغنائم محازة على ظهرك والغنى معك حيث كنت أرعاك لسعة الرزق على غيرك من الدواب وجعلتك لها سيدا وجعلتك تطير بلا جناحين فأنت للطلب وأنت للهرب وسأحمل عليك رجالا يسبحوني فتسبحي معهم إذا سبحوا ويهللوني فتهللي معهم إذا هللوا ويكبروني فتكبري معهم إذا عبدوا فلما صهل الفرس قال باركت عليك ارهب بصهيلك المشركين أملا منه أذانم وأرعب منه قلوبم وأذل به أعناقهم... ».

ملامح التعصب في الفقه الإسلامي :

لم تكن الروح الايجابية للديانة الإسلامية المتجسدة في السيرة النبوية بما تحويه من سيرة النبي (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) وصحابته (رضي الله عنهم) قد تجسدت في الواقع الإسلامي، فالفقه باعتباره الواجهة التشريعية للإسلام جاء بأحكام غير متوافقة مع قيم الارتكاز في الإسلام، لاسيما في هذا العصر الذي يزخر بثروة علمية هائلة لاسيما في الحقول الإنسانية، ولعل هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى توجيه تم الإرهاب والتعصب ونبذ الانفتاح، وعدم شيوع التسامح كسلوك شرقي إسلامي عام.

إن ظهور الجماعات الإسلامية التي تمارس العنف من اجل تحقيق أهدافها المشروعة وغير المشروعة وتعاني في اغلب الأحيان من التشدد والتطرف والانغلاق المؤدي إلى الإرهاب في نماية الأمر يبقى محركها الرئيسي تلك

الفتاوى والأحكام التي تعبر في وعيهم عن تعاليم الدين أي إرادة النبي (ﷺ) ومن ثم إرادة الله.

وهذا مما لا شك فيه أمر شائك وخطير، فالإسلام كديانة سماوية في المقام الأول لا يمكن وصمه بالإرهاب دون دليل يستسقى من جوهره ونزعته الأولى دون الأخذ بعين الاعتبار الاجتهادات التي يمكن توجيه النقد لأسسها وأركانا ومسارها باعتبارها تعرضت في نشأتا لعوامل خارجية بعيدة عن المنطلقات والأسس الرصينة التي كان من المفترض أن تسير على هديها حركة الاجتهاد وتنمية الشريعة وشموليتها للحياة الإنسانية.

باعتقادنا يرجع الاختلال وفقدان التوازن بين إسلام النص والأخلاق، وبين إسلام الفقه والاجتهاد، لعدة عوامل عميقة في تاريخ التشريع الإسلامي ذاته، نستطيع التعرض لبعضها من خلال النقاط التالية.

١ ـ في حياة النبي (ﷺ) تكونت عدة تيارات قريبة من مواقع السلطة والنفوذ، وكان بعضها يترقب وفاة النبي (ﷺ) من اجل تحقيق غرض الاستيلاء على السلطة في حمية عصبية موروثة من النظام الجاهلي السابق، ولم يقم النبي (ﷺ) بأية إجراءات حاسمة تدف إلى تصفيتها أو إقصائها من مواقعها، هذه التيارات استطاعت بعد وفاة النبي (ﷺ) مباشرة الاستيلاء على السلطة والإمساك بزمام الأمور مما أدى إلى حدوث صراع مرير على السلطة تجاوز منطلقاته السياسية إلى أبعاد عقائدية وفقهية ومذهبية ما تزال محك جدل بين المذاهب الإسلامية إلى يومنا هذا.

تقول السير أن النبي (ﷺ) تشدد في بعث جيش لحرب الروم ضم العديد من الصحابة على رأسهم أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وتقول المصادر الشيعية أن النبي (ﷺ) كان يهدف لإبعادهم عن دائرة الأحداث حال وفاته، ليتمكن ابن عمه وزوج ابنته الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) من تبوء منصب الخلافة، ينقل عن النبي(ﷺ).

بعد طعن العديد من الصحابة في أمرة أسامة وعدم التزامهم أوامره، يقول (ﷺ): «أن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل أيم

والله انه كان لخليقا للإمارة وان أبيه من بعده لخليقا للإمارة».

ومن خلال الحوا ر الذي تناقلته السير في اجتماع يوم السقيفة، وما جرى أثنائها وما بعدها من أحداث نستطيع تلمس الحس المشبع بالعصبية القومية والعشائرية وأساليب الترهيب التي استخدمت من اجل إجبار الصحابة الذين رفضوا اجتماع السقيفة على البيعة، يقول ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: «أن النبي عليه الصلاة والسلام لما قبض، اجتمعت الأنصار (رضي الله عنهم) إلى سعد بن عبادة، فقالوا له : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قبض. فقال سعد لابنه قيس (رضي الله عنهم): إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلاما لمرضي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم، فكان سعد يتكلم، ويحفظ ابنه (رضي الله عنهم) قوله، فيرفع صوته، لكي يسمع قومه، فكان مما قال (رضي الله عنه)، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : يا معشر الأنصار إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبث في قومه بضع عشرة سنة، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا قليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يعرفوا دينه، ولا يدفعوا عن أنفسهم،حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم، وأثقله على عدوكم من غيركم، حتى استقاموا لأمر الله تعالى طوعا وكرها، وأعطى البعيد المقادة صاغرا داحرا حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله تعالى وهو راض عنكم [وبكم] قرير العين، فشدوا أيديكم بذا الأمر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به. فأجابوه جميعا: أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت توليتك هذا الأمر، فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضا. قال فأتى الخبر إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، ففزع أشد الفزع، وقام معه عمر رضي الله عنهما، فخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) فانطلقوا رضي الله عنهم جميعا، حتى دخلوا سقيفة بني ساعدة، وفيها رجال من الأشراف، معهم سعد بن عبادة (رضي الله عنه)،

فأراد عمر (رضي الله عنه) أن يبدأ بالكلام، وقال: خشيت أن يقصر أبو بكر (رضي الله عنه) عن بعض الكلام. فلما تيسر عمر للكلام، تجهز أبو بكر (رضي الله عنه)وقال له: على رسلك، فستكفى الكلام، فتشهد أبو بكر (رضي الله عنه)، وانتصب له الناس، فقال: إن الله جل ثناؤه بعث محمدا (صلى الله عليه وسلم) بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا إليه، فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما، والناس لنا فيه تبع، ونحن عشرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة. وأنتم أيضا والله الذين آووا ونصروا، وأنتم وزراؤنا في الدين، ووزراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنتم إخواننا في كتاب الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء، والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه، فأنتم أحب الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمر الله عز وجل ولما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين رضي الله عنهم، وهم أحق الناس فلا تحسدوهم، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة، والله ما زلتم مؤثرين إخوانكم من المهاجرين، وأنتم أحق الناس ألا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم، وأبعد أن لا تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى إليهم، وإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر، وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر، وكلاهما له أهل، فقال عمر وأبو عبيدة رضي الله عنهما: ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب الغار ثاني اثنين، وأمرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصلاة فأنت أحق الناس بذا الأمر. فقال الأنصار: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، وإنا لكما وصفت يا أبا بكر والحمد لله، ولا أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا منكم، ولا أرضى عندنا ولا أيمن ولكنا نشفق مما بعد اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم، فلو جعلتم اليوم رجلا منا ورجلا منكم بايعنا ورضينا، على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار فإذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبدا ما بقيت هذه الأمة، كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وأن يكون بعضنا يتبع بعضا، فيشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه

الأنصاري، ويشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي. فقام أبو بكر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: إن الله تعالى بعث محمدا (ﷺ) رسولا إلى خلقه، وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى، يزعمون أنها لهم شافعة، وعليهم بالغة نافعة، وإنما كانت حجارة منحوتة، وخشبا منجورة، فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[2] فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله تعالى المهاجرين الأولين (رضي الله عنهم) بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له والصبر معه على الشدة من قومهم، وإذلالهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس مخالف عليهم، زار لهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وإزراء الناس بهم واجتماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وأول من آمن بالله تعالى ورسوله (ﷺ)، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم في الإسلام، رضيكم الله تعالى أنصارا لدينه ولرسوله، وجعل إليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الأولين أحد عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا نفتات دونكم بمشورة، ولا تنقضي دونكم الأمور. فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام (رضي الله عنه)، فقال: يا معشر الأنصار: املكوا عليكم أيديكم، فإنما الناس في فيئكم وظلالكم، ولن يجير مجير على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والنجدة، وإنما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا، فيفسد عليكم رأيكم، وتقطع أموركم، أنتم أهل الإيواء والنصرة، وإليكم كانت الهجرة، ولكم في السابقين الأولين مثل ما لهم، وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم، والله ما عبدوا الله علانية إلا في بلادكم، ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم، ولا دانت العرب

---

(١) سورة يونس: ١٨.

(٢) سورة الزمر: ٣

للإسلام إلا بأسيافكم، فأنتم أعظم الناس نصيبا في هذا الأمر، وإن أبى القوم، فمنا أمير ومنهم أمير. فقام عمر (رضي الله عنه)، فقال: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد، إنه والله لا يرضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، وأولو الأمر منهم، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل، أو متجانف لاثم، أو متورط في هلكة. فقام الحباب بن المنذر (رضي الله عنه)، فقال: يا معشر الأنصار: أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتم فأجلوهم عن بلادكم، وتولوا هذا الأمر عليهم، فأنتم والله أولى بذا الأمر منهم، فإنه دان لهذا الأمر ما لم يكن يدين له بأسيافنا، أما والله إن شئتم لنعيدنا جذعة، والله لا يرد علي أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف. قال عمر بن الخطاب: فلما كان الحباب هو الذي يجيبني، لم يكن لي معه كلام، لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنهاني عنه، فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوؤه أبدا.ثم قام أبو عبيدة، فقال: يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآوى، فلا تكونوا أول من يبدل ويغير. مخالفة بشير. بشير بن سعد، ونقضه لعهدهم قال: وإن بشيرا لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة، قام حسدا لسعد، وكان بشير من سادات الخزرج، فقال: يا معشر الأنصار، أما والله. لئن كنا أولى الفضيلة في جهاد المشركين، والسابقة في الدين، ما أردنا إن شاء الله غير رضا ربنا، وطاعة نبينا، والكرم لأنفسنا، وما ينبغي أن نستطيل بذلك على الناس، ولا نبتغي به عوضا من الدنيا فإن الله تعالى ولي النعمة والمنة علينا بذلك. ثم إن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه، وتولي سلطانه، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم.

ثم إن أبا بكر قام على الأنصار، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم دعاهم إلى الجماعة، ونهاهم عن الفرقة، وقال: إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين:

أبي عبيده بن الجراح، أو عمر فبايعوا من شئتم منهما، فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا، أنت أحقنا بهذا الأمر، وأقدمنا صحبة لرسول الله (ﷺ)، وأفضل منا في المال، وأنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين، وخليفته على الصلاة، والصلاة أفضل أركان دين الإسلام، فمن ذا ينبغي أن يتقدمك، ويتولى هذا الأمر عليك؟ أبسط يدك أبايعك. فلما ذهبا يبايعانه سبقهما إليه بشير الأنصاري فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد، عقك عقاق ما اضطرك إلى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الإمارة؟ قال: لا والله، ولكني كرهت أن أنازع قوما حقا لهم. فلما رأت الأوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج، وما دعوا إليه المهاجرين من قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير (رضي الله عنه): لئن وليتموها سعدا عليكم مرة واحدة، لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة، ولا جعلوا لكم نصيبا فيها أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر (رضي الله عنه)، فقاموا إليه فبايعوه ؟ فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه، فبادروا إليه فأخذوا سيفه منه، فجعل يضرب بثوبه وجوههم، حتى فرغوا من البيعة، فقال: فعلتموها يا معشر الأنصار، أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم، قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء. قال أبو بكر: أمنا تخاف يا حباب ؟ قال: ليس منك أخاف، ولكن ممن يجئ بعدك.قال أبو بكر: فإذا كان ذلك كذلك، فالأمر إليك وإلى أصحابك، ليس لنا عليك طاعة، قال الحباب: هيهات يا أبا بكر، إذا ذهبت أنا وأنت، جاءنا بعدك من يسومنا الضيم. فقال سعد بن عبادة: أما والله لو أن لي ما أقدر به على النهوض، لسمعتم مني في أقطارها زئيرا يخرجك أنت وأصحابك، ولالحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع، خاملا غير عزيز، فبايعه الناس جميعا حتى كادوا يطئون سعدا. فقال سعد: قتلتموني. فقيل: قتلوه قتله الله، فقال سعد: احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه داره وترك أياما، ثم بعث إليه أبو بكر (رضي الله عنه): أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس، وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل، وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته

يدي، وأقاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي، ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي، وأعلم حسابي. فلما أتي بذلك أبو بكر من قوله، قال عمر: لا تدعه حتى يبايعك، فقال لهم بشير بن سعد: إنه قد أبى ولج، وليس يبايعك حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه، وأهل بيته وعشيرته، ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس، فلا تفسدوا على أنفسكم أمرا قد استقام لكم، فاتركوه فليس تركه بضاركم، وإنما هو رجل واحد، فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه. فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمعهم ولا يفيض بإفاضتهم ولو يجد عليهم أعوانا لصال بهم ولو بايعهم أحدا على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر رحمه الله وولي عمر بن الخطاب، فخرج إلى الشام، فمات بها، ولم يبايع لأحد، رحمه الله. وإن بني هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى علي بن أبي طالب، ومعهم الزبير بن العوام (رضي الله عنه)، وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب، وإنما كان يعد نفسه من بني هاشم، وكان علي كرم الله وجهه يقول: ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه، فصرفوه عنا، واجتمعت بنو أمية على عثمان، واجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر: ما لي أراكم مجتمعين حلقا شتى، قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايعته وبايعه الأنصار، فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أمية فبايعوه، وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوه. وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام، فذهب إليهم عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم، فقالوا: انطلقوا فبايعوا أبا بكر، فأبوا، فخرج الزبير بن العوام (رضي الله عنه) بالسيف، فقال عمر (رضي الله عنه): عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده، فضرب به

الجدار، وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضا فبايعوا[1].

ويقول الإمام علي(عليه السلام): بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان؟!!! إذاً لا أسمع ولا أطيع وإنّ عمر جعلني من خمسة نفرٍ أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كلّنا فيه شرع سواء وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم ثمّ لا يستطيع عربيّهم ولا عجميهم ولا معاهدٌ منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها لفعلت[2].

٢ ـ استفحل الصراع بين تياري النص والشورى وتجاوز مداه السياسي على مدى العقود التالية وتشتت الأمة الإسلامية إلى طائفتين رئيسيتين سرعان ما انقسم كل منهما إلى مذاهب وعقائد متناقضة، متباينة، في العديد من الأحيان، بما تحمله كل فرقة من فقه مخالف لفقه الفرقة الأخرى، وتوقفت بذلك عجلة التنمية الاجتماعية والأخلاقية والتربوية التي بدئها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول الشيخ مرتضي العسكري: «وكـان مـن أمر التحريف في هذه الأمة أن اللّه سبحانه وتعالى حفظ القرآن من أن تناله يد التحريف وقال: ﴿إنا نَحْنُ نزلْنا الذكْرَ وَإنا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3].

وقال : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[4].

وأما السنة التي رويت لنا سيرة وحديثا في روايات كثيرة، فان اللّه.

لم يحفظها من التحريف، كما يتضح ذلك جليا في اختلاف الروايات النبوية التي بأيدي جميع المسلمين الـيـوم، ولـتـعـارض بعضها مع بعض وأدى الاختلاف في الحديث الشريف إلى أن يهتم بعض العلماء بمعالجته، وألفوا

(١) الإمامة والسياسة ج١ تحقيق الشيري ص ٢٤- ٣٥.
(٢) فرائد السمطين ج١ ص٣٢٠ ح٢٥١.
(٣) سورة الحجر آية ٩.
(٤) سورة فصلت آية ٤٢.

كتبا مثل: تأويل مختلف الحديث، وبيان مشكل الحديث، وبيان مشكلات الآثار.

ومن جراء اختلاف الأحاديث، اختلف المسلمون في فهم القرآن. وتـشـتـتـت كلمتهم ابد الدهر أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة، ومعاشرتم أهل الآراء والملل والـنـحـل الأخرى كـل ذلـك أدى إلى اختلاف رؤيتهم للإسلام، وبادر بعضهم إلى تأويل الآيات الـكريمة والصحيح مما بأيديهم من الحديث الشريف، وفقا لرأيهم ورؤيتهم للإسلام وأدى بم ذلك إلى القطيعة في ما بينهم وعدم استماع بعضهم إلى آراء الآخرين، والى تكفير بعضهم بعضا»(1).

٣ ـ استغل الحكام المتعاقبون على السلطة في الدولة الإسلامية الخلاف المستحكم في الأمة بين الطائفتين الرئيسيتين في بلورة نزعة استغلال الدين واستثماره لغرض تحقيق مكاسب جمة من أهمها إضفاء الشرعية على الحكم القائم وتغليفه ببريق الدين مما أذى إلى خلق أحكام وفتاوى مخالفة للقواعد الجوهرية للدين الإسلامي. روى البيهقيّ وأبو داود في سننهما ـ واللفظ للأول:

إنّ معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله: إنّ رسول الله نى عن النمور؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: وأنا أشهد.

قال: أتعلمون أنّ النبيّ (ﷺ) نى عن لبس الذهب إلاّ مقطّعاً؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ النبيّ (ﷺ) نى أن يُقْرَن بين الحجّ والعمرة؟

قالوا: اللّهمّ لا!

قال: والله، إنّها لَمَعَهُنّ.

---

(١)معالم المدرستين ج١ ص ١٦٥.

قال ابن القيّم بعد إيراد الحديث السابق: «ونحن نشهد بالله إنّ هذا وهمٌ من معاوية أو كذب عليه، فلم ينْهَه رسولُ الله عن ذلك قط».

جاء في شرح النهج: «وأما أفعاله (يعني معاوية) المجانبة للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير في آية الذهب والفضة، حتى أنكر عليه أبو الدراء، فقال له: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول (أن الشارب فيهما لتجرجر في جوفه نار جهنم). وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا.

فقال أبو الدراء: من عذيري من معاوية؟ أنا اخبره عن رسول الله(ﷺ) وهو يخبرني عن رأيه، لا اساكنك بأرض أبدا»[1].

٤ ـ شكل اتصال المسلمين بالحضارات المجاورة سواء إنسانيا أو عبر حركة الترجمة بعدا جديدا ساهم في بروز مذاهب عديدة متأثرة بالفلسفات الإنسانية القديمة مما اثر على علم الفقه تاثيرا سلبيا مباشرا، يقول الشيخ احمد البحراني: اعتبر علم الأصول والمبادئ الفلسفية عند أجيال الأصولية الأمامية من مقدمات علم الاجتهاد بدعوة أن سلامة عملية الاستدلال تكفلها المعرفة بقواعد المنطق والمبادئ الفلسفية وبنيت الكتب الأصولية التي كتبت في إطار بحوث الخارج على لغة تحتكم إلى المنطق بشكل صارم وتستخدم مصطلحات وأقيسه على امتداد صفحاتها وبصورة مكثفة، بحيث لو أراد المرء، الذي لا يمتلك خلفية في المنطق الأرسطي أن يقرا تلك الكتب ويهضم مادتها لما تمكن من ذلك إلا بان يدرس المنطق الأرسطي والفلسفة كمقدمتين أساسيتين، وهذا ما يفرض تحول المنطق الأرسطي والفلسفة إلى جزء رئيس من برامج الحوزات (المعاهد الدينية الشيعية) لا غنى عنه بأي حال من الأحوال... دخل علم المنطق والفلسفة على علم الأصول في الدائرة الشيعية فيما بعد الغزالي الذي أقام علم الأصول على أساس المنطق الأرسطي إلا أن المنطق الأرسطي كان له وجوده الباكر في الفكر المذهبي لاسيما عند المعتزلة وهذا ما يدل على أن كلمة القياس التي اشتهر بها مذهب أبي حنيفة لم تكن حدثت بأمر من المنصور الحكام الثاني

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٧ص١٧٣.

في الدولة العباسية وهي الحقبة التي عاش فيها الإمام الصادق وهذا يدل على معاصرة أئمة أهل البيت ومدرستهم التأويلية للمنطق الأرسطي الموجود في مدرسة الرأي كما وان كثافة الأحاديث الناهية عن القياس والواردة عن أهل البيت تشمل المنطق الأرسطي في قياساته... المنطق الأرسطي كان نتاج الفلسفة الإغريقية فهو مرتبط برؤية فلسفية تمثل إطارا كليا له تفسيراته الخاصة لظواهر الكون والحياة وتلك الفلسفة هي التي تقف وراء نظرية أرسطو المنطقية والمسئولة عن بناء حدودها وبلورة مكوناتها... والإسلام الذي جاء كرؤية شمولية للكون والحياة أو بعبارة أخرى الذي له فلسفته للحياة والوجود هو الآخر لا بد أن ينطوي على منطق من خلاله يفسر الظواهر الكونية والحوادث الواقعة تفسيرا خاصا به، يميزه عن بقية الفلسفات الأخرى ونظرياتها المنطقية... فالرسول جاء لكي يبعث العقول وعملية بعثها تتم بان تتمكن من التقدير الصائب الذي به تضع الأشياء في موضعها فالحكمة بهذا المعنى هو العنوان الإسلامي للمنطق كما عرف الإسلام المنطق بعناوين أخرى من جملتها التأويل وهذا يتبين لماذا وصفت مدرسة التأويل التي قادها أئمة أهل البيت المنطق الأرسطي وقياساته في دائرة مدرسة الرأي بأنه انحراف عن الدين بل استئصال ومحق له! باعتبار أن في ذلك إزالة للبنية التحتية التي يمثلها التأويل وإبدالها ببنية تحتية أخرى وذلك لن يتم إلا بانهيار البنية الفلسفية الفوقية للدين المستند إلى المنطق التأويلي وفي ظل هذا التعقيد والتأسيس المبتدع سيتم بناء رؤية فلسفية للإسلام متناسبة مع القاعدة الجديدة المتمثلة في المنطق الأرسطي ولان الرؤية الجديدة جدة محض غير ممكنة فان ذلك سيترتب عليه احتفاظ الرؤية المستحدثة بالعناوين المكونة للشريعة الإسلامية مع استغراق التناقض لمضامينها وهو ما يفرض التهافت والانهيار المضموني وفي ذلك إفراغ للرؤية الفلسفية للإسلام من محتواها الداخلي كما تنبئ الرسول.. ولم تعد هناك إمكانية لإعادة المضامين إلى قوالبها بعد أن تمت القطيعة بين الأمة والقران بدخول المنطق الأرسطي الذي اثر على فهم الأمة للغتها فتمت عملية تحريف اللغة وبهذا التحريف للغة القران حرف القران... وهكذا يتبين أن الكيان الشيعي الذي رفض المنطق الأرسطي

زمن أئمة أهل البيت هو الكيان الذي قبل هذا المنطق بعد مرحلة أولئك الأئمة وبعد أن اندثرت المدرسة التأويلية واختلطت الأوراق ليصبح رفضه للقياس في الوقت الراهن ليس امتدادا لرفض مدرسة أهل البيت للقياس فبين الموقفين فارق ينكشف بمعرفتنا أن الرفض الحالي قشرة ظاهرية باطنها القبول وكان الرفض التاريخي رفضا في الظاهر والمضمون باعتبار أن الرفض الأول مبتن على دراية كاملة بحقيقة القياس، وفيه تفصيل لما يقبل من القياس وما يرفض منه بينما جاء الرفض المتأخر للقياس مبتنيا على الجهل بمقصود الأئمة من القياس والجهل لماذا رفض الأئمة ما رفضوه من أشكال القياس، لذلك انتهى الرفض المتأخر للقياس إلى القبول بالمرفوض وتلك هي المأساة!![1].

عدا ذلك فان التمع الإسلامي تعرض لعقود طويلة من الرخاء وتكالب الثروات نتيجة الحروب المستمرة وتيسر سبل العيش في ظل الاستقرار التي نعمت به التمعات الإسلامية، وكان من ظواهره شيوع الفساد الأخلاقي وتفشي البذخ بكافة أشكاله وصوره، واستحكام نظام العبودية، والتمييز الشديد ضد المرأة مما جعل الفقه الإسلامي غير قادر على مواكبة كل ذلك مما أذى به في نهاية الأمر إلى التمييع والانحسار، يقول احمد أمين: أفرط قوم من الناس في هذا العصر (العصر العباسي) في اللذائذ يتحرونا، ويتفننون في الاستمتاع با، وكلما ملوا نوعا ابتكروا نوعا، وإذا اخذوا يهدؤون نشط الدعاة ويستحثونم على الإغراق فيها، والأخذ بأكبر حظ منها، وبتتبع تاريخ الدولة العباسية في هذا الباب، نجد أن الدولة كان تسير خطوات متدرجة إلى هذه الغاية، وان كل خليفة كان يعلو ـ غالبا ـ درجة في سلم الترف والنعم عمن قبله، ولو خططنا رسما بيانيا لاتجه صاعدا باستمرار في عصر كل خليفة، والناس في كل عصر ـ وخاصة تلك العصور تبعا لإمامهم»[2].

٥ ـ تدخلت الدولة العباسية في الفقه تدخلا سافرا وخطيرا وأمرت

---

(١) التأويل ص ٢٤٠ - ٢٤٢.

(٢) ضحى الإسلام ج١ ص١٠٣.

بحصر المذاهب في عدد محدود بما تحمله من آراء فقهية وعقائدية ومفاهيم سياسية واجتماعية، فقيدت حركة بقية المذاهب مما أدى إلى انحسارها ومن ثم انقراضها في نهاية الأمر.

قال ابن حزم: «مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرئاسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة، فإنه لمّا ولّي أبو يوسف القضاء كان لا يولّي قاضياً إلاّ من أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه. والثاني مذهب مالك... ».

وقال الدهلويّ في «حجّة الله البالغة»: «فأيّ مذهب كان أصحابه مشهورين وأُسند إليهم القضاء والإفتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس ودرسوا درساً ظاهراً في الناس، انتشر في أقطار الأرض، لم يزل ينتشر كلّ حين، وأيّ مذهب كان أصحابه خاملين ولم يولّوا القضاء والإفتاء ولم يرغب فيهم الناس أندرس بعد حين».

يقول د. فاضل الأنصاري: منذ عهد المتوكل العباسي اعتمدت المذاهب الأربعة المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية فحسب على الصعيد الرسمي للدولة وجرى الانقلاب على الفكر المعتزلي الإصلاحي بمجزرة أقفلت باب الاجتهاد»[1].

٦ ـ لم يستطع الفقهاء الغير مرتبطين بجهاز الدولة ومن ضمنهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مواجهة الواقع المتغير والمتجدد باستمرار لافتقادهم السلطة، فكانت فتاواهم تبريرية في اغلب الأحيان، مما أدى إلى افتقادها لآلية المواجهة والقدرة على معالجة الأمور بفاعلية.

قال الدهلوي: «ولمّا انقرض عهد الخلفاء الراشدين أفضت الخلافة إلى قوم تولّوها بغير استحقاق، ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام، فاضطّروا إلى الاستعانة بالفقهاء، وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم، وكان بقي من العلماء من الطراز الأول، فكانوا إذا طُلِبُوا هربوا وأعرضوا، فرأى أهل تلك الإعصار ـ غير العلماء ـ إقبال الأمة عليهم مع إعراضهم، فاشتروا طلب العلم توصّلاً

---

(١) العبودية ص ٤٠٦.

إلى نيل العزّ، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزّة بالإعراض عن السلاطين أذلّة بالإقبال عليهم، إلاّ من وفقه الله... ».

أن غلق باب الاجتهاد عند السنة، وتأخره عند الشيعة، والاختلاف في آلياته بين الأطراف الشيعية أدى إلى جعل الدين الإسلامي كآخر ديانة سماوية على وجه الأرض غير قادر من خلال أداته التشريعية على مواجهة واقع الحياة بكل ما يحمله من تعقيدات وتغيرات هائلة، لذلك فان المبحر في الديانة الإسلامية عندما يطالع جانبا وان كان محدودا من الآيات القرآنية والروايات والأحاديث المتواترة يلمس أدبا عاليا وقيما سمحاء، ولكن عندما يعاين سبل التطبيق عبر الأداة التشريعية يصطدم بمعالجة جافة وقاسية لاسيما فيما يتصل منها بحركة الواقع، وكأنها لا تعبر عن ماهية الإسلام كديانة سماوية تدعوا إلى الرأفة والرحمة والمودة بين بني البشر، ونستذل على ذلك بالوقفات التالية:

الوقفة الأولى: الفقه الإسلامي وحرية الاعتقاد

يمثل التسامح تجاه الأديان عصبا مهما وحجر أساس في محاربة التعصب والإرهاب، باعتبار أن الاضطهاد الديني بكافة أشكاله وصوره كفعل وردة فعل ينتهي إلى شيوع ظاهر ة التعصب بكل ما تحتويه من مظاهر الانغلاق والغلو والتطرف التي تؤدي في غالب الأحيان إلى بروز الإرهاب كمعضلة سياسية وأمنية واجتماعية.

في هذا المضمار الحيوي أكدت الشرائع الدولية على حرية الدين والمعتقد واعتبار ذلك من حقوق الإنسان المشروعة وحقا مكفولا لكافة شرائح المجتمع الإنساني بما يضمن تجنب النزاعات الدينية والطائفية، واتفقت التشريعات الأممية على اعتبار الدين من شئون الفرد الخاصة، بينما تسير النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تشريعات مدنية مستقلة، وذلك لدرء خطر الصراعات ذات المنشأ الطائفي والديني.

أما الفقه الإسلامي فيختلف تماما في تفريعاته التشريعية والقانونية، ويعتبر الدين حجر الأساس للفرد والمجتمع ولكافة النظم التي تساهم في بلورة

الواقع، ومن هنا فان تغيير الإنسان المسلم لدينه يواجهه حكم بالقتل باعتباره مرتدا، وكذلك من كان كافرا فاسلم ثم ارتد، يقول السيد الخوئي في تكملة المنهاج: المرتد عبارة عمن خرج عن دين الإسلام وهو قسمان (فطري وملي) الأول المرتد الفطري وهو الذي ولد على الإسلام من أبوين مسلمين أو من أبوين أحدهما مسلم ويجب قتله وتبيين منه زوجته وتعتد عدة الوفاة.

والمرتد الملي وهو من أسلم عن كفر ثم ارتد ورجع إليه وهذا يستتاب فإن تاب خلال ثلاثة أيام نجا وإلا قتل في اليوم الرابع.

أما المرأة فان الفقه الإسلامي يعتبرها اقل م لة من الرجل لرجحان قلة عقلها ودينها، فلذلك لا تقتل وإنما تستتاب فان أبت، فللحاكم الشرعي معاقبتها عقابا شديدا حتى تعود إلى رشدها، يقول السيد الخوئي:

إذا ارتدت المرأة ولو عن فطرة لم تقتل وتبين من زوجها وتعتد عدة الطلاق وتستتاب فإن تابت فهو وإلا حبست دائما وضربت في أوقات الصلاة واستخدمت خدمة شديدة ومنعت الطعام والشراب إلا ما يمسك نفسها ألبست الخشن من الثياب[1].

الوقفة الثانية: نجاسة غير المسلم في الفقه الإسلامي

يعتبر العديد من الفقهاء لاسيما من الأمامية أن غير المسلم نجس، والنجس هو الغير طاهر ولا نظيف فهو نجس، وقد عد فقهاء الشيعة أن النجاسة ما يقارب الإحدى عشر، وعدوا منهم الغير مسلم، يقول السيد السيستاني:

التاسع: الكافر: وهو ما لم ينتحل دينا أو انتحل دينا غير الإسلام.. وأما الكتابي فمشهور نجاسته ولكن لا يبعد الحكم بطهارته وان كان الاحتياط حسنا.

ـ ما يؤخذ من أيدي الكافرين المحكوم بالنجاسة من الخبز والزيت والعسل ونحوها من المائعات والجامدات طاهر إلا أن يعلم بمباشرتم له بالرطوبة

---

(١) تكملة المنهاج ص ٥٣.

المسرية وكذلك ثيابهم وأوانيهم والظن بالنجاسة لا عبرة به[1].

ويقول الإمام الخميني (قدس سره) ما يؤخذ من يد المسلم وسوق المسلمين من اللحم أو الشحم أو الجلد إذا لم يعلم كونه مسبوقا بيد الكافر محكوم بالطهارة وان لم يعلم تدكيته، وكذا ما يوجد مطروحا في ارض المسلمين، وأما إذا علم بكونه مسبوقا بيد الكافر فان احتمل أن المسلم الذي أخده من الكافر قد تفحص من حاله وأحرز تدكيته بل وعمل المسلم معه معاملة المذكي على الاحوط فهو أيضا محكوم بالطهارة وأما لو علم أن المسلم أخده من الكافر من غير فحص فالاحوط بل الأقوى وجوب الاجتناب عنه»[2].

يقول الوحيد البهبهاني: أن الحكم بنجاسة الكافر شعار الشيعة يعرفه علماء العامة بل وعوامهم يعرفون أن هذا مذهب الشيعة بل ونسائهم وصبيانهم يعرفون ذلك وجميع الشيعة يعرفون أن هذا مذهبهم في الإعصار والأمصار»[3].

وفي تفسير الفخر الرازي عند قوله تعالى: (إنما المشركون نجس): اعلم أن ظاهر القران يدل على كونهم أنجاسا فلا يرجع عنه إلا بدليل متفصل ولا يمكن ادعاء الإجماع فيه لما بينا أن الاختلاف فيه حاصل وعن الحسن: من صافح مشركا توضأ وهذا قول الهادي من أئمة الزبدية»[4].

الوقفة الثالثة: حقوق الأقليات في الفقه الإسلامي:

يعامل غير المسلمين في أيطار الدولة الإسلامية على أنهم يتبعون دينا باطلا ويطلق عليهم كما جرى العرف الفقهي «بأهل الذمة» ومن هذا المنطلق فان الفقهاء في أحكامهم وفتاواهم الكلية والجزئية يضعون ضوابط جزائية وقانونية من اجل أن يكون نشاط الأقلية في نطاق محدود وضيق حتى لا تتداخل مظاهر دين الأقلية بدين الأكثرية الساحقة من المسلمين، يقول السيد الخوئي في منهاجه:

---

(١) المنهاج ج١ ص١٤٢.

(٢) تحرير الوسيلة ج١ ص١٦٦..

(٣) مفتاح الكرامة ج١ ص ١٤٢.

(٤) تفسير الفخر الرازي ج١٦ ص ٢٤.

ـ المشهور بين الأصحاب أن التجاهر بالمنكرات كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والربا ونكاح الأخوات وبنات الأخ وبنات الأخت وغيرها من المحرمات كالزنا واللواط ونحوها يوجب نقض عقد الذمة ومن هذا القبيل عدم أحداث الكنائس والبيع وضرب الناقوس وما شاكل ذلك مما يوجب إعلان أديانهم وترويجها بين المسلمين، هذا فيما إذا اشترط عدم التجاهر بتلك المحرمات والمنكرات في ضمن عقد الذمة واضح وأما إذا لم يشترط عدم التجاهر بها في ضمن العقد المزور، فهل التجاهر بها يوجب النقض؟ فيه وجهان فعن العلامة في التذكرة والتحريم والمنتهى في الوجه الثاني، ولكن الأظهر هو الوجه الأول وذلك لصحيحة زرارة فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الجزية من أهل الذمة على أن لا يأكلوا الربا ولا يأكلوا لحم الخنزير ولا ينكحوا الأخوات ولا بنات الأخ ولا بنات الأخت فعمن فعل ذلك منهم برئت منه ذمة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (وليس لهم اليوم ذمة) فإن مقتضى ذيل الصحيفة وهو قوله (ليس لهم اليوم ذمة) هو أن التجاهر بها يوجب نقض الذمة وإلغاءها وأنها لا تنسجم معه وبما أن أهل الكتاب كانوا في زمان الخلفاء متجاهرين بالمنكرات المزبورة فلأجل ذلك نفي عنهم الذمة وأما بعد ذلك كارتقاء جدرانهم على جدران المسلمين وعدم تميزهم في اللباس والشعر والركوب والكنى والألقاب ونحو ذلك ما لا ينافي مصلحة عامة للإسلام والمسلمين فلا دليل على أنه يوجب نقض الذمة، نعم لولي الأمر اشتراط ذلك في ضمن العقد إذا رأى فيه مصلحة[1].

ـ (مسألة: ٨١) يشترط على أهل الذمة أن لا يربوا أولادهم على الاعتقاد بأديانهم كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو نحوها بأن يمنعوا من الحضور في مجالس المسلمين ومراكز تبليغاتهم والاختلاء مع أولادهم بل عليهم تخلية سبلهم في اختيار الطريقة وبطبيعة الحال أنهم يختارون الطريقة الموافقة للفطرة وهى الطريقة الإسلامية.

---

(١) منهاج الصالحين.

ـ (مسألة: ٨٤) يكره ابتداء بالسلام على الذمي، وأما إذا ابتدأ الذمي بالسلام على المسلم فلأحوط وجوب الرد عليه بصيغة عليك أو عليكم أو بصيغة سلام فقط[1].

ـ لا يجوز لأهل الذمة إحداث الكنائس والبيع والجوامع وبيوت النيران في بلاد الإسلام وإذا أحدثوها خرجوا عن الذمة فلا أمان لهم بعد ذلك، هذا إذا اشترط عدم إحداثها في ضمن العقد وإذا لم يشترط لم يخرجونا ولكن لولي الأمر هدمها إذا رأى فيه مصلحة ملزمة وأما إذا كانت هذه الأمور موجودة قبل الفتح فحينئذ إن كان بقاءها منافيا لمظاهر الإسلام وشوكته فعلى ولي الأمر هدمها وإزالتها وإلا فلا مانع من إقرارهم عليها كما أن عليهم إذا اشترط في ضمن العقد[2].

تحرير الوسيلة للإمام الخميني:

ـ لا يجوز إحداث أهل الكتاب ومن في حكمهم المعابد في بلاد الإسلام كالبيع والجوامع وبيوت النيران وغيرها ولولا أحدثوها وجبت إزالتها على ولي المسلمين.

ـ لا فرق في ما ذكر من عدم جواز الأحداث ووجوب الإزالة التي بين ما كان الأحداث ووجوب الإزالة بين ما كان البناء مما أحدثه المسلمون كالبصرة والكوفة وبغداد وطهران وجملة من بلاد إيران مما مصرها المسلمون أو فتحوها عنوة ككثير من بلاد إيران وتركيا والعراق وغيرها أو صلحا على أن تكون الأراضي للمسلمين ففي جميع ذلك يجب إزالة ما أحدثوه، ويحرم إبقاءها كما يحرم الأحداث على الولاة، ولو كانوا جائرين منعهم من الأحداث وإزالة ما أحدثوه سيما مع ما نرى من المفاسد الدينية والسياسية والخطر العظيم على شبان المسلمين وبلادهم.

ـ أي ذمي انتقل عن دينه إلى دين لا يقر أهله عليه لم يقبل منه البقاء

---

(١) منهاج الصالحين ج١.

(٢) منهاج الصالحين ج١ للسيد الخوئي.

عليه ولا يقر عليه كالنصراني يصير وثنيا واليهودي يصير بائيا فلا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل ولو رجع إلى دينه الأول فهل يقبل منه ويقر عليه ولو انتقل من دينه إلى دين يقر أهله عليه كاليهودي يصير نصرانيا أو العكس فهل يقبل منه ويقر عليه أم لا؟ لا يبعد القبول والإقرار وقيل لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل.

ـ لو ارتكب أهل الذمة ما هو سائغ في شرعهم وليس سائغ في شرع الإسلام لم يعرضوا ما لم يتجاهروا به ولو تجاهروا به عمل بم ما يقتضي الجناية بموجب شرع الإسلام من الحد أو التعزير، ولو فعلوا ما ليس بسائغ في شرعهم يفعل بم ما هو مقتضى الجناية في شرع الإسلام، قيل وإن شاء الحاكم دفعه بمقتضى شرعهم والأحوط إجراء الحد عليه حسب شرعنا

ـ ليس للكفار ذميين كانوا أو لا تبليغ مذاهبهم الفاسدة، ولا فرق في هذا القسم بين المتجاهر وغيره.

ـ الدعوة في بلاد المسلمين ونشر كتبهم الضالة فيها ودعوة المسلمين وأبنائهم إلى مذاهبهم الباطلة ويجب تعزيرهم، وعلى أولياء الدول الإسلامية أن يمنعهم عن ذلك بأية وسيلة مناسبة ويجب على المسلمين أن يحترزوا عن كتبهم ومجالسهم ويمنعوا أبنائهم عن ذلك ولو وصل إليهم من كتبهم والأوراق الضالة منهم شيئا يجب محوها، فإن كتبهم ليس إلا محرفة غير محترمة، عصم الله تعالى المسلمين من شرور الأجانب وكيدهم و أعلى الله تعالى كلمة الإسلام.

ـ لو أوصى الذمي ببناء كنيسة أو بيت نار أو معبد لهم ومحلا لعبادتم الباطلة ورجع الأمر إلينا لم يجز لنا اتخاذها وكذا لو أوصى بصرف شيء في كتابة التوراة والإنجيل وما شابه الكتب الضالة المحرفة وطبعها ونشرها وكذا لو وقف شيئا على شيء مما ذكر ولو لم يرجع الأمر إلينا فإن كان البناء مما لا يجوز إحداثها أو تعميرها يجب المنع عنه وإلا ليس لنا الاعتراض إلا إذا أرادوا بذلك تبليغ مذاهبهم الباطلة بين المسلمين وإضلال أبنائهم فإنه يجب منعهم ودفعهم بأية وسيلة مناسبة.

من فتاوى ابن تيمية في أهل الذمة

قال ابن القيم ورد على شيخنا ابن تيمية استفتاء في أمر الكنائس صورته: ما يقول السادة العلماء وفقهم الله في إقليم توافق أهل الفتوى في هذا الزمان على أن المسلمين فتحوه عنوة من غير صلح ولا أمان فهل ملك المسلمون ذلك الإقليم المذكور بذلك ؟ هل يكون الملك شاملا لما فيه من أموال الكفار من الأثاث والمزارع والحيوان والرقيق والأرض والدور و البيع والكنائس والقلايات والديورة ونحو ذلك أو يختص الملك بما عدا متعبدات أهل الشرك فإن ملك جميع ما فيه فهل يجوز للإمام أن يعقد لأهل الشرك من النصارى واليهود بذلك الإقليم أو غيره الذمة على أن يبقى ما بالإقليم المذكور من البيع والكنائس والديورة ونحوها متعبدا لهم وتكون الجزية المأخوذة منهم في كل سنة في مقابل ذلك بمفرده أو مع غيره أم لا ـ فإن لم يجز لأجل ما فيه من تأخير ملك المسلمين عنه فهل يكون حكم الكنائس ونحوها حكم الغنيمة يتصرف فيه الإمام تصرفه في الغنائم أم لا. وإن جاز للإمام أن يعقد الذمة بشرط بقاء الكنائس ونحوها فهل يملك من عقدت له الذمة بهذا العقد رقاب البيع والكنائس والديورة ونحوها ويزول ملك المسلمين عن ذلك بهذا العقد أم لا. لأجل أن الجزية لا تكون عن ثمن مبيع، وإذا لم يملكوا ذلك وبقوا على الانتفاع بذلك وانتفض عهدهم بسبب يقتضي انتقاضه إما بموت من وقع عقد الذمة معه ولم يعقبوا. أو أعقبوا. فإن قلنا إن أولادهم يستأنف معهم عقد الذمة كما نص عليه الشافعي فيما حكاه ابن الصباغ وصححه العراقيون واختاره ابن أبي عصرون في المرشد فهل لإمام الوقت أن يقول: لا أعقد لكم الذمة إلا بشرط أن تدخلوا الكنائس والبيع والديورة في العقد فتكون كالأموال التي جهل مستحقوها وأيس من معرفتها، أم لا يجوز له الامتناع من إدخالها في عقد الذمة بل يجب عليه إدخالها في عقد الذمة، فهل ذلك يختص بالبيع والكنائس والديورة التي تحقق أنا كانت موجودة عند فتح المسلمين ولا يجب عليه ذلك عند التردد في أن ذلك كان موجودا عند الفتح أو حدث بعد الفتح أو يجب عليه مطلقا

فيما تحقق أنه كان موجودا قبل الفتح أو شك فيه، وإذا لم يجب في حالة الشك فهل يكون ما وقع الشك في أنه كان قبل الفتح وجهل الحال فيمن أحدثه لمن هو لبيت المال أم لا ؟ وإذا قلنا إن من بلغ من أولاد من عقدت معهم الذمة وإن سلفوا ومن غيرهم لا يحتاجون أن تعقد لهم الذمة بل يجري عليهم حكم من سلف إذا تحقق أنه من أولادهم يكون حكم كنائسهم وبيعهم حكم أنفسهم أم يحتاجون إلى تجديد عقد وذمة، وإذا قلنا: إنهم يحتاجون إلى تجديد عقد عند البلوغ فهل تحتاج كنائسهم وبيعهم له أم لا؟ فأجاب: الحمد لله. ما فتحه المسلمون كأرض خيبر التي فتحت على عهد النبي (ﷺ) وكعامة أرض الشام وبعض مدنها وكسواد العراق إلا مواضع قليلة فتحت صلحا وكأرض مصر فإن هذه ـ الأقاليم فتحت عنوة على خلافة عمر بن الخطاب وقد روي في أرض مصر أنها فتحت صلحا وروي أنها فتحت عنوة وكلا الأمرين صحيح على ما ذكره العلماء المتأهلون للروايات الصحيحة في هذا الباب فإنها فتحت أولا صلحا ثم نقض أهلها العهد فبعث عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب يستمده فأمده بجيش كثير فيهم الزبير بن العوام ففتحها المسلمون الفتح الثاني عنوة ولهذا روى من وجوه كثيرة أن الزبير سأل عمر بن الخطاب أن يقسمها بين الجيش كما سأله بلال قسم الشام فشاور الصحابة في ذلك فأشار عليه كبراؤهم كعلي ابن أبي طالب ومعاذ بن جبل أن يحبسها فيئا للمسلمين ينتفع بفائدتها أول المسلمين وآخرهم ثم وافق عمر على ذلك بعض من كان خالفه ومات بعضهم فاستقر الأمر على ذلك فما فتحه المسلمون عنوة فقد ملكهم الله إياه كما ملكهم ما استولوا عليه من النفوس والأموال والمنقول والعقار ويدخل في العقار معابد الكفار ومساكنهم وأسواقهم ومزارعهم وسائر منافع الأرض كما يدخل في المنقول سائر أنواعه من الحيوان والمتاع والنقد، وليس لمعابد الكفار خاصة تقتضي خروجها عن ملك المسلمين فإن ما يقال فيها من الأقوال ويفعل فيها من العبادات إما أن يكون مبدلا أو محدثا لم يشرعه الله قط أو يكون الله قد نهى عنه بعد ما شرعه وقد أوجب الله على أهل دينه جهاد أهل الكفر حتى يكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا ويرجعوا عن دينهم

الباطل إلى الهدى ودين الحق الذي بعث الله به خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. ولهذا لما استولى رسول الله (ﷺ) على أرض من حاربه من أهل الكتاب وغيرهم كبني قينقاع والنضير وقريظة، كانت معابدهم مما استولى عليه المسلمون ودخلت في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾، ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، لكن وإن ملك المسلمون ذلك فحكم الملك متبوع كما يختلف حكم الملك في المكاتب والمدبر وأم الولد والعبد وكما يختلف حكمه في المقاتلين الذين يؤسرون وفي النساء والصبيان الذين يسبون كذلك يختلف حكمه في المملوك نفسه والعقار والأرض والمنقول. وقد أجمع المسلمون على أن الغنائم لها أحكام مختصة بها لا تقاس بسائر الأموال المشتركة. ولهذا لما فتح النبي (ﷺ) خيبر أقر أهلا ذمة للمسلمين في مساكنهم وكانت المزارع ملكا للمسلمين عاملهم عليها رسول الله (ﷺ) بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ثم أجلاهم في خلافته واسترجع المسلمون ما كانوا أقروهم فيه من المساكن والمعابد. فصل: وأما أنه هل يجوز للإمام عقد الذمة مع إبقاء المعابد بأيديهم فهذا فيه خلاف معروف في مذاهب الأئمة الأربعة منهم من يقول لا يجوز تركها لهم لأنه إخراج ملك المسلمين عنها وإقرار الكفر بلا عهد قديم.. ومنهم من يقول بجواز إقرارهم فيها إذا اقتضت المصلحة ذلك كما أقر النبي أهل خيبر فيها وكما أقر الخلفاء الأربعة الكفار والمعابد التي كانت بأيديهم. فمن قال بالأول قال: حكم الكنائس حكم غيرها من العقار منهم من يوجب إبقاءه كمالك في المشهور عنه وأحمد في رواية. ومنهم من يخير الإمام فيه بين الأمرين بحسب المصلحة وهذا قول الأكثرين وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه وعليه دلت سنة رسول الله (ﷺ) حيث قسم نصف خيبر وترك نصفها لمصالح المسلمين. ومن قال يجوز إقرارها بأيديهم فقوله أوجه وأظهر فإنهم لا يملكون بهذا الإقرار رقاب المعابد كما يملك الرجل ماله كما أنهم لا يملكون ما ترك لمنافعهم المشتركة كالأسواق والمراعي كما لم يملك أهل خيبر ما أقرهم فيه رسول الله (ﷺ) من المساكن والمعابد.

ومجرد إقرارهم ينتفعون بما ليس تمليكا كما لو أقطع المسلم بعض عقار بيت المال ينتفع بغلته أو سلم إليه مسجد أو رباط ينتفع به لم يكن ذلك تمليكا له بل ما أقروا فيه من كنائس العنوة يجوز للمسلمين انتزاعها منهم إذا اقتضت المصلحة ذلك كما انتزعها أصحاب النبي (ﷺ) من أهل خيبر بأمره بعد إقرارهم فيها.. وقد طلب المسلمون في خلافة الوليد بن عبد الملك أن يأخذوا من النصارى بعض كنائس العنوة التي خارج دمشق فصالحوهم على إعطائهم الكنيسة التي داخل البلد وأقر ذلك عمر بن عبد العزيز ومن معه في عصره من أهل العلم فإن المسلمين لما أرادوا أن يزيدوا جامع دمشق بالكنيسة التي إلى جانبه وكانت من كنائس الصلح لم يكن لهم أخذها قهرا فاصطلحوا على المعاوضة بإقرار كنائس العنوة التي أرادوا انتزعها و كان ذلك الإقرار عوضا عن كنيسة الصلح التي لم يكن لهم أخذها عنوة. فصل ومتى انتقض عهدهم جاز أخذ كنائس الصلح منهم فضلا عن كنائس العنوة كما أخذ النبي (ﷺ) ما كان لقريظة والنضير لما نقضوا العهد فإن ناقض العهد أسوأ حالا من المحارب الأصلي كما أن ناقض العهد أسوأ حالا من الكافر الأصلي ولذلك لو انقرض أهل مصر من الأمصار ولم يبقى من دخل في عهدهم فإنه يصير للمسلمين جميع عقارهم ومنقولهم من المعابد وغيرها فيئا فإذا عقدت الذمة لغيرهم كان كالعهد المبتدأ وكان لمن يعقد لهم الذمة أن يقرهم في المعابد وله أن لا يقرهم بمنزلة ما فتح ابتداء فإنه لو أراد الإمام عند فتحه هدم ذلك جاز بإجماع المسلمين ولم يختلفوا في جواز هدمه، وإنما اختلفوا في جوازا بقائه وإذا لم تدخل في العهد كانت فيئا للمسلمين. أما على قول الجمهور الذين لا يوجبون قسم العقار فظاهر.. وأما على قول من يوجب قسمة فلأن عين المستحق غير معروف كسائر الأموال التي لا يعرف لها مالك معين وأما تقدير وجوب إبقائها فهذا تقدير لا حقيقة له. فإن إيجاب إعطائهم معابد العنوة لا وجه له ولا أعلم به قائلا فلا يفرع عليه وإنما الخلاف في الجواز نعم قد يقال في الأبناء إذا لم نقل بدخولهم في عهد آبائهم لأن لهم شبهة الأمان والعهد بخلاف الناقضين فلو وجب لم يجب إلا ما تحقق أنه كان له فإن صاحب الحق لا يجب أن يعطي إلا

ما عرف أنه حقه وما وقع الشك فيه على هذا التقدير فهو لبيت المال، وأما الموجودون الآن إذا لم يصدر منهم نقض عهد فهم على الذمة فإن الصبي يتبع أباه في الذمة وأهل داره من أهل الذمة كما يتبع في الإسلام أباه وأهل داره من المسلمين لأن الصبي لما يكن مستقلا بنفسه جعل تابعا لغيره في الإيمان والأمان وعلى هذا جرت سنة رسول الله (ﷺ) وخلفائه والمسلمين في إقرارهم صبيان أهل الكتاب بالعهد القديم من غير تجديد عقد آخر. وهذا الجواب حكمه فيما كان من معابدهم قديما قبل فتح المسلمين. أما ما أحدث بعد ذلك فإنه يجب إزالته ولا يمكنون من إحداث البيع والكنائس كما شرط عليهم عمر بن الخطاب في الشروط المشهورة عنه أن لا يجدوا في مدائن الإسلام ولا فيما حولها كنيسة ولا صومعة ولا ديرا ولا قلاية امتثالا لقول رسول الله (ﷺ) «لا تكون قبلتان ببلد واحد». رواه أحمد وأبوه داود بسند جيد.. ولما روى عن عمر بن الخطاب قال «لا كنيسة في الإسلام» وهذا مذهب الأئمة الأربعة في الأمصار ومذهب جمهورهم في القرى وما زال من يوفقه الله من ولاة أمور المسلمين ينفذ ذلك ويعمل به مثل عمر بن عبد العزيز الذي اتفق المسلمون على أنه إمام هدى فروى أحمد عنه أنه كتب إلى نائبة على اليمن أن يهدم الكنائس التي في أمصار المسلمين فهدمها بصنعاء وغيرها. وروي أحمد عن الحسن البصري أنه قال «من السنة أن تدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة، وكذلك هارون الرشيد في خلافته أمر بدم ما كان في سواد بغداد، وكذلك المتوكل لما ألزم أهل الكتاب بشروط عمر استفتى علماء وقته في هدم الكانس والبيع فأجابوه فبعث بأجوبتهم إلى أحمد فأجابه بدم كنائس سواد العراق وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين فمما ذكره ما روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال «أيما مصر مصرته العريب ـ يعني المسلمين ـ فليس للعجم يعني أهل الذمة أن يبنوا فيه كنيسة ولا يضربوا ناقوسا ولا يشربون فيه خمرا. وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فإن للعجم ما في عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهده ولا يكلفوهم فوق طاقتهم». وملخص الجواب أن كل كنيسة في مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الأمصار

التي مصرها المسلمون بأرض العنوة فإنه يجب إزالتها إما بالهدم أو غيرها بحيث لا يبقى لهم معبد في مصر مصره المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة وقد نهى النبي (ﷺ) أن تجتمع قبلتان بأرض فلا يجوز للمسلمين أن يمكنوا أن يكون بمدائن الإسلام قبلتان إلا لضرورة كالعهد القديم، لاسيما وهذه الكنائس التي بهذه الأمصار محدثة يظهر حدوثها بدلائل متعددة والمحدث يهدم باتفاق الأئمة. وأما الكنائس التي بالصعيد وبر الشام ونحوها من أرض العنوة فما كان منها محدثا وجب هدمه، وإذا اشتبه المحدث بالقديم وجب هدمها جميعا لأن هدم المحدث واجب وهدم القديم جائز وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما كان منها قديما فإنه يجوز هدمه ويجوز إقراره بأيديهم فينظر الإمام في المصلحة فإن كانوا قد قلوا والكنائس كثيرة أخذ منهم أكثرهم. وكذلك ما كان على المسلمين فيه مضرة فإنه يؤخذ أيضا وما أحتاج المسلمون إلى أخذه أخذ أيضا. وأما إذا كانوا كثيرون في قرية ولهم كنيسة قديمة لا حاجة إلى أخذها ولا مصلحة فيه فالذي ينبغي تركها كما ترك النبي (ﷺ) وخلفائه لهم من الكنائس ما كانوا محتاجين إليه ثم أخذ منهم، وأما ما كان لهم بصلح قبل الفتح مثل ما في داخل مدينة دمشق ونحوها فلا يجوز أخذه ما داموا موفين بالعهد إلا بمعاوضة أو طيب أنفسهم كما فعل المسلمون بجامع دمشق لما بنوه، فإذا عرب أن الكنائس ثلاثة أقسام منها ما لا يجوز هدمه.. ومنها ما يجب هدمه كالتي في القاهرة مصر والمحدثات كلها. ومنها ما يفعل المسلمون فيه الأصلح كالتي في الصعيد وأرض الشام مما كان قديما على ما بيناه.. فالواجب على ولي الأمر فعل ما أمر الله به وما هو أصلح للمسلمين من إعزاز دين الله وقمع أعدائه وإتمام ما فعله الصحابة من إلزامهم بالشروط عليهم ومنعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام ولا يلتفت في ذلك إلى مرجف أو مخذل يقول إن لنا عندهم مساجد وأسرى نخاف عليهم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ وإذا كان فوروز في مملكة التتار قد هدم عامة الكنائس على رغم أنف أعداء الله فحزب الله المنصور وجنده الموعود

بالنصر إلى قيام الساعة أولى بذلك وأحق فإن النبي (ﷺ) أخبر أنهم لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ونحن نرجو أن يحقق الله وعد رسوله (ﷺ) حيث قال « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» ويكون من أجرى الله ذلك على يديه وأعان عليه من أهل القرآن والحديث داخلين في هذا الحديث النبوي فإن الله بهم يقيم دينه كما قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]، ما يقول السادة العلماء أعانهم الله على إظهار الحق المبين وإخماد الكفار والمنافقين في الكنائس التي بالقاهرة وغيرها التي أغلقت بأمر ولاة الأمور إذا ادعى الذمة أنها أغلقت ظلما وأنهم يستحقون فتحها وطلبوا ذلك من ولي الأمر، فهل تقبل دعواهم وهل تجب إجابتهم أم لا، وإذ قالوا إن هذه الكنائس كانت قديمة من زمن عمر بن الخطاب وغيره من خلفاء المسلمين وإن إغلاقها مخالف لحكم الخلفاء الراشدين فهل هذا القول مقبول منهم أم مردود ؟ وإذا ذهب أهل الذمة إلى من يقدم من بلاد العرب من رسول أو غيره فسألوا أن يسأل ولي الأمر في فتحها أو كاتبوا ملوك الحرب ليطلبوا ذلك من ولي أمر المسلمين فهل لأهل الذمة ذلك وهل ينتقض عهدهم بهذا أم لا ؟ وإذا قال قائل: إنهم إن لم يجابوا إلى ذلك حصل للمسلمين ضرر إما بالعدوان على من عندهم من الأسرى والمساجد، وإما بقطع متاجرهم عن ديار الإسلام وإما بترك معاونتهم لو لي أمر المسلمين على ما يعتمده من مصالح المسلمين ونحو ذلك، فهل هذا القول صواب أو خطأ بينوا ذلك مبسوطا مشروحا وإذا كان في فتحها تغيير قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتغيير قلوب أهل الصلاح والدين وعموم الجند والمسلمين على ولاة الأمور لأجل إظهار شعائر الكفر وظهور عزهم وفرحهم وسرورهم بما يظهرونه وقت فتح الكنائس من الشموع والجموع والأفراح وغير ذلك، وهذا فيه تغير قلوب المسلمين من

---

(١) أحكام أهل الذمة جـ ٢ / ٦٧٧ : ٦٨٦.

الصالحين وغيرهم حتى إنم يدعون الله تعالى على من تسبب في ذلك وأعان عليه فهل لأحد أن يشير على ولي الأمر بذلك، ومن أشار عليه بذلك هل يكون ناصحا لو لي المسلمين أم غاشا، وأي الطرق هو الأفضل لو لي الأمر؟ هذا نص السؤال فأجاب عنه ابن تيمية بما نصه: «الحمد لله رب العالمين أما دعواهم أن المسلمين ظلموهم في إغلاقها فهذا كذب مخالف لأهل العلم فإن علماء المسلمين من أهل المذاهب الأربعة مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد و غيرهم والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم ومن قبلهم من الصحابة والتابعين متفقون على أن الإمام لو هدم كل كنيسة بأرض العنوة كأرض مصر والسودان بالعراق وبر الشام ونحو ذلك مجتهدا في ذلك ومتبعا في ذلك لمن يرى ذلك لم يكن ذلك ظلما منه بل تجب طاعته في ذلك وإن امتنعوا عن حكم المسلمين لهم كنوا ناقصين العهد وحلت بذلك دماؤهم وأموالهم «. وأما قولهم: إن هذه الكنائس من عهد عمر بن الخطاب، وأن الخلفاء الراشدين أقروهم عليها فهذا أيضا من الكذب فإن من المعلوم المتواتر أن القاهرة بنيت بعد عمر بن الخطاب بثلاثمائة سنة بنيت بعد بغداد وبعد البصرة والكوفة وواسط وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيه كنيسة مثل ما فتحه المسلمون صلحا وأبقوا لهم كنائسهم القديمة بعد أن شرط عليهم فيها عمر بن الخطاب أن لا يحدثوا كنيسة في أرض الصلح فكيف في بلاد المسلمين بل إذا كان لهم كنيسة بأرض العنوة كالعراق ومصر ونحو ذلك فبنى المسلمون مدينة عليها فإن لهم أخذ تلك الكنيسة لئلا تترك في مدائن المسلمين كنيسة بعد عهد فإن في سنن أبي داود بإسناد جيد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال «لا تصلح قبلتان بأرض ولا جزية على مسلم» والمدينة التي يسكنها المسلمون والقرية التي يسكنها المسلمون وفيها مساجد المسلمين لا يجوز أن يظهر فيها شئ من شعائر الكفر لا كنائس ولا غيرها إلا أن يكون لهم عهد فيوفى لهم بعهدهم، فلو كان بأرض القاهرة ونحوها كنيسة قبل بنائها لكان للمسلمين أخذها لأن الأرض عنوة فكيف وهذه الكنائس محدثة أحدثها النصارى. وقد كان في بر مصر كنائس قديمة

لكن تلك الكنائس أقرهم المسلمون عليها حين فتحوا البلاد لأن الفلاحين كلهم كانوا نصارى ولم يكونوا مسلمين وإنما كان المسلمون الجند خاصة وأقروهم كما أقر النبي (ﷺ) اليهود على خيبر لما فتحها لأن اليهود كانوا فلاحين وكان المسلمون مشتغلين بالجهاد. ثم إنه بعد هذا في خلافة عمر بن الخطاب لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود أجلاهم عن خيبر كما أمر بذلك النبي (ﷺ) حيث قال «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» حتى لم يبق في خيبر يهودي وهكذا القرية التي يكون أهلها نصارى وليس عندهم مسلمون ولا مسجد للمسلمين فإذا أقرهم المسلمون على كنائسهم التي فيها جاز ذلك كما فعله المسلمون، وأما إذا سكنها المسلمون وبنوا با مساجدهم فقد قال النبي (ﷺ) «لا تصلح قبلتان بأرض» وفي أثر آخر «لا يجتمع بيت رحمة وبيت عذاب» والمسلمون قد كثروا بالديار المصرية وعمرت في هذه الأوقات حتى صار أهلها بقدر ما كانوا في زمان صلاح الدين مرات متعددة. وإنما قويت شوكة النصارى والتتار بعد موت العادل أخي صلاح الدين حتى إن بعض الملوك أعطاهم بعض مدائن المسلمين وحدث حوادث بسبب التفريط فيما أمر الله به ورسوله (ﷺ) فإن الله تعالى يقول «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الدين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» فكان ولاة الأمور الذين يهدمون كنائسهم ويقيمون أمر الله فيهم كعمر ابن عبد العزيز وهارون الرشيد ونحو هما مؤيدين منصورين وكان الذين هم بخلاف ذلك مغلوبين مقهورين. وكل من عرف سير الناس وملوكهم رأى كل من كان أنصر لدين الإسلام وأعظم جهاد لأعدائه وأقوم بطاعة الله ورسوله أعظم نصرة وطاعة وحرمة من عهد عمر بن الخطاب إلى هذا الزمان وقد أخذ المسلمون منهم كنائس كثيرة من أرض العنوة بعد أن أقروا عليها في خلافة عمر بن عبد العزيز وغيره من الخلفاء وليس في المسلمين من أنكر ذلك فعلم أن هدم كنائس العنوة جائز إذا لم يكن فيه ضرر على المسلمين فأعرض من أعرض عنهم كان لقلة المسلمين ونحو ذلك من الأسباب كما أعرض النبي (ﷺ) عن إجلاء اليهود حتى أجلاهم عمر بن

الخطاب. وليس لأحد من أهل الذمة أن يكاتبوا أهل دينهم من أهال الحرب ولا يخبروهم بشئ من أخبار المسلمين ولا يطلب من رسولهم أن يكلف ولي أمر المسلمين ما فيه ضرر على المسلمين ومن فعل ذلك منهم وجبت عقوبته باتفاق المسلمين وفي أحد القولين يكون قد نقض عهده وحل دمه وماله. ومن قال إن المسلمين يحصل لهم ضرر إن لم يجابوا إلى ذلك لم يكن عارفا بحقيقة الحال فإن المسلمين قد فتحوا ساحل الشام وكان ذلك أعظم المصائب عليهم أخذ أموالهم وهدم كنائسهم ومع هذا لم يدخل على المسلمين بذلك إلا كل خير فإن المسلمين مستغنون عنهم وهم إلى ما في بلاد المسلمين أحوج من المسلمين إلى ما في بلادهم بل مصلحة دينهم ودنياهم. فأما الأندلس فهم لا يتركون المسلمين في بلادهم إلا لحاجتهم إليهم وخوفهم من التتار فإن المسلمين عند التتار أعز من النصارى و أكرم ولو قدر أنهم قادرون على من عندهم من المسلمين فالمسلمون أقدر على من عندهم من النصارى والنصارى الذين في ذمة المسلمين فيهم من البتاركة وغيرهم من علماء النصارى ورهبانهم وليس عند النصارى مسلم يحتاج إليه المسلمون ولله الحمد مع أن فكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات وكلم مسلم يعلم أنهم يتجرون إلى بلاد المسلمين إلا لأغراضهم لا لنفع المسلمين، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم على المال يمنعهم من الطاعة فإنهم أرغب الناس في المال ولهذا يتقامرون في الكنائس وهم طوائف مختلفون وكل طائفة تضاد الأخرى ولا يشير على ولي أمر المسلمين بما فيه إظهار شعائرهم في بلاد الإسلام أو تقوية أمرهم بوجه من الوجوه إلا رجل منافق يظهر الإسلام وهو منهم في الباطن أو رجل له غرض فاسد أو رجل جاهل في غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية الإلهية تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين وإلا فمن كان عارفا ناصحا له أشار عليه بما يوجب نصره وثباته وتأييده واجتماع قلوب المسلمين عليه وفتحهم له ودعاء الناس له في مشارق الأرض ومغاربها وهذا كله إنما يكون بإعزاز دين الله وإظهار كلمة الله وإذلال أعداء الله تعالى. وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل كيف مكنهم

الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا من ذلك بما قاموا به، وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذله الله تعالى وكبته وليس المسلمون محتاجين إليهم ولله الحمد فقد كتب خالد ابن الوليد إلى عمر يقول إن بالشام كاتبا نصرانيا لا يقوم خراج الشام إلا به. فكتب إليه لا تستعمله. فكتب إنه لا غنى بنا عنه. فكتب إليه عمر: لا تستعمله» فكتب إليه: إذ لم نوله ضاع المال. فكتب إليه عمر «مات النصراني والسلام». وثبت في الصحيح عن النبي (ﷺ) أن مشركا لحقه ليقاتل معه فقال له «إني لا أستعين بمشرك» وكما أن الجند الا اهدين إنما يصلحون إذا كانوا مسلمين مؤمنين وفي المسلمين كفاية في جميع مصالحهم ولله الحمد. ودخل أبو موسى الأشعري على عمر بن الخطاب فعرض عليه حساب العراق فأعجبه ذلك فقال «ادع كاتبك يقرؤه فقال : إنه لا يدخل المسجد قال» ولم «قال لأنه نصراني فضربه عمر بالدرة فلو أصابته لأوجعته ثم قال: لا تعزوهم بعد أن أذلهم الله ولا تأمنوهم بعد أن خونم الله، ولا تصدقوهم بعد أن أكذبم الله» والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربا قلوبم واحدة موالية لله ورسوله ولعبادة المؤمنين معادية لأعداء الله ورسوله، وأعداء الدين وقلوبم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هن العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يخذل فإنم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة كما أخبر رسول الله (ﷺ) وقال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم حتى أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتر وسبي وغير ذلك بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم: كل العداوات قد ترجى مودتا إلا عداوة من

عاداك في الدين ولهذا وغيره منعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين أو على مصلحة من يقويهم أو يفضل عليهم في الخبرة والأمانة من المسلمين من هو دونهم في الكفاية أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم والقليل من الحلال يبارك فيه والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى والله أعلم.. ثم ذكر الشروط العمرية لأهل الذمة التي من ضمنها أن لا يتخذوا من مدائن الإسلام ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة لراهب ولا يجددوا ما خرب منها» وقال «فمن خرج عن شرط من هذه الشروط فقد حل للمسلمين منهم ما حل من أهل المعاندة والشقاق وليتقدم حاكم المسلمين بطلب من يكون من أكابر النصارى ويلزمهم بذه الشروط العمرية أعز الله أنصارها آمين»[1].

الإرهاب والتعصب في الديانة المسيحية

في الكتاب المقدس سطحات مركبة تدعوا إلى العصبية، لا يعقل أن يكون مصدرها الرب الجليل عز شانه، إلا أن تكون محرفة كما يدعي بذلك جل المسلمين وهذا هو الأقرب، فالله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يدعوا إلى عصبية مهما كان شانا أو نوعها أو مقصدها: سفر يشوع ١: ١٨:«كُلَّ مَنْ يُخالِفُ أمرَكَ ولا يسمَعُ كلامَكَ في جميعِ ما تأمُرُ بِهِ يُقتَلُ، أما أنتَ فتَشَدَّدْ وتشَجَّعْ».

ثم يأمر عباده الصالحين بارتكاب مجزرة جماعية لا تستثنى أحداً ولا تبقى ولا تذر «فنفخ الكهَنةُ في الأبواقِ فهَتَفَ الشعبُ عِندَ سَماعِ صوتِها هُتافًا شديدًا فسَقطَ السورُ في مكانِهِ. فاقتَحَمَ الشعبُ المدينةَ لا يَلوي أحدُهُم على شيءٍ واستَولَوا علَيها. وقتَلوا بحَدِّ السيفِ إكرامًا للرّبِّ جميعَ ما في المدينةِ مِنْ رِجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ وشُيوخ، حتى البقَرَ والغَنَمَ والحَميرَ»[2].

قتل الأطفال :

جاء في سفر الرؤيا ٢: ٢١ ـ ٢٣: أن مسيح المحبة قال عن امرأة اسمها

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية.

(٢) يشوع ٦ :٢٠ - ٢١.

إيزابل كانت تدعي أنا نبية:

«فإني سألقيها على فراش وأبتلي الزانين معها بمحنة شديدة.. وأولادها اقتلهم بالموت فستعرف جميع الكنائس اني أنا هو الفاحص الكلى والقلوب وأجازي كل واحد منكم بحسب أعماله».

تفكيك الأسرة وأحداث الصراعات فيها:

قال المسيح: «لاَ تَظُنُّوا أَني جِئْتُ لألقي سَلاماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لألقي سَلاَماً، بَلْ سَيْفاً.فَإِني جِئْتُ لأُجْعَلَ الإِنْسَانَ عَلَى خِلاَفٍ مَعَ أَبِيهِ، وَالِبْنتَ مَعَ أُمهَا، وَالْكَنةَ مَعَ حَمَاتِهَا».

الإرهاب والتعصب في الديانة اليهودية

سفر العدد ـ (احد أسفار التوراة الخمسة) الإصحاح ٢٣ ـ ٥٠ ـ ٥٣:

وكلم الرب موسى قائلا كلم بني إسرائيل وقل لهم «إنكم عابرون ارض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أجناسهم وتخربون مرتفعاتم وتملكون الأرض وتسكنون فيها، لأني أعطيتكم الأرض لكي تملكوها»(١).

ـ التوراة: «حين سمع الشعب (بنو إسرائيل) صوت البوق هتف هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد (الشعب) إلى المدينة وذبحوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف».

ـ سفر حزقيال في وصية لبني إسرائيل: «لا تشفق أعينكم، ولا تعفوا عن الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا حتى الهلاك».

ـ سفر التكوين: «اضرب أهل تلك المدينة بحد السيف بجميع ما فيها حتى بائمها».

---

(١) الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني ص٦٤.

ـ التلمود: «الخارج عن دين اليهود حيوان على العموم، فسمه كلبا أو حمارا، أو خـ يرا، والنطفة التي هو منها نطفة حيوان».

وفي تفسير هذا النص يقول الحاخام أبا رنابيل: «المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي ـ الغوييم ـ على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلا ونـارا حيوان، وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا، فان ذلك منابذ الذوق الإنسانية كل المنابذة». ـ وعلى اليهودي أن لا يسلم على مسيحي، وان لا يمثل أمام قاضي مسيحي، وان لا يأكل طعام مسيحي، ولا يجوز قبول شهادة مسيحي أمام القضاء». (فضح التلمود).

الفصل الثالث

الإرهاب والتعصب.. محطات تاريخية...

يبرز سؤالان محوريان في بداية هذا الفصل، الأول: ما هي العوامل الجوهرية لبروز ظاهرتي الإرهاب والتعصب في المجتمعات الإنسانية، والمجتمعات الإسلامية والعربية تحديدا؟! والثاني: لماذا لم يقضي الإسلام على الإرهاب والعصبية عند العرب واستمرت هاتين الظاهرتين تنخران في جسد الأمة إلى هذا العصر ؟!

بالنسبة لإجابة السؤال الأول فنحيلها للفصل القادم، أما السؤال الثاني فإننا نعتقد جازمين أن المسيرة الإسلامية حدث لها ما نستطيع تسميته بالتراجع القهقرى والإيقاف المتعمد بعد وفاة النبي (ﷺ)، ذلك أن مسيرة الإصلاح لا بد لها من أن تسير على وتيرة واحدة ووفقا لمنطلقات واضحة ومرنة لا لبس في نواتها، وأن تتمتع بقيادة واحدة متجانسة، وهذا ما لم يحدث بعد وفاة النبي (ﷺ)، حيث تفجر الصراع على السلطة عقب رحيله (ﷺ) مما أدى إلى تراجع خطير في المد الإصلاحي وبروز قوى ومؤثرات شلت فاعلية الحركية الإسلامية الناشئة، ذلك أن الصراع بما يحيوه من اضطرابات، وتسخير للموارد والإمكانيات الفكرية والإدراكية والمالية لا يساهم في تنمية البيئة الاجتماعية للدولة بل لتحقيق مكاسب شخصية أو فئوية للذوات المتصارعة في الدرجة الأولى، وغالبا ما يكون الهدف المتنازع تثبيت موقع رئيسي في السلطة، وإذا ما تحقق الانتصار واستطاع شخص أو فئة الإمساك بزمام الحكم، تستغل الموارد لتثبيت وتدعيم السلطة، وهكذا تبتعد السلطة عن أهم أهداف وجودها ألا وهو

الإصلاح والتنمية، ذلك أن الصراع على رئاسة الدولة بعد وفاة مؤسسها لا يساهم في بروز قيادة امتدادية شخصا وفكرا وثقافة وسلوكا للشخصية المؤسسة بل إلى ظهور قيادة مختلفة تتمتع بمرئيات وقناعات وثقافة قد تلتقي وقد تختلف مع القيادة المؤسسة، لذلك فأن كافة أو معظم الإصلاحات وعمليات التغيير الايجابي تتعرض للتراجع والإقصاء بمجرد تسلم القيادة الجديدة مقاليد السلطة، لذلك نلاحظ انه في الديمقراطيات العريقة تعتبر السلطة مؤسسة شعبية غير خاضعة لشخص أو فئة معينة، لذلك تقوم بمهامها بفاعلية من دون تراجع لمنجزاتا، ذلك أن تلك الديمقراطيات تقوم على نظرية الدولة المؤسسة في تسيير شئونا الاقتصادية والسياسية وعلاقاتا الخارجية ونظامها الاجتماعي والثقافي، على العكس تماما من الدول الشرقية وعلى رأسها دول العالمين الإسلامي والعربي حيث يطغى شخص الرئيس على الحياة السياسية والاجتماعية للدولة القطرية.

والأمة الإسلامية بعد وفاة النبي (ﷺ) عانت من صراع مرير على السلطة أدى إلى تراجع الإصلاحات والتغييرات الجذرية دينيا واجتماعيا، وتشتت الاجتماع الإسلامي إلى مذاهب كل منها تدعي بأنا امتداد للنهج النبوي وما عداها ليس سوى البطلان، ونظرا لارتباط السلطة الحاكمة بذا المذهب أو ذاك تحقيقا لمكاسب خاصة با، ساهمت الدولة في إثارة الصراعات والتشاحنات والنـ اعات المذهبية تعزيزا للفرقة وحتى تكون السلطة قادرة على إدارة دفة الصراع بما يحقق لها القدرة والفاعلية والبقاء.

في خضم الصراعات السياسية والعقائدية تتراجع الإصلاحات لان الدولة طرفا فيه على العكس من الديمقراطيات الحديثة التي تعتبر الدولة مؤسسة شعبية واقتصادية وأمنية، ينأى الحزب الحاكم المنتهية ولايته في الغالب عن تسخير مؤسسات السلطة لخوض غمار المنافسة على الحكم، ليحسم الأمر وفقا لضوابط قانونية لا تؤثر على مسيرة البلاد السياسية والاقتصادية وعلاقاتا الخارجية وتوازناتا الداخلية في اغلب الأحيان.

الصراع على السلطة في الدول التقليدية كالدول الإسلامية في الغالب

يصاحبه إهدار للدماء، وهضم لحقوق فئات وشرائح عديدة في التمع، يقول الأمام علي (عليه السلام) في وصفه لحال الخلافة «أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمصَهَا[1] ابن أبي قحافه وَإِنهُ لَيَعْلَمُ أَن مَحَلي مِنْهَا مَحَل الْقُطْبِ مِنَ الرحَى يَنْحَدِرُ عَني السيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَي الطيْرُ فَسَدَلْتُ[2] دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً[3] وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذاءَ[4] أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ[5] عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصغِيرُ وَيَكْدَحُ[2] فِيهَا مُؤْمِنٌ حتى يَلْقَى رَبهُ.

ترجيح الصبر

فَرَأَيْتُ أَن الصبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى[3] فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى[4] وَفِي الْحَلْقِ شَجًا[5] أَرَى تُرَاثِي[6] نَهْباً حَتى مَضَى الأَولُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابن الخطاب بَعْدَهُ ثُم تَمَثلَ بِقَوْلِ الأَعْشَى:

شَـــتانَ مَـــا يَـــوْمِي عَلَـــى كُورِهَـــا

وَيَـــوْمُ حَيـــانَ أَخِـــي جَـــابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَمَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَد مَا تَشَطرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيرَهَا فِي حَوْزَةٍ[7] خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصعْبَةِ[8] إِنْ أَشْنَقَ[1] لَهَا خَرَمَ[2]

---

(١) تقمصها: لبسها كالقميص.
(٢) فسدلت: أغمضت البصر.
(٣) كَشْحاً: ملت عنها.
(٤) جَذَّاءَ: مقطوعة.
(٥) طَخْيَةٍ: ظلمة.
(٢) يَكْدَحُ: يبذل أقصى جهده.
(٣) أَحْجَى: الزم.
(٤) قَذًى: حجر.
(٥) شَجًا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.
(٦) تُرَاثِي: ميراثي.
(٧) حَوْزَةٍ: ناحية.
(٨) الصَّعْبَةِ: الإبل الغير ذلولة.

وَإِنْ أَسْلَسَ[3] لَهَا تَقَحَمَ[4] فَمُنِيَ النَاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ[5] وَشِمَاسٍ[6] وَتَلَونٍ[7] وَاعْتِرَاضٍ[8] فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدةِ وَشِدةِ الْمِحْنَ حَتى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَني أَحَدُهُمْ فَيَا لَلهِ وَلِلشورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَيْبُ فِي مَعَ الأَولِ مِنْهُمْ حَتى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النظَائِرِ لَكِنني أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[9] إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ[10] بَيْنَ نَثِيلِهِ[11] وَمُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ[12] مَالَ اللهِ خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ[13] عَلَيْهِ فَتْلُهُ[14] وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[15].

مبايعة علي

فَمَا رَاعَنِي إِلا وَالناسُ كَعُرْفِ الضَبُعِ[16] إِلَيَ يَنْثَالُونَ[17] عَلَيَ مِنْ كُل

(١) أَشْنَقَ: رفع رأسه وهو راكب البعير.
(٢) خَرم: شَقٌ وَتَرةَ انفه.
(٣) أَسْلَسَ: أرخى.
(٤) تَقَحَّمَ: رمى بنفسه في الهلكة.
(٥) بِخَبْطٍ: السير على غير الجادة.
(٦) شِمَاسٍ: إباء ظهر الفرس عن الركوب.
(٧) تَلَوُّنٍ: تبذل.
(٨) اعْتِرَاضٍ: السير على غير خط مستقيم.
(٩) هَنٍ وَهَنٍ: يشير إلى أشياء يكره ذكرها
(١٠) نَافِجاً حِضْنَيْهِ: رافعا لهما، والحضن: ما بين الإبط والكشح.
(١١) نَثِيلِهِ: روثه.
(١٢) يَخْضَمُونَ: يأكلون بملء الفم.
(١٣) انْتَكَثَ: انتفض.
(١٤) فتله: قتله.
(١٥) بِطْنَتُهُ: إسرافه وتخمته في الشبع.
(١٦) كَعُرْفِ الضَّبُعِ: مثل يضرب به في الكثرة والازدحام واصله ما كثر على الضباع في عنقها من الشعر.
(١٧) يَنْثَالُونَ: يتتابعون.

جَانِبٍ حَتى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ[١] وَشُق عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ[٢] فَلَما نَهَضْتُ بِالأَمرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ تِلْكَ الدارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ بَلَى وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنهُمْ حَلِيَتِ الدنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا أَما وَالذِي فَلَقَ الْحَبةَ وَبَرَأَ النسَمَةَ لَوْ لا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجةِ بِوُجُودِ الناصِرِ وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلى الْعُلَمَاءِ أَن لا يُقَارُوا عَلَى كِظةِ[٣] ظَالِمٍ وَلا سَغَبِ[٤] مَظْلُومٍ لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَولِهَا وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[٥].

ومما دار بين الخليفة عثمان وابن عباس «قال له عثمان: إني أنشدك يا بن عباس الإسلام والرحم، فقد والله غلبت وابتليت بكم، والله لوددت أنّ هذا الأمر كان صار إليكم دوني فحملتمُوه عنّي، وكنت أحد أعوانكم عليه، إذاً والله لوجدتموني لكم خيرا مما وجدتكم لي، ولقد علمت أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم، فو الله ما أدري أدفعوه عنكم أم دفعوكم عنه؟!

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنّا ننشدك الله والإسلام والرحم، مثل ما نشدتنا، أن تطمِع فينا وفيك عدوا، وتُشمت بنا وبك حسوداً! إن أمرَك إليك ما كان قولاً، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يديك، وإنّا والله لنخالفن إن خولفنا، ولننازعنّ إن نوزعنا، وما تمّنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلاّ أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ويعيب كما عابوا!

فأما صرْف قومنا عنّا الأمر فعن حسدٍ قد والله عرفته، وبغي قد والله

---

(١) الْحَسَنَان: ولداه الحسن والحسين (عليهما السلام).

(٢) كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ: الطائفة الرابطة من الغنم.

(٣) كِظَّةِ: استئثار.

(٤) سَغَبِ: جوع، والمراد هضم الحقوق.

(٥) عَفْطَةِ عَنْزٍ: ما ترسله من انفها.

علمته، فالله بيننا وبين قومنا!

وأما قولك: إنك لا تدري أدفعوه عنّا أم دفعونا عنه؟ فلعمري إنّك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما زدنا به فضلاً إلى فضلنا ولا قدرا إلى قدرنا وإنّا لاهلُ الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلا بفضلنا، ولا سبق سابق إلاّ بسبقنا، ولولا هدينا ما اهتدى أحد ولا أبصرُوا من عمى، ولا قصدوا من جَوْر... الخ[1].

ومما جاء عن الخليفة عمر:

قال ابن عباس :

دخلتُ على عُمَر في أوّل خلافته، وقد أُلقِيَ له صاعٌ من تمر على خصفة[2]، فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتّى أتى عليه، ثم شرب من جَر[3] كان عنده، واستلقى على مِرْفقةٍ له، وطفق يَحْمَدُ الله، يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد.

قال: كيف خلّفت ابن عمك ؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر.

قلت: خلّفتُه يلعبُ مع أترابه.

قال: لم أعنِ ذلك، إنّما عنيتُ عظيمكم أهل البيت.

قلت: خلّفتُه يمتح بالغرْب[4] على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن.

قال: عبد الله، عليك دماء البُدن إن كتمتنيها؟ هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم.

قال: أيزعم أنّ رسول الله (ﷺ) نص عليه؟ قلت: نعم وأزيدك، سألت أبي عَمّا يدّعيه، فقال: صدَق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله (ﷺ) في أمره ذَرْوٌ[5] من قول لا

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٩ ، الموفقيات ص ٦٠٦.

(٢) الخصفة : الجلة تعمل من الخوص للتمر.

(٣) الجر: آنية من خزف، الواحدة جرة.

(٤) الغرب: الدلو.

(٥) ذرو : طرف.

يثبتُ حُجّةً، ولا يقطع عذرا، ولقد كان يرَبع في أمره وقتا ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه[1] فمنعت من ذلك[2] إشفاقا وحْيطة على الإسلام! لا ورّب هذه البنّية لا تجتمع عليه قريش أبدا؟ ولو وليها لا نتقضتْ عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله (ﷺ) أنّي علمت ما في نفسه، فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم[3].

قال ابن عباس:

كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

فقال: أما والله يا بني عبد المطلب؟ لقد كان علي فيكم أولى بذا الأمر منّي ومن أبي بكر.

فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلْته.

فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ وأنت وصاحبك وثبتما وأفرغتما الأمر منّا دون الناس.

فقال: إليكم يابني عبد المطلب ؟ أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب.

فتأخَرتُ وتقدم هنيهة.

فقال: سِر لا سرتَ، وقال: أعد على كلامك.

فقلت: إنّما ذكرتَ شيئا فرددتُ عليه جوابه ولو سكت سكتنا.

فقال: إنّا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوةٍ ولكن استصغرناه، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

قال: فأردتُ أن أقول: كان رسول الله (ﷺ) يبعثه فينطح كبشها فَلَم يَستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لا جرم، فكيف ترى؟ والله ما

---

(١) إشارة إلى قول النبي (ﷺ): آتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده.

(٢) اعتراف الخليفة عمر انما صد عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي ـ عليه السلام ـ..

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٢٠ ـ ٢١، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للحلي ص٤٦٢ ح ٥٦٢، كشف الغمة ج ٢ ص ٤٦، بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٥٦.

نقطع أمرا دونه، ولا نعمل شيئا حتى نستأذنه[1].
عن ابن عباس قال:
مرّ عمر بعلي (عليه السلام)، وأنا معه بفناء داره فسلّم عليه.
فقال له علي (عليه السلام): أين تريد ؟
قال: البقيع.
قال: أفلا تصل صاحبك ويقوم معك.
قال: بلى.
فقال لي عليّ (عليه السلام): قم معه، فقمت فمشيتُ إلى جانبه، فشبك أصابعه في أصابعي، ومشينا قليلاً، حتى إذا خلّفنا البقيع.
قال لي: يابن عباس، أما والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أنّا خفناه على اثنين.
قال ابن عباس: فجاء بكلام لم أجد بُدّا من مسألته عنه.
فقلت: ما هما يا أمير المؤمنين ؟
قال: خِفْناه على حداثة سنه، وحّبه بني عبد المطلب[2].
ومما جاء عن معاوية:
حضر عبد الله بن عبّاس مجلس معاوية بن أبي سفيان فأقبل عليه معاوية.
فقال: يابن عبّاس إنّكم تريدون أن تُحرزوا الإمامة كما اختصصتم بالنبوة، والله لا يجتمعان أبدا، إن حجتكم في الخلافة مشتبهةٌ على الناس، إنكم تقولون: نحن أهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فما بال خلافة النبوة في غيرنا ؟
وهذه شبهة لأنا تشبه الحق وبا مسحة من العدل، وليس الأمر كما تظنون، إن الخلافة تتقلب في أحياء قريش برضا العامّة، وشورى الخاصّة ولسنا نجد الناس يقولون: ليت بني هاشم ولونا، ولو ولونا كان خيرا لنا في دنيانا وأخرانا، ولو كنتم زهدتم فيها أمس كما تقولون، ما قاتلتم عليها اليوم، والله

(١) محاضرات الراغب الأصفهاني ج ٧ ص ٢١٣، الغدير للاميني ج ١ ص ٣٨٩.١.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٥٠.

لو ملكتموها يا بني هاشم لما كانت ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم.

فقال ابن عبّاس (رضي الله عنه): أمّا قولك يا معاوية: إنّا نحتج بالنبوة في استحقاق الخلافة، فهو والله كذلك، فإن لم تُستحق الخلافة بالنبوة، فبم تُستحق ؟

وأمّا قولك: إن الخلافة والنبوة لا يجتمعان لأحد، فأين قول الله عز وجل: ﴿أم يحسُدونَ النّاسَ على ما آتاهُمُ الله من فَضلِه، فقد آتينا آلَ إبراهيم الكِتابَ والحِكمَة وآتيناهُمْ مُلكا عظيما﴾[1]..فالكتاب هو النبوة، والحكمة هي السّنة، والملك هو الخلافة، فنحن آل إبراهيم، والحكم بذلك جار فينا إلى يوم القيامة.

وأمّا دعواك على حجّتنا أنّها مشتبهة، فليس كذلك، وحجّتنا أضوء من الشمس وأنور من القمر، كتاب الله معنا، وسنة نبّيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فينا، وإنّك لتعلم ذلك، ولكن ثنى عطفك وصعرك[2].قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمك، فلا تبك على أعظُم حائلة وأرواح في النار هالكة، ولا تغضبوا لدماء أراقها الشرك، وأحلّها الكفر، ووضعها الدين.

وأمّا ترك تقديم النّاس لنا فيما خلا، وعدولهم عن الإجماع علينا، فما حُرموا منّا أعظم ممّا حُرمنا منهم، وكل أمرٍ إذا حصل حاصله ثبت حقّه، وزال باطله.

وأمّا افتخارك بالملك الزائل، الّذي توصّلت إليه بالمحال الباطل، فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه الله، وما تملكون يوما يا بني أمية إلاّ ونملِكُ بعدكُم يومين، ولا شهرا إلاّ شهرين، ولا حولاً إلاّ ملكنا حولين.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.

(٢) قال الجوهري: «يقال ثني فلان عَنّي عطفه، اذا عرض عنك. وقال: صعّر خدَّه وصاعر: أي أماله من الكسر». ومنه قوله تعالى: ﴿ثاني عِطْفِهِ لِيُضلّ عن سبيلِ الله له في الدُّنيا خِزيٌ ونُذيقُه يَومَ القيامة عَذَابَ الحَريق﴾ سورة الحج: الآية ٩، صحاح الجوهري ج ٤/ ص ٤٠٥.

وأمّا قولك: إنّا لو ملكنا كان ملكنا أهلَكَ للناس من ريح عاد وصاعقة ثمود، فقول الله يكذبك في ذلك قال الله عز وجلّ: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[1]. فنحن أهل بيته الادنون، وظاهر العذاب بتملّكك رقاب المسلمين ظاهر للعيان، وسيكون من بعدك تملّك ولدك وولد أبيك أهلك للخلق من الريح العقيم، ثم ينتقم اللّه بأوليائه، وتكون العاقبة للمّتقين[2]..

وينقل عن الخليفة عمر قوله في بيعة أبي بكر «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاضربوا عنقه!!» [3]، «ولما بويع أبو بكر في يوم السقيفة و جددت له البيعة يوم الثلاثاء على العامة خرج علي فقال: أفتت علينا أمرنا ولم تستشر و لم ترع لنا حقا، فقال أبو بكر: بلى ولكني خشيت الفتنة» [4].

حادثة يوم الدار

من أعظم النوازل وأخطرها في هذا المضمار ما جرى على أبنت النبي الوحيدة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إذ أعلنت الأخيرة معارضتها لتولي أبي بكر الصديق مقاليد الخلافة، فما كان من الخليفة أن حرمها من ميراث أبيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعم ذلك أزواجه التسعة أيضا بما فيهم ابنته السيدة عائشة، وأصبحت دارها على مدى أيام متواصلة مركزا لتجمع المناوئين للسلطة، فجمع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنصاره وهاجموا الدار وهلموا بحرقها، قيد علي (عليه السلام) وآخرون واجبروا على البيعة بعد أن احضروا بين يد الخليفة أبي بكر، أما الزهراء فتشير مصادر الشيعة إصابتها برضوض اذت إلى سقوط جنين لها كانت ستسميه محسن، وبعد ستة أشهر من هذه الحادثة توفيت متأثرة بما الم با من مصاب، تتفق المصادر التاريخية الشيعية على ذلك، أما أسفار أهل السنة فتشير فقط إلى تديد الخليفة عمر بن الخطاب بحرق الدار وذلك في أعمها واغلبها،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) أمالي الشيخ المفيد ص ١٥، بحار الانوار ج ٤٤ ص ١١٧ ح ١١.

(٣) نقل المسعودي في مروجه.

(٤) مروج الذهب ج٢ ص ٣٠٢.

جاء في كـ العمال: «إنّ عمر قال لفاطمة: وما أحد أحبّ إلى أبيك منك، وما ذلك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أَمَرْتم أن يحرقوا عليك الباب».

وفي رواية الإمامة والسياسة: «إن عمر جاء فناداهم وهم في دار عليّ فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجُن أو لآحرقّنها على مَن فيها، فقيل له: يا أبا حفص! إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن».

وفي أنساب الأشراف: «إنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطّاب أتراك مُحرقاً عَلَيّ بابي؟!

قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك».

قال ابن أبي شيبه: حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله، فيشاورونا ويرتجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة وقال: يا بنت رسول الله والله ما احد أحب إلينا من أبيك وما من احد أحب إلينا بعد أبيك منك وايم الله ما ذلك بمانعي أن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرتم أن يحرق عليهم البيت»[1].

يقول ابن عبد ربه في عقده الفريد: وأما علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فاقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا. قال:نعم أو تدخلوا ما دخلت فيه الأمة»[2].

أما الخبر بإسقاط الجنين فتعج به كتب الشيعة من الأمامية، إلا انه ندر عند السنة، جاء في ميزان الاعتدال: محمد بن احمد الكوفي الحافظ، كان منتظم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما تجرا عليه المثالب، حضرته

---

(١) المصنف ٤٣٢/٧.

(٢) العقد الفريد ١٣/٥.

ورجل يقرا عليه أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن»[1].

نقل الشهرستاني في الملل والنحل والصفدي في الوافي بالوفيات عن إبراهيم بن سياب النظام المعتزلي المتوفى سنة ٢٣١: «أن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة وكان يصيح عمر: احرقوا دارها بمن فيها وما كان بالدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين».

جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد قوله لشيخه ومعلمه: «اروي عنك ما يرويه بعض الناس من أن فاطمة روعت فألقت محسنا فقال: لا تروه عني ولا تروا عني بطلانه»[2].

نماذج من تدخل الخلفاء في النظام الفقهي والعقائدي

١ ـ جاء فيما كتبه معاوية إلى عمّاله في الأمصار: «انظُروا مَنْ قِبَلكم من شيعة عثمان ومُحبّيه وأهل ولايته والذين يروون في فضائله ومناقبه، فأدْنُوا مجالسهم، وقربوهم وأكرِموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته».

ولمّا فشا الحديث في فضائل عثمان، كتب إليهم: «إنّ الحديث في عثمان قد كثُر وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعُوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة»[3].

وروى البيهقيّ وأبو داود في سننهما ـ واللفظ للأوّل:

إنّ معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله: إنّ رسول الله نهى عن النمور؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

---

(١) ميزان الاعتدال ١/١٣٩.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤/١٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٤ ـ ٤٥.

قال: وأنا أشهد.
قال: أتعلمون أنّ النبيّ (ﷺ) نهى عن لبس الذهب إلاّ مقطّعاً؟
قالوا: اللّهمّ نعم.
قال: أتعلمون أنّ النبيّ (ﷺ) نهى أن يُقْرَن بين الحجّ والعمرة؟
قالوا: اللّهمّ لا!
قال: والله، إنّها لَمَعَهُنّ[1].

وأخرج الشافعيّ في كتاب «الأُمّ»، من طريق عبيد بن رفاعة: أنّ معاوية قدِم المدينة فصلّى بهم، فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ولم يكّبر إذا خفض وإذا رفع، فناداه المهاجرون حين سلّم والأنصار: أنْ: يا معاوية! أسرقتَ صلاتك؟! أين «بسم الله الرحمن الرحيم»؟! وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت؟!

فصلّى بهم صلاة أُخرى، فقال: ذلك فيها الذي عابوا عليه[2].

وأتى قبله بحديث عن أنس بن مالك، قال:

صلّى معاوية بالمدينة صلاة، فجهر فيها بالقراءة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأُمّ القرآن، ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتّى قضى تلك القراءة، ولم يكّبر حين يهوي حتّى قضى تلك الصلاة، فلمّا سلّم ناداه مَن سمع ذلك من المهاجرين من كلّ مكان: يا معاوية! أسرقتَ الصلاة أم نسِيت؟

فلمّا صلّى بعد ذلك، قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أُمّ القرآن، وكبّر حين يهوي ساجداً[3].

وجاء عن الزهريّ: أوّل من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص[4].

---

(١) السنن الكبرى ٥ : ٢٠ ، سنن أبي داود ٢ : ١٥٧ـ ١٧٩٤ .
(٢) الأُمّ ١ : ١٠٨ ، التدوين في أخبار قزوين ١ : ١٥٤ ، والدارقطنيّ ١ : ٣١١ ، والحاكم ١ : ٢٣٣ ، والبيهقيّ ٢ : ٥٠ .
(٣) الأُمّ ١ : ١٠٨ . السنن الكبرى ٢ : ٤٩ ، تاريخ الخلفاء : ٢٠٠ ، نيل الأوطار ٢ : ٢٦٦ عن سعيد بن المسيِّب أنّه قال: أوّل من نقّص التكبير معاوية
(٤) السنن الكبرى ٢ : ٥٠ .

وعلّق الفخر الرازيّ في «أحكام البسملة» على كلام الزهريّ:

«قلت: وولي عمرو المدينة في زمن يزيد بن معاوية، وتبعه من تبعه في ذلك، فلهذا قال يحيى بن جعدة: اختلس الشيطان من الائمّة آية البسملة، يعني بالآئمّة: الولاة العلماء. وقال الزهريّ: في آية من كتاب الله تركها الناس. وقال مجاهد: نسِيَ الناس ما كان الآمر عليه قبل ذلك، ولا خير فيما أُحدث بعد العصر الذي أنكر فيه على معاوية تركها، وإذا اشتهر واستفاض، فالحجّة فيما ينقل عن العلماء دون أفعال الولاة.

فإن قلت: لو لم يكن حقّاً لآنكره العلماء.

قلت: قد أنكروه على معاوية فرجع، فلمّا أفضى الآمر إلى غيره من الولاة الجبابرة من المدينة كالآشدق والحجّاج وحُبيش بن دلجة ونظائرهم، ربّما تركوه خوفاً من سطوتم، أو أنكر بعضهم فلم يقبل منهم، فتركه الباقون ورأوا الآمر واسعاً. والكلّ جائز وإن كان فيه ترك للسّنّة، فاغتفروا أمره خوفاً من الفتنة!»[1].

مما يجدر ذكره أنّ غالب فقه أهل المدينة كان يخالف أهل البيت، أما فقه أهل العراق فغالبه كان يوافق أهل البيت. والإمام مالك اشتهر انه كتب موطّأه بطلب من الخليفة المنصور العبّاسيّ، فقال له المنصور: يا أباعبدالله! (يعني مالك)، ضع هذا العلم ودوّنه ودوّن منه كتباً وتجنّبْ فيه شواذّ عبد الله بن مسعود ورُخَص ابن عبّاس وشدائد ابن عمر، واقصد إلى أوسط الأمور، وما احتجّ عليه الأئمة والصحابة (رضي الله عنهم)، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك، ونبثّها في الأمصار، ونعهد إليهم ألاّ يخالفوها، ولا يقضوا بسواها.

فقال: مالك: أصلح الله الأمير، إنّ أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يَرَون في علمهم رأينا.

وفي آخر: قال المنصور لمالك: اجعل يا أبا عبد الله علماً واحداً. فقال مالك: إنّ أصحاب رسول الله تفرّقوا في البلاد، فأفتى كلّ في مصره بما رأى،

---

(١) أحكام البسملة: ٧٦.

وإنّ لأهل البلد ـ يعني مكّة ـ قولاً، ولأهل المدينة قولاً، ولأهل العراق قولاً تعدّوا في طورهم. فقال المنصور: أمّا أهل العراق فلا أقبل منهم صرْفاً ولا عدلاً، وأما العلم عند أهل المدينة، فضع للناس العلم[1].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق الحسن قال: كان عبادة بن الصامت بالشام فرأى آنيّة من فضّة، يباع الإناء بمثله مع ما فيه، أو نحو ذلك، فمشى إليهم عبادة فقال: أيّها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبادة بن الصامت، ألا وإنّي سمعت رسول الله في مجلس من مجالس الانصار ليلة الخميس في رمضان ولم يَصُم رمضانَ بعده، يقول: الذهب بالذهب مِثلاً بمثل، سواء بسواء وزناً بوزن، يداً بيد، فما زاد فهو ربا

قال: فتفرّق الناس عنه، فأُتي معاوية فأُخبر بذلك، فأرسل إلى عبادة فأتاه، فقال له معاوية: لئن كنت صحبت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعت منه لقد صحبناه وسمعنا منه.

فقال له عبادة: لقد صحبته وسمعت منه.

فقال له معاوية: اسكت عن هذا الحديث ولا تذكره.

فقال له: بلى، وإن رغم أنف معاوية، ثمّ قام.

فقال له معاوية: ما نجد شيئاً أبلغ فيما بيني وبين أصحاب محمّد من الصفح عنهم.

وفي رواية البيهقيّ والقرطبيّ: فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً، فقال: ألا ما بالُ رجال يتحدّثون عن رسول الله أحاديث كنّا نشهده ونصحبه فلمن سمعها منه؟!

فقام عبادة بن الصامت، فأعاد القصّة، ثمّ قال: لنحدثنّ بما سمعنا من رسول الله وإن كره معاوية، أو قال: وإن رغم، ما أُبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء[2].

---

(١) انظر وضوء النبيّ: ٣٥٤ عن الإمام مالك ص١٣٣، وترتيب المدارك: ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) السنن الكبرى ٥: ٢٧٧، تفسير القرطبيّ ٣: ٣٥.

جاء فيما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله أو سنّة ماضية أو حديث عمرة. فاكتبه؛ فإنّي خشيت دروس العلم وذهاب العلماء[1].

وفي حديث آخر: وحديث عمر[2].

وفي ثالث: أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمّد فكتبه له[3].

وجاء في «تاريخ الخلفاء» عن حاطب بن خليفة البُرْجُميّ: شهدتُ عمر بن عبد العزيز يخطُب وهو خليفة، فقال في خُطبته: ألا وإنّ ما سنّ رسول الله وصاحباه فهو دِين نأخذ به وننتهي إليه، وما سنّ سواهما فإنّا نُرجئه[4]»؟

وفي «تقييد العلم»: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة: أن انظروا ما كان في حديث رسول الله فاكتبوه فإنّي قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء[5].

وجاء فيما كتبه عمر بن عبد العزيز لبعض ولاته «...فإن السّنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمّق، فارض لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وتفضيل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولآن قلتم «إنّما حدث بعدهم» ما أحدثه إلاّ من اتّبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصّر وما فوقهم من محسر، وقد قصّر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم قوم فغلوا، وإنهم بين

(١) تقييد العلم: ١٠٥ و١٠٦، سنن الدارميّ ١: ١٢٦، صحيح البخاريّ ١: ٣٦، التاريخ الصغير: ١٠٥.

(٢) سنن الدارميّ ١: ١٢٦.

(٣) الجرح والتعديل ١: ٢١.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطيّ: ٢٤١، كنز العمّال ١ : ٣٣٢، وعنه في الصحيح للسيّد جعفر مرتضى ١١: ٨.

(٥) تقييد العلم: ١٠٦، تاريخ دمشق ٣: ١٧٥.

ذلك على هدى مستقم...»[١]. وفي كلام آخر له: «سنّ رسول الله وولاة الأمر بعده سنناً، الآخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال لطاعة الله، وقوّة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولاتبديلها ولا النظر في رأي من خالفها، ومن اقتدى بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها واتّبع غير سبيل المؤمنين»[٢].

وفي هذا الصدد ورد عن ابن شهاب الزهريّ قولُه: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السَنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كلّ أرض له عليها سلطان دفتراً[٣].

وفي هذا الصدد ورد عن ابن شهاب الزهريّ قولُه: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السَنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كلّ أرض له عليها سلطان دفتراً[٤].

ـ عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قدِم علينا سليمان بن عبد الملك حاجّاً سنة٨٢ وهو وليّ عهد، فمرّ بالمدينة، فدخل عليه الناس، فسلّموا عليه. وركب إلى مشاهد النبيّ (ﷺ) التي صلّى فيها، وحيث أُصيب أصحابه بأُحد، ومعه أبان بن عثمان وعمرو بن عثمان وأبو بكر بن عبد الله، فأتوا به قُباء، ومسجد الفَضِيخ ومَشْربة أمّ إبراهيم وأُحد، وكلّ ذلك يسألهم ويخبرونه عمّا كان.

ثمّ أمر أبانَ بن عثمان أن يكتب له سيرة النبيّ (ﷺ) ومغازيه، فقال أبان: هي عندي، قد أخذتها مُصحّحة عمّن أثق به.

فأمر بنسخها، وألقى فيها إلى عشرة من الكتّاب، فكتبوها في رق. فلمّا صارت إليه، فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين، وذكر الأنصار في بدر.

فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإمّا أن يكون أهل بيتي

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها، للغامديّ ١ : ٧٤ عن سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب لزوم السنّة، وبنحوه في البدع لابن وضّاح : ٣٠.

(٢) أخرجه الآجريّ في الشريعة : ٤٨، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنّة ١ : ٣٥٧ كما في حقيقة البدعة ١ : ٣٩٧.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١ : ٧٦.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١ : ٧٦.

غمصوا عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان: أيّها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه أن نقول بالحقّ: هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

قال: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتّى أذكره لأمير المؤمنين، لعلّه يخالفه. فأمر بذلك الكتاب فَحُرق. وقال: أسأل أمير المؤمنين إ نسخه.

فرجع سليمان بن عبد الملك، فأخبر عبد الملك بالذي كان من قول أبان، فقال عبد الملك: وما حجّتك أن تِقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟! تُعرفُ أهلَ الشام أُموراً لا نريد أن يعرفوها.

قال سليمان: فلذلك يا أمير المؤمنين أمرت بتخريق ما كنت نسخته حتّى أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوّب رأيه[1].

وقيل أن معاوية لمّا دخل الكوفة قال: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا إنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأ تأمّر عليكم[2].

فقد ورد أنّ هشام بن عبد الملك طلب من الزهريّ أن يروي أنّ قوله تعالى: ﴿وَالذِي تَوَلى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

فعن معمّر، عن الزهريّ، أنّه قال: كنّا نكره كتابة العلم، حتّى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لا نمنعه أحداً من المسلمين[4].

وفي آخر: استكتبني الملوك فأكتتبتهم، فاستحيت الله إذ كتبتها للملوك ولا أكتبها لغيرهم[5].

وفي ثالث: عن أبي المليح أنّه قال: كنّا لا نطمع أن نكتب عند الزهريّ

---

(١) الموفّقيّات للزبير بن بكّار: ٣٣٢ ٣٣٣، وللخبر ذيل راجعه.

(٢) المناقب، لابن المغازليّ: ١٤٢ رقم الحديث ١٨٦.

(٣) نزل في عليّ.. منع تدوين الحديث الأسباب والنتائج ص٣٨٩.

(٤) تقييد العلم: ١٠٧، الطبقات الكبرى ٢: ٣٨٩، البداية والنهاية ٩: ٣٤١.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ١: ٧٧.

حتّى أكره هشامٌ الزهري، فكتب لبنيه، فكتب الناس الحديث[1].

حدث احدهم قائلا في حديث علي: اكتم هذا الحديث واطوه دوني، فإنّ هؤلاء (أي الاُمويّين) لا يعذرون أحداً في تقريظ عليّ وذكره.

قلت: فما بالك ادّعيت مع القوم يا أبا بكر!! وقد سمعت الذي سمعت؟!

قال: حسبك يا هذا! إنّهم أشركونا في أموالهم فانحططنا لهم في أهوائهم[2].

ـ وقد كان معاوية قد بذل أربعمائة ألف درهم لسمرة بن جندب لقاء وضعه لـ (رواية) مفادها أنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾. (قد نزلت في ابن ملجم قاتل عليّ)[3].

قال المدائنيّ: وظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا من مجلسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الدّيّانين الذي لايستحلّون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولما تديّنوا بها[4].

ـ وقال الدهلويّ في رسالة الإنصاف: (ولمّا انقرض عهد الخلفاء الراشدين أفضت الخلافة إلى قوم تولّوها بغير استحقاق، ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام، فاضطّروا إلى الاستعانة بالفقهاء، وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم، وكان بقي من العلماء من الطراز الاوّل، فكانوا إذا طُلِبوا هربوا وأعرضوا، فرأى أهل تلك الاعصار ـ غير العلماء ـ إقبال الاُمة عليهم مع إعراضهم، فاشتروا طلب العلم توصّلاً إلى نيل العزّ، فأصبح الفقهاء بعد أن

(١) حلية الأولياء ٣: ٣٦٣، البداية والنهاية ٩: ٣٤٥ كما في الرواية التاريخيّة: ١٠٧.

(٢) المناقب لاين المغازليّ: ١٤٢ ح ١٨٦.

(٣) شرح النهج ٤: ٧٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٩.

كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزّة بالإعراض عن السلاطين أذلّة بالإقبال عليهم، إلاّ من وفقه الله...)[1].

ـ وقال ابن عرفة ـ المعروف بنفطويه ـ: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أُميّة، تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم[2].

ورد عن الرشيد أنّه استدعى ليلةً أبا يوسف قاضي القضاة، فذهب إليه فزعاً مروعاً. فلمّا دخل عليه القصر وجده جالساً، وعن يمينه عيسى بن جعفر، فقال له الرشيد: أظننا روعناك يا أبا يوسف؟

فقال: إي والله، كذلك من خلفي، ولمّا سكن روعه، قال له الرشيد: دعوتك لأشهدك على عيسى بن جعفر، فإنّ عنده جارية سألته أن يهبها أو يبيعها فامتنع، والله إن لم يفعل لأقتلنّه.

فقال عيسى بن جعفر: إنّ عَلَي يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها.

فطلب الرشيد من أبي يوسف أن يضع له حلاّ لهذه المشكلة، فقال أبو يوسف: يهب لك نصفها ويبيعك النصف الآخر.

فقال الرشيد لأبي يوسف: إنّي لا أستطيع أن أصبر حتّى تبرأ بحيضتها، لأنّها جارية مملوكة، ولأبدّ للجارية من ذلك، وإذا لم أدخل بها ليلتي هذه أخاف على نفسي من التلف.

فقال له أبو يوسف: الأمر أسهل من ذلك يا أمير المؤمنين، أَعِتِقْها وتزوج بها الساعة. وبهذه الحيلة انتزع الرشيد الجارية من مولاها وتزوّجها في تلك الليلة[3].

وروى المسعوديّ: أن زبيدة زوج الرشيد كتبت إلى أبي يوسف: ما تقول في هذا الأمر؟ وأحب الأشياء إلي أن يكون كذا، فأفتاها بما وافق رغبتها،

---

(١) انظر رسالة الإنصاف.

(٢) النصائح الكافية: ٨٩، شرح النهج ١١: ٤٦.

(٣) انظر تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمّد يوسف: ١٦٨.

فأرسلت إليه بهديّة تحتوي على الذهب والفضّة والغلاّت والدوابّ والثياب وغير ذلك من النفائس، فقال له بعض من حضر مجلسه: قال رسول الله «من أُهديت إليه هديّة فجلساؤه شركاؤه».

فقال أبو يوسف: ذاك إذا كانت هدايا الناس التمر واللبن(١).

قال الإمام محمّد عبده: «إنّ عموم البلوى بالأكاذيب حقّ على الناس في دولة الاَمويّين! فكثر الناقلون وقلّ الصادقون، وامتنع كثير من أجلّة الصحابة عن الحديث، إلاّ لمن يثقون بحفظه».

يقول علي(عليه السلام) عن هذا الشأن: «... وإنّما بدءُ وقوع الفتن أهواء تُتبع وأحكام تُبتدع، يُخالَف فيها حكم الله، يَتولّى فيها رجالٌ رجالاً. ألا إنّ الحقّ لو خَلَصَ لَمَ يكن اختلاف، ولو أنّ الباطل خَلَصَ لم يَخْفَ على ذي حجا، لكنّه يؤخذ من هذا ضِغثٌ ومن هذا ضِغثٌ، فيمزَجان فيجعلان معاً، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. إنّي سمعتُ رسولَ الله يقول: كيف أنتم إذا لَبِسَتْكُم فتنة يربو فيها الصغير وَيهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونا سنّة، فإذا غُيّرَ منها شيء قيل: قد غُيّرت السنّة وقد أتى الناس منكراً؟! ثمّ تشتدّ البليّة وتسبى الذرّيّة، وتدقّهم الفتنة كما تدقّ النار الحطب، وكما تدقّ الرحا بِثفالها، ويتفقّهون لغير الله ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة.

ثمّ أقبل بوجهه، وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته، فقال: قد عملتِ الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله متعمّدِين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيرين لسنّته، ولو حملتُ الناس على تركها وحولّتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله لتفرّق عنّي جندي رسول الله. أرأيتم لو أمرتُ بمقام إبراهيم فردَدْتُه إلى الموضع الذي وضعه فيه رسولُ الله، ورددتُ فدك إلى ورثة فاطمة، ورددتُ صاع رسول الله كما كان وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله لاَقوام لم تُمْضَ لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها

(١) انظر تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمّد يوسف : ١٦٨.

من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حقّ فرددتُهن إلى أزواجهن واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والآحكام، وسبيت ذراري بني تَغْلِب، ورددت ما قسّم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله يعطي بالسويّة، ولم أجعلها دُولة بين الآغنياء، وألقيت المساحة وسوّيت بين المناكح، وأنفذت خُمْس الرسول كما أنزل عزّ وجلّ وفَرَضه، حتّى أبقى وحدي، أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرضَ إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة ورددت مسجد رسول الله إلى ما كان عليه، وسددت ما فُتح فيه من الآبواب، وفتحت ما سُدّ منه، وحرّمت المسح على الخُفّين، وحَدَدتُ على النبيذ، وأمرت بإحلال المُتعَتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمتُ الناس الجهرَ ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت مَن أُدخِل بعد رسول الله في مسجده ممّن كان رسولُ الله أخرجه، وأدخلت مَن أُخرج بعد رسول الله ممّن كان رسول الله أدخله، وحملتُ الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه.. إذن لتفرّقوا عنّي.

والله لقد أمرتُ الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام! غُيرت سنّة عمر! ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية عسكري. ما لقيت من هذه الأمّة من الفُرقة وطاعة أئمّة الضلالة والدعاة إلى النار!! وأعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عزّ وجلّ ﴿إنْ كُنتم آمنتم باللهِ وما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يومَ الفرقان يومَ التقى الجَمْعان﴾، فنحن والله عنى بذي القربى الذين قرَننا الله بنفسه وبرسوله (ﷺ) فقال تعالى ﴿فللّهِ وللرّسُول ولذي القُربى واليَتامى والمَساكين وابنِ السبيل كَيْلا يَكُونَ دُولةً بينَ الآغنياءِ مِنكم، وما آتاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوه

وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا واتّقوا اللهَ إنّ اللهَ شديدُ العِقاب..﴾[1].

وجاء في كلام الباقر لبعض أصحابه:

«يا فلان! ما لقينا من ظلم قريش إيّانا، وتظاهُرِهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس؟!

إنّ رسول الله قُبض وقد أخبر أنّنا أولى الناس بالناس، فتمالأتْ قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثمّ تداولتها قريش واحداً بعد واحد، حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا. ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتّى قُتل.

فبويع الحسن ابنه وعُوهد، ثمّ غُدِر به وأُسْلِم، ووثب عليه أهل العراق، حتّى طُعِن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادعَ معاويةَ وحقنَ دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حقّ قليل.

ثمّ بايع الحسينَ (عليه السلام) من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه.

ثمّ لم نَزَل أهلَ البيت نُستذل ونُستضام، ونُقصى ونمتهن، ونُحرم ونُقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا... إلى أن قال: ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورَوَوا عنّا ما لم نَقُلْه، وما لم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس.

وكان عظُم ذلك وأكثره زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام)، فقتّلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطّعت الأيدي والأرجل على الظّنّة، وكلّ من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن، أو نُهب ماله، أو هُدِمت داره. ثمّ لم يَزَل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد، قاتل الحسين.

ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظّنة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال: شيعة عليّ! وحتّى

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ٢٢٧ خ٢١٢.(٢) نهج البلاغة ٢ : ٤٩ خ١٤٦ (في الملاحم).

صار الرجل الذي يُذكر بالخير ولعلّه يكون وَرِعاً صدوقاً يحدّث بأحاديث عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولاكانت ولاوقعت، وهو يحسب أنّها حق لكثرة من قد رواها ممّن لم يُعرف بالكذب، ولابقلّة ورع)[1].

وقد جاء في دعاء للإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام):

اللّهمّ إنّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك... إلى أنّ يقول:... حتّى عاد صفوتك وخلفاوك مغلوبين مقهورين مبتزّين، يرون حكمك مبدّلاً، وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرّفة عن جهات أشراعك، وسنن نبيّك متروكة وقال أيضاً وهو يشرح اختلاف الاُمة:

وكيف بهم؟

وقد خالفوا الآمرين، وسبقهم زمان الهادين، ووُكلوا إلى أنفسهم، يتنسكون في الضلالات في دياجير الظلمات.

وقد انتحلت طوائف من هذه الاُمة مفارقة أئمة الدين والشجرة النبوّية ـ أخلاص الديانة ـ، وأخذوا أنفسهم في مخاتل الرهبانّية، وتغالوا في العلوم، ووصفوا الإسلام بأحسن صفاته، وتحلّوا بأحسن السنّة، حتّى إذا طال عليهم الآمد، وَبَعُدَتْ عليهم الشُقةُ، وامتّحنوا بمحن الصادقين: رجعوا على أعقابهم ناكصين سبيل الهدى، وعلم النجاة.

وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجّوا بمتشابه القرآن، فتأوّلوه بآرائهم، واتّهموا مأثور الخبر ممّا استحسنوا، يقحمون في أغمار الشبهات، ودياجير الظلمات، بغير قَبس نور من الكتاب، ولا أثرة علم من مظانّ العلم، زعموا أنهم على الرشد من غيّهم.

وإلى من يفزعُ خَلَفُ هذه الاُمّة؟!

وقد درست أعلام الملّة والدين بالفُرقة والاختلاف، يكفّر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: (ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم

(١) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٣ ـ ٤٤.

البّينات).

فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة؟ وتأويل الحكمة؟ إلاّ إلى أهل الكتاب، وأبناء أئمّة الهدى، ومصابيح الدجى، الذين احتجّ الله بهم على عباده، ولم يَدَع الخلق سدى من غير حجّة.

هل تعرفونهم؟

أو تجدونهم إلاّ من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، وبرّأهم من الآفات، وافترض مودّتهم في الكتاب[1]؟!

صور من إرهاب وتعصب فقهاء وعلماء المذاهب الإسلامية السنية:

الصورة الأولى: في أيطار الطائفة:

الرواية الأولى:

ـ حدثني الحسن بن عبد العزيز الجروي، ثنا ابوحفص التنيسي عن الاوزاعي قال : ما ولد في الإسلام مولد أشر من أبي حنيفة وأبي مسلم، وما أحب أنه وقع في نفسي أني خير من أحد منهما وأن لي الدنيا وما فيها.

تعريف بالرجال:

الحسن بن عبد العزيز الجروي: وثقه ابوحاتم وقال عنه الدارقطني لم ير مثله فضلا وزهدا وقال أيضا الجروي فوق الثقة جبل وقال الخطيب كان من أهل الدين والفضل مذكورا بالورع والثقة موصوفا بالعبادة. وقال ابوبكر البزار كان ثقة مأمونا وقال الحاكم ابوعبدالله كان من أعيان المحدثين الثقات وقال ابن يونس كانت له عبادة وفضل وكان من أهل الورع والفقه وقال عبد الـيد ابن عثمان كان صالحا ناسكا. التهذيب.

ابوحفص التنيسي: عبد الله بن يوسف التنيسي. قال ابن معين: من أوثق الناس في الموطأ، وثقه ابوحاتم والعجلي، وقال عنه البخاري من اثبت الشاميين،

(١) كشف الغمّة، للأربليّ ٢ : ٩٨ ـ ٩٩.

و وثقه الجوزجاني، وقال عنه ابن عدي صدوق لا بأس به ومحمد بن إسماعيل مع شدة استقصائه اعتمد عليه في مالك بن انس وكان ثقة حسن الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات وقال الخليلي ثقة متفق عليه. التهذيب.

الرواية الثانية:

ـ حدثني محمد بن هارون، ثنا أبوصالح، قال: سمعت الفرازي يقول كان الاوزاعي وسفيان يقولان: ما ولد في الإسلام على هذه الأمة أشأم من أبي حنيفة.

تعريف بالرجال:

محمد بن هارون بن إبراهيم ابوجعفر البغدادي المعروف بابي نشيط. قال ابن أبي حاتم صدوق وقال الدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. التهذيب.

ابوصالح: محبوب بن موسى الأنطاكي. قال أبو حاتم هو أحب إلي من المسيب بن واضح وقال العجلي ثقة صاحب سنة وقال ابوداود ثقة لا يلتفت إلى حكاياته إلا من كتبه وذكره ابن حبان في الثقات وقال متقن فاضل وقال الدارقطني صويلح ليس بالقوي.

الفزاري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة الفزاري الإمام المأمون غني عن التعريف.

سفيان: هو سفيان الثوري وهو من هو.

أصحاب أبي حنيفة يُخاف منهم على الدين أكثر من الفساق:

الرواية الثالثة:

ـ حدثني أبي، حدثنا أسود بن عامر قال: سمعت أبا بكر بن عياش ذكر أبا حنيفة وأصحابه الذين يخاصمون فقال: كان مغيرة يقول: والله الذي لا إله إلا هو لأنا أخوف على الدين منهم من الفساق. وحلف الأعمش قال: والله الذي لا إله إلا هو ما أعرف من هو شر منهم قيل لأبي بكر يعني المرجئة؟ قال المرجئة وغير المرجئة.

تعريف بالرجال:

احمد بن حنبل : غني عن التعريف.

أسود بن عامر: قال ابن معين لا بأس به وقال ابن المديني ثقة وقال ابوحاتم صدوق صالح وقال ابن سعد صالح الحديث وقد ذكره ابن حبان في الثقات. التهذيب.

أبا بكر بن عياش: قال عنه احمد بن حنبل صدوق صاحب قرآن وخبر وقال عنه أيضا ثقة وربما غلط وقال عنه ابن معين ثقة وقال الدرامي هو من أهل الصدق والأمانة وليس بذاك في الحديث ولذا ضعفه بن نمير في الحديث وأثنى عليه ابوحاتم و وثقه وذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه كان من الحفاظ المتقنين وقال العجلي كان ثقة قديما صاحب سنة وعبادة وكان يخطئ بعض الخطأ وقال ابن سعد كان ثقة صدوقا عارفا بالحديث والعلم إلا أنه كثير الغلط.

مغيرة الضبي: الكوفي الفقيه وثقه ابن معين وابوحاتم والعجلي والنسائي وابن سعد وذكره ابن حبان في الثقات.

الرواية الرابعة : الحميدي يرى كفر أبا حنيفة.

ـ حدثني هارون بن عبد الله، عن عبد الله بن الزبير الحميدي، عن حمزة بن الحارث بن عمير من آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أبيه قال: سمعت رجلاً يسأل أبا حنيفة في المسجد الحرام عن رجل قال: أشهد أن الكعبة حق ولكن لا أدري هل هي هذه أم لا ؟ فقال: مؤمن حقا، وسأله عن رجل قال: أشهد أن محمد بن عبد الله نبي ولكن لا أدري هو الذي قبره بالمدينة أم لا ؟ فقال: مؤمن حقا قال الحميدي: من قال هذا فقد كفر، قال الحميدي: وكان سفيان بن عيينة يحدث عن حمزة بن الحارث.

التعريف بالرجال

عبد الله بن الزبير الحميدي أبو بكر. ثقة حافظ فقيه، أجل أصحاب ابن عيينة روى عنه هارون الحمال قال الحاكم: كان البخاري إذا وجد الحديث

عند الحميدي لا يعدوه إلى غيره مات سنة ٢١٩.

حمزة بن الحارث بن عمير: أبو عمارة البصري ثقة روى عن أبيه.

الحارث بن عمير: البصري روى عنه ابنه حمزة ووثقه الجمهور، وفي أحاديثه مناكير ضعفه بسببها الأزدي وابن حبان وغيرهما فلعله تغير حفظه في الآخر.

الرواية الخامسة: أبو حنيفة صاحب جرب معدي:

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي، عن سعيد بن عامر، قال: سمعت سلام ابن أبي مطيع يقول: كنت مع أيوب السختياني في المسجد الحرام فرآه أبو حنيفة فاقبل نحوه، فلما رآه أيوب قال لأصحابه: قوموا لا يعدنا بجربه، قوموا لا يعدنا بجربه.

تعريف الرجال:

محمد بن عبد الله المخرمي: أبو جعفر البغدادي احد الحفاظ كان علي بن المديني يقدمه، وثقه عبد الله بن احمد ومحمد بن غالب وقال يعقوب بن سفيان ثقة وقال صالح بن محمد ثقة كيس وقال النسائي ثقة صاحب حديث وقال أبو حاتم لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وكان أبا يعلى يسيء القول فيه ويقول (بياض في الأصل) بالزور وقال ابن عمار وابن عدي ثقة حسن الحديث عن أهل الموصل معافى بن عمران وغيره وعنده عنهم إفراد وغرائب وقد شهد احمد بن حنبل انه رآه عند يحيى القطان ولم أر أحدا من مشائخنا يذكره بغير الجميل وهو عندهم ثقة وقال الخطيب كان احد أهل الفضل المحققين بالعلم حسن الحفظ كثير الحديث. التهذيب.

سعيد بن عامر: الضبعي أبو محمد البصري قال عنه يحيى بن سعيد هو شيخ المصر منذ أربعين سنة وقال أيضا إني لأغبط جيرانه وقال ابن مهدي لابنه يحيى الزمه فلو حدثنا كل حديثا لأتيناه وقال أبو مسعود وزياد بن أيوب ما رأيت بالبصرة مثله وثقه العجلي وابن قانع وقال ابن معين ثقة مأمون وقال أبو حاتم كان رجلا صالحا وفي حديثه بعض الغلط وهو صدوق وقال ابن سعد

كان ثقة صالحا وذكره ابن حبان في الثقات. التهذيب.

سلام بن أبي مطيع: واسمه سعد الخزاعي قال احمد ثقة صاحب سنة وقال أبو حاتم صالح الحديث وقال أبو داود ثقة وقال النسائي ليس به باس وقال ابن عدي ليس بمستقيم الحديث عن قتادة خاصة ولم أر أحدا من المتقدمين نسبه إلى الضعف وأكثر ما فيه أن روايته عن قتادة فيها أحاديث ليست بمحفوظة وهو مع هذا كله عندي لا بأس به وقال ابن حبان كان سيء الأخذ لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد وقال البزار في مسنده كان من خيار الناس وعقلائهم وقال الحاكم منسوب إلى الغفلة وسوء الحفظ.

أيوب السختستاني: يكفي فيه قول شعبة «كان سيد الفقهاء».

الرواية السادسة: تسالم السلف على جرب أبي حنيفة:

حدثني أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، ثنا أبو نعيم قال: كنا مع سفيان جلوسا في المسجد الحرام، فأقبل أبو حنيفة يريده، فلما رآه سفيان قال: قوموا بنا لا يعدنا هذا بجربه فقمنا وقام سفيان. وكنا مرة أخرى جلوسا مع سفيان في المسجد الحرام فجاءه أبو حنيفة فجلس فلم نشعر به، فلما رآه سفيان استدار فجعل ظهره إليه.

تعريف بالرجال:

حدثني أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان: قال أبو حاتم عنه كان صدوقا وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان متقنا.

أبو نعيم: الفضل بن دكين يتحرى الصدق عند احمد ثقة موضع للحجة في الحديث وهو أيضا اثبت من وكيع وهو يقظان في الحديث وقام في الأمر يعني الامتحان وهو عند يحيى وعبد الرحمن الحجة الثبت وأيضا هو عند المديني من الثقات وقد شبهه عثمان بن أبي شيبة بالأسد وهو عند أبي داود حافظا جدا وثقة ثبت في الحديث عند العجلي وقال يعقوب بن سفيان أجمع أصحابنا على أن أبا نعيم كان غاية في الإتقان.

حدثني إبراهيم ثنا سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع قال كنا في

حلقة أيوب بمكة فبصر بأبي حنيفة فقال: قوموا بنا لا يعدنا بجربه.

التعريف بالرجال:

إبراهيم بن سعيد: الطبري الجوهري قال أبو حاتم كان يذكر بالصدق وقال النسائي ثقة وقال الخطيب كان ثقة مكثرا ثبتا صنف المسند وقد وثقه الدارقطني والخليلي وابن حبان وغيرهم، التهذيب.

سعيد بن عامر: الضبعي أبو محمد البصري قال عنه يحيى بن سعيد هو شيخ المصر منذ أربعين سنة وقال أيضا إني لأغبط جيرانه وقال ابن مهدي لابنه يحيى ألزمه فلو حدثنا كل حديثا لأتيناه وقال أبو مسعود وزياد بن أيوب ما رأيت بالبصرة مثله وثقه العجلي وابن قانع وقال ابن معين ثقة مأمون وقال أبو حاتم كان رجلا صالحا وفي حديثه بعض الغلط وهو صدوق وقال ابن سعد كان ثقة صالحا وذكره ابن حبان في الثقات. التهذيب.

سلام بن أبي مطيع: واسمه سعد الخزاعي قال احمد ثقة صاحب سنة وقال أبو حاتم صالح الحديث وقال أبو داود ثقة وقال النسائي ليس به باس وقال ابن عدي ليس بمستقيم الحديث عن قتادة خاصة ولم أر أحدا من المتقدمين نسبه إلى الضعف وأكثر ما فيه أن روايته عن قتادة فيها أحاديث ليست بمحفوظة وهو مع هذا كله عندي لا بأس به وقال ابن حبان كان سيء الأخذ لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد وقال البزار في مسنده كان من خيار الناس وعقلائهم وقال الحاكم منسوب إلى الغفلة وسوء الحفظ.

أيوب السختياني: يكفي فيه قول شعبة « كان سيد الفقهاء».

الرواية السابعة: أبو حنيفة لم يؤت الرفق في دينه!!

ـ حدثني إسحاق بن منصور الكوسج، ثنا محمد بن يوسف الفريابي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قيل لسوار: لو نظرت في شيء من كلام أبي حنيفة وقضاياه فقال: كيف أقبل من رجل لم يؤت الرفق في دينه؟

تعريف بالرجال:

إسحاق بن منصور الكوسج: قال مسلم ثقة مأمون أحد الأئمة من

أصحاب الحديث وقال النسائي ثقة ثبت وقال أبو حاتم صدوق وقال الحاكم هو أحد الأئمة من أصحاب الحديث من الزهاد والمتمسكين بالسنة وقال الخطيب كان فيها عالما وقال ابن أبي شيبة ثقة صدوق وكان غيره أثبت منه، التهذيب.

محمد بن يوسف الفريابي: قال عنه احمد كان رجلا صالحا و وثقة ابن معين وقال العجلي ثقة وقال عنه البخاري كان من أفضل أهل زمانه وقال النسائي ثقة وقال أبو حاتم ثقة، التهذيب.

سفيان الثوري: غني عن التعريف.

الرواية الثامنة: أبو حنيفة أضر مولود على الأمة:

حدثني محمد بن عمرو بن عباس الباهلي، ثنا الأصمعي، قال: قال سفيان الثوري ما ولد مولود بالكوفة أو في هذه الأمة اضر عليهم من أبي حنيفة.

تعريف بالرجال:

محمد بن عمرو الباهلي: البصري روى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل. وثقه عبد الرحمن بن يوسف. مات سنة ٢٤٩ هـ (نقلا عن محقق الكتاب).

الأصمعي: عبد الملك بن قريب أحد الأعلام. صاحب سنة وقد وثقه ابن معين وقال عن أبي داود صدوق وقد أثنى عليه ابن المديني، التهذيب.

حدثني إبراهيم بن سعيد، ثنا محمد بن مصعب، سمعت الاوزاعي يقول: ما ولد في الإسلام مولود أشأم عليهم من أبي حنيفة.

وحدثني إبراهيم بن سعيد، ثنا أبو توبة عن أبي إسحاق عن سفيان الثوري والأوزاعي مثل قول محمد بن مصعب.

التعريف بالرجال:

إبراهيم بن سعيد: الطبري الجوهري قال أبو حاتم كان يذكر بالصدق وقال النسائي ثقة وقال الخطيب كان ثقة مكثرا ثبتا صنف المسند وقد وثقه الدارقطني والخليلي وابن حبان وغيرهم، التهذيب.

أبو توبة: الربيع بن نافع الحلبي قال عنه احمد لم يكن به بأس وأثنى عليه

وقال لا أعلم إلا خيرا وقال أبو حاتم ثقة صدوق حجة وقال يعقوب بن شيبة ثقة صدوق وقال أبو داود كان يحفظ الطوال يجيء بها ورأيته يمشي حافيا وعلى رأسه طويلة وكان يقال أنه من الابدال وقال يعقوب بن سفيان لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات.

الاوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو إمام غني عن التعريف.

ومثله ما عن الحسن بن عبد العزيز الجروي، عن أبو حفص التنيسي عن الاوزاعي قال: ما ولد في الإسلام مولو أشر من أبي حنيفة وأبي مسلم، وما أحب أنه وقع في نفسي أني خير من أحد منهما وأن لي الدنيا وما فيها.

تعريف بالرجال:

الحسن بن عبد العزيز الجروي : وثقه ابوحاتم وقال عنه الدارقطني لم ير مثله فضلا وزهدا وقال أيضا الجروي فوق الثقة جبل وقال الخطيب كان من أهل الدين والفضل مذكورا بالورع والثقة موصوفا بالعبادة. وقال ابوبكر البزار كان ثقة مأمونا وقال الحاكم ابوعبدالله كان من أعيان المحدثين الثقات وقال ابن يونس كانت له عبادة وفضل وكان من أهل الورع والفقه وقال عبد المجيد ابن عثمان كان صالحا ناسكا. التهذيب.

ابوحفص التنيسي: عبد الله بن يوسف التنيسي. قال ابن معين: من أوثق الناس في الموطأ، وثقه ابوحاتم والعجلي، وقال عنه البخاري من اثبت الشاميين، و وثقه الجوزجاني، وقال عنه ابن عدي صدوق لا بأس به ومحمد بن إسماعيل مع شدة استقصائه اعتمد عليه في مالك بن انس وكان ثقة حسن الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات وقال الخليلي ثقة متفق عليه. التهذيب.

الاوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو إمام غني عن التعريف.

حدثني محمد بن هارون، ثنا أبو صالح، قال: سمعت الفرازي يقول كان الاوزاعي وسفيان يقولان: ما ولد في الإسلام على هذه الأمة أشأم من أبي حنيفة.

تعريف بالرجال:

محمد بن هارون بن إبراهيم أبو جعفر البغدادي المعروف بابي نشيط.

قال ابن أبي حاتم صدوق وقال الدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. التهذيب.

أبو صالح: محبوب بن موسى الأنطاكي. قال أبو حاتم هو أحب إلي من المسيب بن واضح وقال العجلي ثقة صاحب سنة وقال أبو داود ثقة لا يلتفت إلى حكاياته إلا من كتبه وذكره ابن حبان في الثقات وقال متقن فاضل وقال الدارقطني صويلح ليس بالقوي.

الفزاري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة الفزاري الإمام المأمون غني عن التعريف.

حدثني منصور بن أبي مزاحم سمعت مالك بن أنس ذكر عنده أبا حنيفة فذكره بكلام سوء وقال: كاد الدين. وقال: من كاد الدين فليس من الدين.

تعريف بالرجال:

منصور بن أبي مزاحم بن بشير التركي أبو نصر البغدادي الكاتب مولى الأزد. سئل عنه ابن معين فقال صدوق ولا بأس به إذا حدث عن الثقات وتركي ثبت وأثنى عليه، وقال الدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحسين بن فهم كان ثقة صاحب سنة.

مالك: هو إمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي أحد الأئمة الأربعة وكفى بذا توثيقا.

الرواية التاسعة:

حدثني منصور مرة أخرى قال: سمعت مالكا يقول في أبي حنيفة قولا يخرجه من الدين وقال: ما كاد أبو حنيفة إلا الدين.

تعريف بالرجال:

منصور هو منصور بن أبي مزاحم السابق الذكر.

مالك: هو إمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي أحد الأئمة الأربعة وكفى بذا توثيقا.

الرواية العاشرة:

حدثني منصور بن أبي مزاحم قال: سمعت شريكا يقول: لان يكون في كل ربع من أرباع الكوفة خمار يبيع الخمر خير من أن يكون فيه من يقول بقول أبي حنيفة.

تعريف بالرجال:

شريك: بن عبد الله بن أبي شريك النخعي أبو عبد الله الكوفي القاضي، قال عنه ابن معين صدوق ثقة إلا أنه لا يتقن ويغلط، وفي قول آخر ثقة ثقة، وقال العجلي كوفي ثقة حسن الحديث، وقال عيسى بن يونس ما رأيت أحد قط أورع في علمه من شريك، وقال ابن شيبة صدوق سيء الحفظ جدا وقال الجوزجاني سيء الحفظ مضطرب الحديث مائل، وقال أبو زرعة كان كثير الخطأ صاحب حديث وهو يغلط أحيانا ونى أن تسمى أحاديثه بواطيل، وقال النسائي ليس به بأس وفي موضع آخر ليس بالقوي وكذا قال الدارقطني، وقال ابن عدي في بعض ما لم تكلم عليه من حديثه مما أمليت بعض الإنكار والغالب على حديثه الصحة والاستواء والذي يقع في حديثه من النكرة إنما أتى به من سوء حفظه لا أنه يتعمد شيئا مما يستحق أن ينسب فيه إلى شيء من الضعف، وقال ابن سعد ثقة، وقال أبو جعفر الطبري كان فقيها عالما، وقال أبو داود ثقة يخطئ على الأعمش، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال إبراهيم الحربي كان ثقة، وقال الذهلي كان نبيلا، وقال صالح جزرة صدوق ولما ولي القضاء اضطرب حفظه، وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالمتين، وقال احمد بن حنبل كان عاقلا صدوقا شديدا على أهل الريب و البدع وحينما سأل عن رأيه هل يحتج به قال لا تسألني عن رأيي في هذا وإنما يروي مسلم له في المتابعات، وقال الأزدي كان صدوقا إلا أنه مائل عن القصد غالي المذهب سيء الحفظ وقال الساجي كان ينسب إلى التشيع المفرط وقد حكي عنه خلاف ذلك، وقال ابن القطان كان مشهورا بالتدليس، وقال الاشبيلي كان يدلس،التهذيب.

الرواية الحادية عشر:

حدثني محمد بن أبي عتاب الاعين، حدثني أبو نعيم، قال سمعت شريكا

يقول: ما شبهت أصحاب أبي حنيفة إلا بمـ لة الدفافين لو أن رجلا كشف أسته في المسجد ما بالى من رآه منهم.

تعريف بالرجال: محمد بن أبي عتاب البغدادي أبو بكر الأعين واسم أبي عتاب طريف وقيل الحسن بن طريف، ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه الخطيب البغدادي صدوق ضبط ثقة، وقال عنه احمد مات ولا يعرف إلا الحديث ولم يكن صاحب كلام وإني لأغبطه، تذيب الكمال، وفي الحاشية قال عنه ابن حجر صدوق.

الرواية الثانية عشر: أبو حنيفة مارق:

حدثني محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة قال: سمعت أبي يقول كنا عند حماد بن سلمة فذكروا مسألة فقيل: أبو حنيفة يقول بـا فقال: هذا والله قول ذاك المارق.

تعريف بالرجال:

محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة: قال أبو حاتم صدوق، وقال النسائي والدارقطني ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، التهذيب.

عبد العزيز بن أبي رزمة: قال ابن سعد ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحاكم كان من كبار مشائخ المراوزة وعلمائهم ومن أخص الناس بابن المبارك، وقال ابن قانع ثقة، وقال الدراقطني ليس بالقوي، التهذيب.

حماد بن سلمة: ثقة عند أحمد، ثقة عند ابن معين، وقال البلخي عنه هو من الأبدال، وقال عنه ابن حبان كان من العباد، ولم يكن من اقرانه مثله بالبصرة في الفضل والدين والورع والنسك والعلم، وقال ابن عدي من أجلة المسلمين، وقال ابن المديني من تكلم في حماد فاتموه في الدين، وقال الساجي كان حافظا ثقة مأمونا، وقال ابن سعد ثقة كثير الحديث، وقال عنه النسائي ثقة، التهذيب.

الرواية الثالثة عشر: السلف الصالح يلعن بعضه بعضا

حدثني محمد بن أبي عتاب الأعين، ثنا منصور بن سلمة الخزاعي قال

سمعت حماد بن سلمة يلعن أبا حنيفة، قال أبو سلمة: وكان شعبة يلعن أبا حنيفة.

تعريف بالرجال

منصور بن سلمة الخزاهي: قال عنه احمد من مثبتي أهل بغداد، وقال ابن معين ثقة، وقال الدارقطني أحد الثقات الحفاظ الرفعاء الذين كانوا يسألون عن الرجال ويؤخذ بقوله فيهم، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن سعد ثقة، وقال ابن عدي لا بأس به، التهذيب.

الرواية الرابعة عشر: أبو حنيفة لم يولد على الفطرة

حدثني محمد بن هارون، عن أبو صالح قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لم يولد أبو حنيفة على الفطرة، قال: وسمعت يوسف يقول: رد أبو حنيفة أربعمائة أثر عن النبي (ﷺ).

محمد بن هارون بن إبراهيم أبو جعفر البغدادي المعروف بابي نشيط. قال ابن أبي حاتم صدوق وقال الدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. التهذيب.

التعريف بالرجال:

أبو صالح: محبوب بن موسى الانطاكي. قال أبو حاتم هو أحب إلي من المسيب بن واضح وقال العجلي ثقة صاحب سنة وقال أبو داود ثقة لا يلتفت إلى حكاياته إلا من كتبه وذكره ابن حبان في الثقات وقال متقن فاضل وقال الدارقطني صويلح ليس بالقوي.

يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، قال يحيى بن معين ثقة، قال العجلي صاحب سنة وخير، وقال الخطيب كان صالحا عابدا إلا أنه يغلط في الحديث كثيرا، وقال البخاري دفن كتبه فصار لا يجيء بحديثه كما ينبغي، وقال ابن عدي من أهل الصدق إلا أنه لما عدم كتبه صار يحمل على حفظه فيغلط ويشتبه عليه ولا يتعمد الكب، وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان من عباد أهل الشام وقرائهم وكان لا يأكل إلا من الحلال وكان من خيار أهل

زمانه مستقيم الحديث ربما أخطأ.

قال الإمام الحافظ المحدث أبو حاتم بن حبان البستي محمد بن حاتم: أحد كبار المحدثين الذين، تكلموا أو ألفوا في الرجال جرحا وتعديلا، ولد في حدود سنة ٢٨٠هـ ومات سنة ٣٥٤ هـ صاحب كتاب صحيح ابن حبان، وقد ألف ثلاثة كتب في وصف أبي حنيفة و حاله هي كتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه.و كتاب علل ما أسنده أبي حنيفة و كتاب التنبيه على التمويه.

يقول عنه: «أبو حنيفة الكوفي صاحب الرأي كان أبوه مملوكا لرجل من نجد من بني قفل فأعتق أبوه وكان خبازا لعبد الله بن قفل وكان أبو حنيفة جدلا ظاهر الورع لم يكن الحديث صناعته حدث بمئة وثلاثين حديثا مسانيد ماله حديث في الدنيا غيرها أخطأ منها في مئة وعشرين حديثا إما قلب إسناده أو غير متنه فلما غلب خطؤه على صوابه استحق ترك الاحتجاج به في الأخبار... لا يجوز الاحتجاج به، لأنه كان داعيا إلى الإرجاء والداعية إلى البدع لا يجوز أن يحتج به عند أئمتنا قاطبة لا اعلم بينهم فيه خلافا. على أن أئمة المسلمين وأهل الورع في الدين في جميع الأمصار وسائر الأقطار جرحوه وأطلقوا عليه القدح إلا الواحد بعد الواحد قد ذكرنا ما روي فيه من ذلك في كتاب التنبيه على التمويه فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب».

الرواية الخامسة عشر:

يقول بن حبان: حدثني أبو الفضل، ثنا يحيى بن معين، قال: كان أبو حنيفة مرجئا وكان من الدعاة، ولم يكن في الحديث بشيء وصاحبه أبو يوسف ليس به بأس.

الرواية السادسة عشر:

حدثني أبو الفضل، عن إبراهيم بن شماس، عن أبو عبد الرحمن المقرئ قال: كان والله أبو حنيفة مرجئاً ودعاني إلى الإرجاء فأبيت عليه[1].

---

(١) كتاب السنة ـ عبد الله بن أحمد بن حنبل.

الرواية السابعة عشر: نقل عن ابن عبد البر قوله:

«وكان احمد بن حنبل رحمه الله سيء الرأي في أبي حنيفة يذمه ولا يرضى عن شيء من مذهبه»[1].

يقول الإمام الجويني ذاماً لمذهب أبي حنيفة:

«... من انغمس في مستنقع نبيذ التمر ولبس جلد كلب مدبوغ، وأحرم بالصلاة مبدلا بصيغة التكبير ترجمته تركيا أو هنديا ويقتصر في القرآن على ترجمة قوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[2] ثم يترك الركوع، وينقر نقرتين لا قعود بينهما، ولا يقرأ التشهد ثم يحدث عمداً ـ بإخراج الريح ـ في آخر صلاته بدل التسليم صحت صلاته» ثم يذكر بعد ذلك القصة المعروفة بين القفال المروزي والسلطان محمود بن سبكتكين، ثم يعقب بالقول:

«ولو عرضت الصلاة التي جوزها أبو حنيفة على العامي لامتنع من قبولها، والصلاة عماد الدين، فناهيك من فساد اعتقاده في الصلاة وضوحا على بطلان مذهبه هذا»[3].

جاء في كتاب آثار اختلاف الفقهاء في الشريعة الإسلامية:

يقول الإمام ابن حجر «لا ينقضي عجبي ممن يتعمد ترك قراءة الفاتحة منهم وترك الطمأنينة، فيصلي صلاة يريد أن يتقرب بها إلى الله تعالى، وهو يتعمد ارتكاب الإثم فيها مبالغة في تحقيق مخالفته لمذهب غيره»[4] يقول المؤلف: يقصد بذلك الحنفية الذين يفعلون ذلك[5].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى «فرع: اقتدى شافعي بحنفي وعكسه،

---

(١) الانتقاء لابن عبدالبر ـ ص ١٧٩. راجع كتاب السنة ـ عبد الله بن احمد بن حنبل ـ تحقيق الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ـ جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم العقيدة ـ ط١ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦ م. دار ابن القيم ـ الدمام. الجزء الأول.

(٢) سورة الرحمن: ٦٤.

(٣) مغيث الخلق للجويني: ص٥٦ ـ ٥٩ بتصرف، بتوسط أثار اختلاف الفقهاء في الشريعة الإسلامية ص٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٤) فتح الباري ٢/٢٤٢.

(٥) أثار اختلاف الفقهاء في الشريعة الإسلامية ص٣٠٥.

وفيه خلاف، وتعم به البلوى، فإذا توضأ حنفي واقتدى به شافعي والحنفي لا يعتقد وجوب نية الوضوء، والشافعي يعتقدها، فثلاثة أوجه:

أحدها: وهو قول الأستاذ أبو إسحاق الاسفرئيني لا يصح إقتداؤه، نوى أو لم ينو، وإن نوى فلا يراها واجبة فهي كالمعدومة، فلا تصح طهارته»[١].

وقال أيضا: «لو مس حنفي امرأة، أو ترك الطمأنينة أو غيرها، صح إقتداء الشافعي به عند القفال، وخالفه الجمهور وهو الصحيح»[٢].

ينقل عن أبي حامد الطوسي المتوفى سنة ٥٦٧هـ قوله: لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية[٣].

عن الشيخ ابن حاتم الحنبلي: من لم يكن حنبليا فليس بمسلم[٤].

يقول ابن تيمية واصفا حوارا بينه وبين علماء آخرين: قلت: كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي، وهو أول اختلاف حدث في الملة.. فقال الشيخ الكبير: ليس كما قلت، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام... قال ابن تيمية فغضبت عليه وقلت: أخطأت، وهذا كذب مخالف للإجماع، وقلت له:

لا أدب ولا فضيلة، لا تأدبت معي في الخطاب، ولا أصبت في الجواب![٥].

ينقل أن ابن تيمية أفتى في مسألة، وأفتى فقيه آخر بخلافه، فرد عليه ابن تيمية قائلا: من قال هذا فهو كالحمار الذي في داره![٦].

يقول ابن حجر العسقلاني عن ابن تيمية: «ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله

(١) المجموع: ١/٢٥٨ـ٢٥٩.
(٢) المجموع: ٤/١٨٤ ـ ١٨٥. أثار اختلاف الفقهاء في الشريعة الإسلامية ص٣٨٩.
(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ص١٩١.
(٤) تذكرة الحفاظ ج٣ ص ٣٧٥.
(٥) العقود الدرية في مناقب ابن تيمية: ٢٣٥.
(٦) الفقيه المعذب ابن تيمية: ١٥٢.

وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية».

«وإياك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ـ ممن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ـ وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود وتعدوا الرسوم، وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة، فظنوا بذلك أنهم على هدى من ربهم وليسوا كذلك! بل هم على أسوأ الضلال، وأقبح الخصال، وأبلغ المقت والخسران، وأنهى الكذب والبهتان، فخذل الله متبعهم، وطهر الأرض من أمثالهم».

وقال الإمام تقي الدين الحصني الشافعي صاحب كفاية الأخيار في كتابه (دفع شبه من شبه وتمرد) ونسب ذلك إلى الإمام أحمد (ص١٢٣) ما نصه: «وكان الشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلي ممن يعتقد كفر ابن تيمية، وله عليه الرد وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس: معذور السبكي يعني في تكفيره»!

وقال الحافظ الذهبي الشافعي في رسالته (زغل العلم):

«فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ومحارات العقول، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف، ولفقت بين العقل والنقل، فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منوراً مضيئاً على محياه سيما السلف ثم صار مظلماً مكسوفاً».

قال عنه الذهبي: تعتريه حدة في البحث وشظف للخصم تزرع له عداوة في النفوس أي انه حاد في حواراته عصبي يظن ان الحق معه ويسخر من الخصم

ولا يحترمه والناس في نظره جهال»[1].

وينقل الأستاذ محمد سعيد البوطي في كتابه (اللام ذهبية أخطر بدعة تدد الشريعة الإسلامية) عن محمد سلطان الخجندي أحد المدرسين السابقين بالمسجد الحرام قولـه: «لا يجوز للمسلم التزام مذهب معين من المذاهب الأربعة وأن من فعل هذا فقد كفر وضل عن صراط الإسلام ؟ وأن عليه أن يأخذ من الكتاب والسنة مباشرة» ويضيف: «إن المذاهب أمور مبتدعة حدثت بعد القرون الثلاثة، فهي ضلالة بدون شك».

الصورة الثانية: في إطار العلاقات بين المذاهب الإسلامية

شن علماء الطائفة السنية على مر التاريخ هجوما عنيفا بلا هوادة ومن دون انقطاع على أتباع الطائفة الشيعية وخاصة ضد الأمامية، تجسد ذلك في مئات الكتب والكراكيس والمؤلفات، عدا الخطب المنبرية والارتجالية في المساجد والجوامع والمجالس، وتصب جميعها في خانة الإرهاب الفكري والتعصب المذهبي والطائفي المقيت الذي تعاني منه الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا، نستعرض جانبا منه فيما يلي:

ـ كتب بعض الأحناف كتاب عنوانه (بعض فضائح الرافضة) هاجم فيه الشيعة وتحامل عليهم، فرد عليه معاصره نصير الدين عبد الجليل القزويني الرازي بكتاب (بعض مثالب النواصب) واشتهر باسم النقض وذلك في القرن السادس الهجري.

ـ كتب ابن تيمية (منهاج السنة) فرد عليه بعض معاصريه بنقيضه (الانصاق والانتصاف لأهل الحق من الإسراف) وذلك في القرن الثامن الهجري.

ـ كتب يوسف بن مخزوم الأعور الواسطي المنصوري كتاب سماه (الرسالة المعارضة في الرد على الرافضة) فرد عليه الشيخ نجم الدين خضر محمد

---

(١) نظر تاريخ الإسلام.. الدرر الكامنة...طبقات الحنابلة.. حوارات في معجم البلدان لياقوت الحموي.

الحبلرودي سنة ٨٣٩هـ في الحلة بكتاب أسماه (التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شبهة الأعور) وذلك في القرن التاسع الهجري.

ـ ألف ابن حجر الهيثمي كتابه (الصواعق المحرقة) فرد عليه نور الله السستري بـ(الصوارم المحرقة) وأحمد لقمان بـ(البحار المغرقة) وذلك في القرن العاشر الهجري.

ـ في العام ١٠٤٨هـ أراد السلطان العثماني مراد الرابع ضم العراق الذي كان من أقاليم الدولة الصفوية، فدعا علماء أهل السنة وطلب إصدار فتوى بجواز سفك دماء أهل العراق، فلم يجرؤ أحد منهم على تلبية طلبه إلا أحدهم يدعى نوح أفندي أصدر فتوى بتكفير الشيعة وإخراجهم من الملة تحت عنوان: (من قتل رافضياً واحداً وجبت لـه الجنة) فدارت رحى حرب طائفية رهيبة بين الدولة العثمانية السنية والدولة الصفوية الشيعية راح ضحيتها الآلاف من الطرفين طيلة سبعة شهور، ابتداء من ١٧ رجب سنة ١٠٤٨م وانتهت بمعاهدة صلح في قصر شيرين، ولكن فتنة الفتوى التي أشعلت شرارة الحرب ما لبثت أن استيقظت من جديد واستعرت في الأقاليم التي تديرها الدولة العثمانية كمدينة حلب المشهورة بتشيعها فقتل من أهلها الشيعة مقتلة عظيمة وجرد فيهم السيف قتلا ونبا وسلبا ولجأ من نجا منهم إلى الجبال والوديان والأقاليم المجاورة والفتوى بلغتها العربية وردت في كتاب العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية الجزء الأول منها هذا النص: ومن توقف في كفرهم ووجوب قتلهم فهو كافر مثلهم.. فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا ولا يجوز تركهم عليه بإعطاء الجزية ولا بأمان مؤقت ولا بأمان مؤبد.. ويجوز استرقاق نسائهم لان استرقاق المرتدة بعد ما لحقت بدار الحرب جائز وكل موضع خرج عن ولاية الإمام الحق فهو بمنزلة دار الحرب ويجوز استرقاق ذريتهم تبعا لأمهاتهم».

ـ في القرن الثاني عشر ظهر كتاب الصواعق الموبقة لـ نصر الله الكابلي إلا أن أحدا لم يتصدى للرد عليه ولعل ذلك لمشابهته لكتب أسلافه ومعاصريه في قدحهم بالشيعة.

ـ في القرن الثالث عشر كتب عبد العزيز الدهلوي كتابه (التحفة الاثنا عشرية) وجعله ١٢ باباً يتناول كل شي عن الشيعة، فرد عليه الشيخ جمال الدين أحمد الميرزا محمد عبد النبي عبد الطائع النيسابوري في كتابه (سيف الله المسلول على مخربي دين الرسول) في ٦ مجلدات، والميرزا محمد أحمد خان الكشميري في كتاب: (الأثنى عشرية في الرد على التحفة الأثنى عشرية).

ـ في القرن الرابع عشر ظهر كتاب مختصر التحفة الاثنى عشرية فرد عليه الشيخ مهدي الخالصي بكتاب من ٣ مجلدات وفي عام ١٤٠٠ طبع في باكستان (مرآة التجانيق) وهو فهرس إجمالي للناتج الفكري الهندي والباكستاني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، أفرد فيه المؤلف باباً بعنوان: (رد الشيعة) ذكر فيه ٥٩ كتاب بذا الصدد، ٥٧ منها من مؤلفات القرن الرابع عشر!

وظهر في باكستان وحدها ٦٠ مؤلفا يهاجم الشيعة طبع منها ٣٠ مليون نسخة وزعت حول العالم وبمختلف اللغات ومع بروز الفرقة الوهابية في الجزيرة العربية كثرت الفتن وازداد لهيبها فصدرت عشرات الفتاوى التي تكفر أتباع المذهب الشيعي الاثنى عشري، واستخدمت العائدات الضخمة من البترول في دعم الجهد العقائدي للمذهب الرسمي للعربية السعودية، فصدرت مئات الكتب والكراريس والبرامج الصوتية والالكترونية والإعلامية التي تنال من الشيعة فقها وعقيدة وعرقاً، وإلى يومنا هذا ما يزال أتباع المدرسة الوهابية يمارسون كافة أنواع التجني والاتام والاضطهاد بحق الشيعة، ويرمونم بكل قبح وقبيح ويسخرون أنفسهم وما توفره لهم الدولة من إمكانيات لإثارة كافة أشكال التعصب والتطرف والإرهاب بحق الشيعة وغيرها من الفرق الإسلامية.

بعض من آراء أئمة أهل السنة في غيرهم من أتباع المذاهب الإسلامية

١ ـ جاء في الوافي بالوفيات للصفدي عن ابن تيمية ذم الحلي بقوله عنه (ابن المنجس) [1].

٢ ـ احمد بن حنبل:

---

(١) كتاب الوافي بالوفيات ١٨/٧- ١٩.

والله عز وجل على عرشه يتحرك ويتكلم وينظر ويبصر ويضحك ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى وي ل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، وقلوب الرحمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوفيها ما أراد، وخلق ادم بيده على صورته، والسماوات والأرض يوم القيامة في كفه، ويضع قدمه في النار ت وي، ويخرج قوما من النار بيده، وينظر أهل الجنة إلى وجهه، يرونه فيكرمهم ن ويتجلى لهم فيعطيهم، والقران كلام الله،تكلم به ليس بمخلوق،ومن زعم أن القران مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القران كلام الله ووقف ولم يقل بيس بمخلوق فهو أخبث من قول الأول و من زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا به مخلوقة، والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم ومن سب أصحاب رسول الله (ﷺ) أو واحدا منهم، أو انتقصهم أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا.

ولأصحاب البدع ألقاب وأسماء لا تشبه أسماء الصالحين ولا العلماء من امة محمد (ﷺ) فمن أسمائهم المرجئة وهم الدين يزعمون أن الإيمان قولا بلا عمل، والقدرية وهم الدين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدر. وأصحاب الرأي وهم مبتدعة ضلال أعداء للسنة والأثر يبطلون الحديث ويردون على رسول الله (ﷺ) ويتخذون أبا حنيفة ومن قال بقوله إماما، ويدينون بدينه، وأي ضلالة أبين ممن قال بشي من هذه الأقاويل أو صوبا خرج عن الجماعة وترك الأثر وقال بالخلاف ودخل في البدع وزال عن الطريق[1].

٣ ـ ابن حزم:

أهل السنة أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة، فإنم الصحابة وكل من سلك نجهم من خيار التابعين ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ومن اقتدى بم من العوام في شرق الأرض وغربا،

(١) رسالة في الرد على الزنادقة والجهمية.

وقد تسمى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام على أنه ليس مسلما مثل طوائف الخوارج، وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة وآخرون كانوا من أهل السنة كالحلاج وغيره وطوائف من الشيعة، وكل هذه الفرق لا تتعلق بحجة أصلا وليس بأيديهم إلا دعوى الإلهام والقحة والمجاهرة بالكذب ولا يلتفتون إلى مناظرة ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولكم ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا، وأيضا فإن جميع فرق الإسلام متبرئة منهم مكفرة لهم مجمعون على أنهم على غير الإسلام.. والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس أظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله (ﷺ) واستشناع ظلم علي (رضي الله عنه) ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلا ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين، وقد أوضحنا شنع جميع هذه الفرق في كتاب لنا اسمه النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيع. فإياكم وكل قول لم يبين سبيله ولا وضح دليله ولا تعوجا عما مضى نبيكم (ﷺ) وأصحابه[1]...

٤ ـ الخطيب البغدادي:

هو أبو منصور عبد القادر طاهر التميمي المتوفى سنة ٤٢٩هـ. يقول في كتابه «الفرق بين الفرق»: إن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه صفاته وعدله وحكمته ونفى التشبيه عنه، وبنبوة محمد (ﷺ) ورسالته إلى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد، وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر فإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الأمامية ـ الشيعة ـ أو الزيدية أو الجهمية أو المجسمة فهو

(١) الفصل في الملل والنحل.

من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين وألا يمنع حظه من الفيئ والغنيمة إن غزا مع المسلمين وألا يمنع من الصلاة في المساجد، وليس في الأمة في أحكام سواها وذلك ألا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم[1]..

وينسب للخطيب البغدادي قوله: أن الفرقة الناجية من النار فقط هي أهل السنة والجماعة وما عداها فهي في جهنم: فهذه الجملة التي ذكرناها، تشمل على اثنتين وسبعين فرقة منها: عشرون روافض، وعشرون خوارج، وعشرون قدرية، وعشر مرجئه، وثلاث نجارية وبكرى وضرارية وجهميه وكراميه، فهذه اثنتان وسبعون فرقة، فأما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث.. وكلهم متفقون على مقالة واحدة.. وهم الفرقة الناجية..»[2].

٥ ـ الأمام الطحاوي:

احمد بن محمد بن سلامه الازادي المقري الحنفي: مقاله في أهل الفلسفة: العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم وإذا صار الرجل رأسالاً في الكلام قيل زنديق أو رمي بالزندقة ومن طلب العلم بالكلام تزندق.

... حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب واقبل على الكلام.. العقيدة الطحاوية

.... ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله (ﷺ) وأزواجه فقد بريء من النفاق وعلماء السلف أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ولا نصدق من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، هذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ونحن براء إلى الله تعالى من كل خالف

---

(١) الفرق بين الفرق صفحة ٧٨.

(٢) الردة في الإسلام ص٣٠٠.

الذي ذكرناه وبيناه ونسال الله أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الدين خالفوا السنة والإجماع وحالفوا الظلال ونحن منهم براء وهم عندنا ظلال وارد ياء[1]...

٦ ـ ابن القيم:

قال في سفره: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية «وأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام ولكنهم مخالفون في بعض الأصول ـ كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم ـ فهؤلاء أقسام: أحدها: الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته، إذا لم يكن قادرا على تعلم الهدى وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفو غفورا..

القسم الثاني: المتمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالا بدنياه ورياسته ولذته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى ردت شهادته، وأن غلب ما فيه من السنة والهدى قبلت شهادته..

القسم الثالث: أن يسأل فيطلب ويتبين له الهدى، ويتركه تقليدا أو تعصبا أو بغضا أو معاداة لأصحابه فهذا أقل درجاته: أن يكون فاسقا، وتكفيره، محل اجتهاد وتفصيل، فإن كان معلنا داعية ردت شهادته وفتاواه وأحكامه مع القدرة على ذلك، ولم تقبل له شهادة ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة كحال غلبه هؤلاء واستيلائهم، وكون القضاء والمفتين والشهود منهم، ففي رد شهادتم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير و لا يمكن ذلك فتقبل

(١) العقيدة الطحاوية.

للضرورة..

٧ ـ ابن حجر الهيثمي: في كتابه الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة «احذر أيها الموفق أن تسترسل مع مبتدع في جدل أو خصام فانك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية والآيات القرآنية لم يصغ إليك واستمر على بتانه وعناده لان قلبه اشرب حب الزيغ عن سنن أهل السنة وخلفاء التوفيق والمنه اقتداء بكفار قريش الدين لم تنفع فيهم حجة ولا قران بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والسنان... سئلت قديما في تأليف كتاب يبين أحقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب فأجبت إلى ذلك مسارعة في خدمة هذا الجانب ثم سئلت في إقرائه في رمضان سنة ٩٥٠ هـ ـ بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة فأجبت إلى ذلك رجاء لهداية بعض من زل به قدمه عن أوضح المسالك...

٨ ـ عن الإمام الزمخشري في كيفية الصلاة على النبي محمد (ﷺ): وأما إذا افرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد، فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله(ﷺ) ولأنه يؤدي إلى الاتام بالرفض «وقال احد الحنفية: إن المشروع التختم باليمين ولكن لما اتخذته الرافضية جعلناه في اليسار وقال احدهم: إن تستطيع القبور هو المشروع ولكن لما جعلته الرافضية شعارا لها عدلناه إلى التسنيم»[1].

صور من الإرهاب والتعصب في الطائفة الشيعية

الشيعة لكونهم طائفة محاربة من قبل السلطات السياسية في معظم أنظمة الحكم العربي في التاريخ الإسلامي، ولكونهم أقلية طائفية ومذهبية لم يكونوا الطرف الايجابي في الصراع الطائفي المحتدم بعد وفاة النبي المؤسس (ﷺ)، ذلك أن الأقلية في اغلب الأحيان غير قادرة على القيام بدور الهجوم، وإنما تقف في منعطف الدفاع والرد، من اجل المحافظة على المكتسبات والمنجزات، من ناحية أخرى حث أئمة الشيعة لاسيما الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) مواليهم

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج١ ص ٢٠٥.

وأنصارهم على عدم الانجرار نحو حلقات الصراع الطائفي والجدل العقائدي العقيم، لذلك وعلى مر الأزمان نجد الشيعة العنصر الايجابي في الغالبية العظمى من الأحيان في مسلسلات الصراع الطائفي والمذهبي.

إلا أن الإرهاب والتعصب كظاهرتين عانتا منهما الأمة الإسلامية لم تكمن ببعيدة عن مسار الحركة الثقافية والفكرية والعقائدية والنظام الاجتماعي للطائفة الشيعية كما يتصور البعض، لاسيما مع عدم وجود توجيهات صريحة وواضحة من قبل الأئمة (عليهم السلام) بضرورة احترام الآراء داخل الطائفة مهما شذت عن طوق الارتكازات العقائدية والفقهية ما دامت مبنية على القاعدة الواسعة للدين الإسلامي، لقد كان الأئمة (عليهم السلام) المرجع الوحيد لأي تباينات في صفوف الشيعة وقد ساعدت قدسية أشخاصهم وشيوع عقيدة العصمة في ذواتهم في منع التشتت الداخلي على الأقل في أيطار الطائفة التي تمسكت بإمامة الأئمة من ولد الحسين والتي عرفت فيما بعد بالأمامية أو الجعفرية، إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث الانشقاقات والتمايزات المتسمة بالعصبية والإرهاب داخل صفوف الطائفة بعد عصر الأئمة (عليهم السلام) حتى مع فتح باب حركة الاجتهاد الفقهي المحظ مع محاربة الاجتهاد وإعادة النظر والنقد في مسلمات الفقه والعقيدة.

لذلك فان الحركة الفكرية والثقافية الشيعية لاسيما على مستوى التنظير في المسلمات تعاني من الجمود بسبب شيوع الإرهاب والتعصب الفكري، وعدم القدرة على تطبيق المرئيات في غير ذلك لشيوع الجمود والتأخر الناتجة عن غياب الحرية اللازمة لتطبيق المرئيات على ارض الواقع.

إن كل دعوة للتجديد في غالبية الأحيان تعاني من التسفيه والإهمال، وان كانت على مستويات اقل من مستوى المسلمات، فطبيعة النظام الحاكم في الطائفة لا يسمح بتطبيق التجديد والابتكار على العكس من التجمعات الحديثة التي توفر أنظمتها مساحة واسعة من الحرية لتعدد الأفكار والرؤى دون المساس بيكلية النظام وثوابته الأساسية.

ونستطيع وضع صور الإرهاب و التعصب في الطائفة الشيعية من خلال

الحلقات التالية:

الحلقة الأولى: الصراع بين الإخباريين والأصوليين[1]:

يقول السيد محمد حسن آل الطالقاني نقلا عن جامع السعادات: كانت بداية ظهور الإخباريين في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة على يد الشيخ محمد أمين الاسترابادي صحب « الفوائد المدنية» إلا أنا تجددت بشدة في أواخر القرن الثاني عشر، وقد دارت رحى المعركة بين الفريقين ـ الإخباريين والأصوليين ـ في كربلاء بقيادة زعماء الدين وكبار المراجع فدوت في الأوساط العلمية، ولم تقتصر على طلبة العلوم وأهل الفضل، بل تسربت إلى صفوف العوام مما أدى إلى الاستهانة بالعلم والاستخفاف بحملته، وبلغ التطرف حدا حكم فيه الوحيد البهبهاني بعدم صحة الصلاة خلف البحراني. وأوغل الإخباريون في الازدراء بالأصوليين إلى درجة عجيبة حتى أننا سمعنا من مشايخنا الأعلام وأهل الخبرة والاطلاع على أحوال العلماء أن بعض فضلائهم كان يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشياً من نجاستها وإنما يقبضها من وراء ملابسه وقد ذكر ذلك غير واحدا من الأفاضل[2].

«واستمر الصراع الفكري قائما بشدة وشراسة واتساع في النصف الأول من القرن الثالث عشر فجرت مناقشات طويلة بين الفريقين وظهرت كتب عديدة في الرد على الإخباريين، وكانت اللهجة قاسية والأسلوب نابيا، وقد تزعم فريق الإخباريين في تلك الفترة الميزرا محمد النيشابوري المعروف بالإخباري كما تزعم فريق الأصوليين الشيخ جعفر كاشف الغطاء ألنجفي، وقد تطرف الإخباري إلى ابعد حد ووسع شقة الخلاف وتخلى عن الأدب والاحترام في مناقشته لعلماء الأصوليين في نقده ورده على السواء، وتطاول على أساطين الدين وعظماء المذهب بالشتم واستعمل بذي القول ومرذوله مما أدى إلى وقوف العلماء قاطبة في وجهه وإجماعهم على هتكه وتحطيمه، حتى

(١) للمزيد من المعلومات حول مصطلحي الأخبار والأصول انظر الإسلام والعالم للمؤلف ص٤٦٢.

(٢) الشيخية ص ٣٩.

انتهت القصة بمأساة فظيعة فقد قتل على أيدي العوام مع كبير أولاده بجوم على داره في الكاظمية وسلمت جثته إلى السكان للعبث بها»[1].

«وقد حاول كاشف الغطاء تخفيف حدة التوتر والحيلولة دون وقع ما انتهى إليه الأمر فألف كتابا شرح فيه حقيقة مذهب الطرفين وان عقائدهما في أصول الدين متحدة سواء، وفي فروع الدين يرجع الجميع إلى ما روى عن الأئمة(عليهم السلام)، فالمجتهد إخباري والإخباري مجتهد، وفضلاء الطرفين ناجون والطاعنون هالكون، لكن الإخباري تمادى في غيه وتوسع في اتهاماته لأساطين العلماء ونسبة الآراء الفاسدة والفتاوى المفتعلة القدرة لهم، كنسبة القول بجواز اللواط إلى السيد محسن الاعرجي، ونسبة أمثال ذلك إلى الشيخ أبي القاسم ألقمي، وكان يسمي أتباعه بـ (البقسمية) والسيد على الطباطبائي وغيرهما. والتجأ بعد ذلك إلى السلطان فتح علي شاه القاجاري في إيران واعتصم بالقصر، واضطر ذلك كاشف الغطاء إلى أن يؤلف كتابه (كاشف الغطاء عن معايب الميرزا محمد الإخباري عد والعلماء) الذي أرسله إلى السلطان ودله فيه على فساد عقيدته وحثه على طرده وملاحقته، ومن يقف على الرسالة يتضح خبث الإخباري وخروجه على الشرع وعدم تورعه في الدين، وقد رد كاشف الغطاء بكتاب سماه (الصيحة بالحق على من الحد وتزندق)، ولما توفي كاشف الغطاء بمرض الخنازير قال الإخباري مات الخنزير بالخنزير»[2].

«لقد تميزت تلك الفترة بالمهاترات والخروج على طريقة الدين والمشايخ الصالحين حتى أذى إلى هتك البعض لحرمة الآخر وانتقاص كل واحد الآخر وكان كل فريق يرى وجوب قتل الفريق الآخر، وتطورت القضايا إلى أمور

---

(١) نفس المصدر ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه ص٤١.

شخصية بحتة تقريبا، فكان كل من الخصمين يهدف إلى الانتقام من خصمه والتطويح به، بينما كانت الخلافات إلى ما قبل عصرهما بفترة غير طويلة علمية نزيهة وحرة مخلصة لله وللدين لا يهدف من ورائها غير إحقاق الحق وإزهاق الباطل، وكان كلا الطرفين ينطق ويكتب ما يمليه عليه مؤدى علمه ومبلغ اجتهاده»[1].

الحلقة الثانية: معاناة الشيخ احمد الاحسائي مؤسس فرقة الشيخية

حركة شيعية ولدت في القرن التاسع عشر الميلادي، مرت بتطورات غامضة، لم يبق منها إلا القليل من الأتباع في أجزاء من إيران والعراق والكويت والأحساء، يعتقد أتباعها بأن الشيخ المؤسس ألقي على قلبه العلم من خلال المكاشفات المنامية مع الأئمة عليهم السلام فلقبوه بالشيخ الأوحد، تقبل الشيخ الأحسائي الكثير من الروايات المغالية في الأئمة عليهم السلام، ومن عقائده أن الأئمة عليهم السلام هم علة التكوين وسبب الوجود، وأنهم يحيون ويميتون ويرزقون بأمر من الله، وأن الإنسان يبعث يوم القيامة بالجسد الروحاني، وأن الإمام الغائب سيخرج للعالم بجسده الهورقليالي وهذا سبب خلوده في دار الدنيا، ومن معتقداته الغريبة على الطباع طهارة ما يخرج من أجساد المعصومين من الدماء المتعارفة.

يقول الطالقاني:«لم يكن يمضي على قتل الميرزا محمد الإخباري زمن طويل ولم تفتر الخصومات والحملات بعد حينما ظهر الشيخ احمد الاحسائي فأعلن عن وجهة نظره في بعض المعتقدات الإسلامية والمواضيع العلمية فثار القوم كالزوبعة من جديد ونسوا أو تناسوا خلافاتهم الأولى وأعلنوا حربا شعواء

---

(١) المصدر السابق ص ٤٥،

يروى في هذا الصدد أن الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق سئل عن جواز الصلاة خلف الشيخ محمد البهبهاني فصححها فقيل له كيف ذلك وهو لا يجيز الصلاة خلفك؟ فقال: إن واجبي الشرعي يحتم علي أن أقول ما اعتقده وواجبه الشرعي يحتم عليه ذلك وقد فعل كل منا بتكليفه وواجبه وهل يسقط من العدالة لمجرد انه لا يصحح الصلاة خلفي؟! تنقيح المقال في أحوال الرجال ٨٥/٢.

على الضحية الجديدة، ونشب الخلاف حول آرائه فكان علماء عصره فريقين أيضا مؤيد ومفند وتطورت الخصومة غير الشريفة حتى وصل التطرف ببعض معارضيه أن أعلن تكفيره ونجاسته وكثرت التقولات حوله والاعتداءات على كرامته فحدا ذلك الوضع الشائن بتلامذته وأتباعه على أن يكيلوا الصاع صاعين وتوالت الأحداث البشعة والخطوب الجسام وعمد بعض الخصوم أخيرا إلى حمل كتابه شرح الزيارة الجامعة إلى والي بغداد وأطلعوه على مواضع فيها تعريض بابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم في قصة نقلها عن بعض المصادر فحرك ذلك حقده الدفين على الشيعة وغيرهم ووجها جيشا إلى كربلاء فتك بالعزل والأبرياء وأراق الدماء فخرج الاحسائي خائفا يترقب وفر إلى مكة المكرمة للنجاة بنفسه وماله وعياله فوافاه الأجل بالقرب من المدينة المنورة عام ١٨٢٥م ودفن بجوار أئمته في البقيع»[١].

«تألق نجم الأحسائي فتلقته الأوساط العلمية بقبول حسن، وعرف بغزارة العلم وسمو الفكر وعلو الثقافة وأشير إليه بالأنامل، وأجمع الكل على ورعه وتقواه وترسله وزهده في الزعامة الدينية ومتع الحياة كافة، ولذلك كثر الإقبال عليه وعظم في نفوس العامة على اختلاف طبقاتم، وأخذت رياسته بالتوسع رغم إعراضه عنها، وأوشكت شهرته تغطي العلماء المعاصرين له، فلم يهن ذلك على بعضهم، بل ضاقوا به ذرعاً وامتلأت صدورهم عليه حقداً وصمموا على دكه، غير أن المد الشعبي ومكانته الجماهيرية كانت ترهبهم، فلزموا جانب الصمت، إلا أنم بدؤوا يعملون في الخفاء للإطاحة به»[٢].

يقول الطالقاني موقف علماء إيران منه «فالإيرانيون في الغالب ينظرون إلى العرب نظرة ازدراء واحتقار ويعتقدون بتخلفهم الذهني وهم بعد ذلك علماء والحسد من خصائص أهل العلم فكيف يروق لهم أن يأتي رجل من أطراف الاحساء وأبناء الصحراء فيتفوق عليهم في بلادهم ويحظى بإقبال

---

(١) المصدر السابق ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) نفس المصدر ص٩٢.

ملكهم وشعبهم»[1].

«وضاق القوم ذرعا بالرجل وفكروا في الخلاص منه طويلا حتى اهتدوا إلى ما اهتدى إليه زملائهم علماء كربلاء من قبل ورأوا أن الطريق الوحيدة للإطاحة به وتفريق الناس عنه هي إثارة زوبعة حوله وذلك عمل يحسنونه ويعرفون كيفية التمهيد له والوصول إليه، كل ذلك يجري في الخفاء والاحسائي مترسل في سيرته وحديثه لا يعرف ما يبيت إليه القوم ولا يخطر له على بال»[2].

ثم تزعم الحركة المناوئة للأحسائي أحد علماء الدين في قزوين يدعى الشيخ محمد تقي البرغاني الشهير بالشهيد الثالث، يقول الطالقاني:

«وبدأ البرغاني يعمل للانتقام من الأحسائي والوقيعة به، وأخذ يتحين الفرص ويتسقط كلامه، للحصول على مدخل يلج منه، ومسك يتذرع به... وحانت الفرصة للبرغاني أن يلعب لعبته ويحقق رغبته، فأضاف إلى الآراء بعض الكفريات ونشرها بين العوام، ونسب للأحسائي تضليل العوام بآرائه وغلوه في الأئمة وكفره، وانتشرت أخبار تكفير الأحسائي في بقية المدن الإيرانية، وواصل الأحسائي سفره إلى خراسان، وكلما مر بمدينة وجد الانقسام حوله واضحاً، ففريق يتجاهله ويعرض عنه وآخر يبالغ في تعظيمه تعصباً، وكتب البرغاني الشهيد الثالث إلى علماء كربلاء بأنه كفر الأحسائي وطلب متابعتهم في ذلك، فاستجابوا وارتفعت الأصوات معلنة كفره، وصار الناس في حيرة مما حدث، ثم سادت الخصومة وتوسع الخلاف»[3].

أما موقف الأحسائي فيقول الطالقاني: «ظل الأحسائي يعمل من جانبه على رتق الفتق وإخماد الفتنة، ويدعو إلى جمع الكلمة وعدم شق عصا المسلمين وتفريق صفوفهم، ويحذر من الاختلاف لأنه يضعف الشيعة ويشمت بم أعداؤهم، وظلت خصومة من جانبهم يغذون التفرقة وينمون دواعي

---

(١) نفس المصدر ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٥.

(٣) نفس المصدر ص ٩٧.

الاختلاف، وكان أن قاموا بعمل أبشع من كل ما عملوا، وتصرف أقبح من سائر ما ارتكبوا»[1].

«استعرض الاحسائي بعض كبار أعلام الشيعة الذين توجد في كلماتم عبارات متشابة ظاهرها الكفر كالسيد المرتضى الذي قال إن الله ليس إلها للإعراض ولا للجوهر الفرد، والصدوق الذي تقرب إلى الله بوضع رسالة في اثبات سهو النبي والأئمة، والاردبيلي الذي جوز التركيب العقلي في الله والخونساريين اللذين جوزوا انتزاع المدد المتناهية من ذات الله، والمجلسي الذي ذكر قسما من المقدورات يقدر عليه الخلق ولا يقدر عليه الله إلى غير ذلك، ثم تساءل لماذا لم يحكم أحدا بكفر أولئك وفسقهم وحكم بكفرهم؟؟ ولماذا لم تحمل تلك الكلمات على ظواهرها وحملت كلماته؟ ولماذا لم يجتهد أحدا في كلماتم في مقابل النص؟ واقتصر على الاجتهاد في كلماته؟ إلى غير ذلك من ضروب الرد وصنوف الدفاع إلا أن ذلك لم يقع موقع القبول لدى أحدا من القوم وإنما أصروا على تفسير كلماته وعباراته وفق مشتهياتم وحسب آرائهم»[2].

ويضيف: «وأخذ الأحسائي يرد على مؤاخذات خصومه بأسلوب علمي وحجج منطقية ويفسر أقواله المشتبه فيها، ونفى عنه التهم والنسب غير الصحيحة، وتبرأ علنا من كل ما يخالف عقائد الشيعة الأمامية وأنه لم يقل ذلك في مجلس أو يسجله في كتاب، ودعا القوم مراراً للاجتماع والمداولة ولكنه لم يعر أذنا صاغية ولم يلتفت إلى طلبه.. وتوجد صورة رسالة كتبها الأحسائي إلى تلميذه الشيخ عبد الوهاب القز ويني، وفيها عرض واف ووصف دقيق لما جرى معه في كربلاء، ولما وصل إليه القوم من إسفاف وإجحاف وظلم واعتداء كصرف الأموال لشراء الذمم واستئجار الأعوان للتنكيل به، وبث الإشاعات ضده، وبما أنا بقلم الأحسائي نفسه، وهو رجل صدوق لا يتطرق الشك إليه

(١) نفس المصدر ص١٠٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٦.

بوجه من الوجوه، ولا يحتمل في حقه الكذب أو الزيادة أو النقصان آثرنا إثباتها ليقف القارئ على مدى ما وصل إليه القوم من انحدار في الخلق وظلم للوجدان»[1].

الحلقة الثالثة: السيد محمد حسين فضل الله

عام ١٩٩٥م أثار المرجع الديني في لبنان السيد محمد حسين فضل الله زوبعة مدوية عندما قال في إحدى الخطب إن قضية مصاب الزهراء فيما يعرف تاريخياً بحادثة يوم الدار ما تزال بحاجة إلى تمحيص وبحث وأنه ما يزال غير مقتنع بها تماماً، فتوالت عليه الردود وأنكر عليه العديد من علماء قم والنجف، وخرجت ضده المظاهرات الصاخبة في إيران وباكستان منددة بموقفه من إحدى المسلمات التاريخية للطائفة الشيعية الاثنى عشرية، إلا أنه أطبق ناظريه عن إنكار عامة الشيعة وخاصتهم لأرائه وبدأ في عرض مجموعة من الآراء المخالفة للعديد من المسلمات في اللب الفقهي والعقائدي للشيعة الأمامية التي تمثل الأغلبية الساحقة من الطائفة الشيعية في العالم الإسلامي.

يقول الميرزا جواد التبريزي المرجع الديني في قم حول السيد فضل الله ومرجعيته: «ذكرنا مراراً أن الرجل المذكور ضال مضل لا يجوز الترويج لـه ولا قراءة كتبه ولا ترويجها ولا يجوز تقليده؛ لضلالته وعدم ثبوت اجتهاده، ويجب على كل مؤمن الدفاع عن العقائد الحقة للمذهب، وتنبيه الغافلين من المؤمنين حتى لا يقعوا تحت تأثير المضلين المتلبسين بلباس أهل الدين.. والله الهادي إلى الصواب».

وأجاب السيد كاظم الحائري عن فضل الله: لقد قلنا مراراً بأن السيد فضل الله ليس بمجتهد ولا يجوز تقليده.

ويقول آية الله السيد أحمد المدوي: الرجل ليس بمجتهد وتقليده غير جائز وتأييده حرام.

ويقول آية الله السيد تقي القمي: لا إشكال أن الشخص المشار إليه

---

(١) نفس المصدر ص١٠٨.

ضال مبتدع في الشريعة المقدسة، ولا بد من الاجتناب عنه، ويلزم إبعاد المجتمع عنه أيضاً لاسيما الشباب ويجب إعلام الأمة بانحرافه وكونه مخرباً للدين وشريعة سيد المرسلين. أعاننا الله من الزلل.

الحلقة الرابعة: صراع المرجعيات والتيارات الشيعية:

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م، خرجت المرجعية الدينية من صمت ساد دهرها طويلا وبدأت في تبوأ مكانة عالية في قمة الهرم السياسي والاجتماعي الشيعي، توارت التنظيمات المرتبطة بالنظم الوضعية شرقا وغربا، وعادت القوة والغلبة للحركية الإسلامية المرتبطة مباشرة بأشخاص المرجعية الدينية وعلى رأسها الإمام الخميني (قدس سره) في إيران، إلا أن الانسجام ما بين المرجعيات الدينية لم يدم طويلا في سواء في إيران أو العراق، لاسيما بعد إمساك الإمام الخميني وأنصاره بالحكم في إيران، أصبح في الجمهورية الإسلامية مراجع حاكمين ومحكومين، مرجعيات داخل أروقة السلطة وتمسك بعصبها، ومرجعيات خارج دائرة اتخاذ القرار، نشب الصراع الرهيب بين الكيانات المرجعية، كانت الخلافات والاختلافات فقهية تدور حول حول نظرية ولاية الفقيه، ثم تعدت إلى مشروعية الدولة الإسلامية التي يديرها الفقيه، ثم تشعبت في أيطار النظام الاجتماعي والسياسي والأمني الشيعي داخل إيران وخارجها، سقط ضحايا كثيرون منهم المرجع الديني شريعة مداري التي تتهمه العديد من الأوساط الدينية والسياسية المرتبطة بالسلطة الدينية القائمة في طهران بتحريض أنصاره للقيام بعملية انقلاب فاشلة أثناء الحرب العراقية الإيرانية.

كانت الفتن رهيبة ومزلزلة وقاسمة، في بداية الثورة الإسلامية أمر الإمام بإفساح المجال أمام جميع التيارات الدينية وغيرها ايماناً منه بالحرية في الإسلام، تغلغل المناوئون للثورة داخل أجهزة الأمن وقتلوا المئات من رموز الثورة وعلمائها ومؤيديها وأنصارها، أبرزها في عام١٩٨٢م عندما تم تفجير مقر الحزب الإسلامي الجمهوري وقتل ما يزيد عن ٨٢ من أكفا الكوادر العلمية والدينية والسياسية في إيران الثورة.

قامت أكثر من ١٠ محاولات انقلاب فاشلة أثناء الحرب العراقية الإيرانية، عدا عمليات الاغتيال والتخريب، لم يكن أمام إيران الثورة سوى التحول إلى الحكم الشمولي الرافض للآخر وهكذا كان، ثم إلغاء التعددية الحزبية والتيارية، وفرض حظر على أنشطة التيارات اللادينية والدينية الغير موالية لنظرية ولاية الفقيه، وبأمر من السلطات اجبر العديد من المرجعيات على الإقامة الجبرية وعدم لقاء بالجمهور، بحجة إثارة الاضطرابات والتحريض ضد السلطة، وثم طرد العديد من المنظمات الغير موالية لإيران الثورة.

من المرجعيات التي فرضت عليها الإقامة الجبرية السيد حسن القمي في مدينة مشهد والى وقت قريب الشيخ محمد المنتظري نائب الإمام الخميني السابق الذي أقصي من منصبه لخلافات بينه وبين الإمام الخميني، ومن أهم الشخصيات المرجعية التي تعرضت لمناوئة السلطات الدينية السيد محمد الحسيني الشيرازي الذي توفي اثر جلطة في المخ عام ٢٠٠١م، فقد فرضت عليه الإقامة الجبرية لفترات طويلة وتعرض م له للعديد من عمليات الدهم والتفتيش، وعند تشييع جنازته اندلعت مواجهات وأعمال شغب بين أنصاره والشرطة الإيرانية.

ومنهم أيضا المرحوم المرجع الديني السيد محمد الحسيني الروحاني الذي تعرض لمضايقات مماثلة منها مصادرة السلطات رسالته العملية من الأسواق.

إضافة إلى ذلك تعرض أنصار المرجعيات المخالفة للإمام الخميني لحملات التضييق والتهجير من أيرن خاصة إذا ما كانوا غير حاملين للجنسية الإيرانية، وكل ذلك لمخالفتهم الفقهية والعقائدية والسياسية لنظرية ولاية الفقيه مصدر قاعدة الحكم المركزية في إيران الإسلامية.

الجدير بالذكر أن العديد من رجال الدين والعلماء والمفكرين والكتاب الإسلاميين وغيرهم تعرضوا إلى حملات الاعتقال التعسفي والتضييق و المنع إضافة إلى أن بعضهم في بدايات الثورة حكم عليه بالإعدام في ظل نظام قانوني غير واضح المعالم، كالسيد محمود الهاشمي رجل الدين الناشط سياسيا الذي اتهم بالخيانة وحكم عليه بالإعدام من قبل المحاكم الثورية.

أولا: صور من العهد الراشدي :

بعد وفاة النبي (ﷺ) كان الصراع على السلطة محتدما بين التيارات المتصارعة، واستخدمت كافة الإيقاعات العصبية دينيا وعرقيا وقبليا من اجل الوصول إلى سدة الخلافة، بعد الأفول السريع لأنوار الإصلاح الرشيد على يد النبي الكريم (ﷺ)، الذي اعتمد على قيم دينية وأخلاقية وإنسانية وروحية بمبعد عن الم لقات العنصرية والقومية.

تسجل سير الخلفاء في العصر الراشدي تقدما للعصبية سواء كانت دينية أو قومية أو قبلية أو عرقية أو جنسية على حساب القيم المعنوية التي تشكل دعائم الحركة الإسلامية السائدة في العهد النبوي، ولقد أصبحت فيما بعد قاعدة غير مباشرة للإسلام الذي ساد في العصور الوسيطة بكل ما يحمله من مآسي الصراعات الطائفية التي خلفت ورائها آلاف القتلى والمسبيين والمتوارين عن أعين سلطات القمع والإرهاب العربي.

ذكر عن أخلاق عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني «وألفاظه جفاءً وعنجهيّةً ظاهرة. وأنّه كان شديد الغلظة، وَعْر الجانب، خشَن الملمس، دائم العبوس، وكان يعتقد أنّ ذلك هو الفضيلة، وأنّ خلافه نقص[1].

وتتناقل التواريخ عن الخليفة عمر بن الخطاب انه ميز العطاء بين زوجات النبي (ﷺ) جويهره وعائشة فأعطى الأولى ٦٠٠٠ درهم والأخيرة ١٢٠٠٠ درهم قائلا: «لا اجعل سبية كابنت أبي بكر».

وينقل عنه قوله في دم الفرس: «إن ابغض الكلام إلى الله الفارسية»[2].

وقوله: «من تكلم الفارسية خبث ومن خبث ذهبت مروءته، وفي ثنائه على متكلمي اللغة العربية: تكلموا العربية فإنها تزيد من المروءة»[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٦ ص ٣٢٧.
(٢) لسان الميزان ج١ ص٤٠٦ ، ميزان الاعتدال ج١ ص٢٣٠.
(٣) ربيع الأبرار ج١ ص ٧١٦ ، تاريخ جرجان ص٤٨٦.

وفي سيرته مع المرأة، تتناقل السير قوله: «جنبوهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف واستعينوا عليهن بلا، فان نعم تضر في المسالة» وقوله: «اضربوهن بالعري، لان الثياب هي المدعاة إلى الخروج في الأعراس والقيام في المناحاة والظهور في الأعياد»[1].

وفي أحداث وفاة النبي (ﷺ) تتناقل السير اتامه للنبي (ﷺ) بفقدان الرشد والمسئولية «اخرج البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) انه قال: لما حضر رسول الله (ﷺ) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (ﷺ) هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ) قوموا. قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول: إن الرزية ما حال بين رسول الله (ﷺ) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب مع اختلافهم ولغضهم»[2].

وفي خبر وفاة النبي (ﷺ) أنكر عمر وفاته، يقول خالد محمد خالد: كان عمر يقول: ألا لا اسمع واحدا يقول: أن رسول الله (ﷺ) مات إلا فلقت هامته بسيفي هذا. قال أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني: الخلاف الثالث في موته عليه الصلاة والسلام: قال عمر بن الخطاب: من قال أن محمدا قد مات قتلته بسيفي هذا وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى (عليه السلام). وقال أبو بكر بن أبي قحافة (رضي الله عنه): من كان يعبد محمد فان محمد قد مات ومن كان يعبد إله محمد فان إله محمد حي لا يموت ولن يموت وقرا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[3] فرجع القوم إلى قوله. وقال عمر: كأني ما سمعت هذه الآية حتى

(١) المرأة في حضارة العرب ص١٩٧ د.محمد جميل بيهم.
(٢) صحيح البخاري ١/٣٢- ٢٣ باب كتاب العلم.
(٣) سورة آل عمران ١٤٣.

قرأها أبو بكر[1].

وفي أخبار السقيفة ينقل أن سعد بن عباده من الخزرج أبى مبايعة أبي بكر فبعث عمر رجلا يدعو سعد إلى البيعة وانه فوضى إليه قتله إن أبى ولما رفض سعد رماه الرجل بسهم فقتله[2]..

تقسيم عمر الكوفة على أساس قبلي

اخرج الطبري عن محمد وطلحه والمهلب وعمرو وسعيد قالوا: لما اجمعوا أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعيد إلى أبي الهياج فاخبره بكتاب عمر في الطرق، انه أمر بالمناهج أربعين ذراعا، وما يليها ثلاثين ذراعا، وبين ذلك عشرين، وبالازقه سبعة أذراع، ليس دون ذلك شي، وفي القطائع ستين ذراعا إلا الذي لبني ضبة، فاجتمع أهل الرأي والتقدير حتى إذا أقاموا على شي قسم أبو الهياج عليه، فأول شي خط بالكوفة وبنى حين عزموا على بناء المسجد، فوضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق فاختطفوه، ثم قام رجل في وسطه، رام شديد الا ع، فرمى عن يمينه فأمر من شأن أن يبنى وراء موقع ذلك السهم، ورمى به بين يديه، ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء السهمين، فترك المسجد في مربعه غلوة من كل جانب وبنى ظله في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا. وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمته، وكانت ظلته مأتي ذراع على أساطين رخام للأكاسرة، سماؤها كأسمية الكنائس الرومية، واعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه احد ببنيان، وبنو السعد من الصحن خمسة مناهج، وفي قبلته أربعة مناهج، وفي شرقيته ثلاثة مناهج، وفي غربيته ثلاثة مناهج، وعلمها، فانزل في ودعة الصحن سليما، وثقيفا مما يلي الصحن على طريقين وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات على آخرهم، وتغلب، وانزل في قبلة الصحن بني أسد على الطريق، وبين بني

---

(١) حياة عمر بين الخطاب ص٨٣.

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه ج٤ ص٨.

أسد والنخع طريق، وبين المخع وكندة طريق، وبين كندة والازر طريق وانزل في غربي الصحن بجالة وبجله على الطريق وجديلة وأخلاطا على طريق، وجهينة وأخلاطا على طريق، فكان هؤلاء الدين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك. واقتسمت على السهمان، فهذه مناهجها العظمى، وبنوا مناهج تحاذي هذه ثم تلاقيها، وآخر تتبعها، وهي دونا في الذرع والمحال من ورائها، وفيما بينها، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام و القوادس وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتى يوافوا إليها، فلما ردفتهم الروادف، البدء والثناء وكثروا عليهم، ضيق الناس المحال فمن كانت رادفته كثيرة شخص إليهم وترك محلته، ومن كانت رادفته قليله أنزلوهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم وإلا سعوا على روادفهم، وضيقوا على أنفسهم، فكان الصحن على حاله زمان عمر كله لا تطمع فيه القبائل، ليس إلا المسجد والقصر، والأسواق في غير بنيان ولا أعلام، وقال عمر: الأسواق على سنة المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه وقد كانوا اعدوا مناخا لكل ردف فكان كل من يجيء سواء فيه»[1].

والحياة الثقافية والدينية في العهد الراشدي لاسيما في عصر عمر بن الخطاب لم تكن وفقا لما تبنته حركة الإصلاحات النبوية في الحث على طلب العلم، وعمران الأرض بالفكر، وتشييد الصروح القائمة على الثقافة والمعرفة، جاء في تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج الملطي عند كلامه عن فتح مصر على يد عمرو بن العاص ما نصه: وعاش يحي الغراماطيقي إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو، وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسه ما هاله، ففتن به، وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع، صحيح الفكر، فلازمه، وكان لا يفارقه، ثم قال له يحي يوما: انك قد أحطت بحواصل الإسكندرية، وختمت

(١) حياة عمر بن الخطاب ص١٦٠.

على كل الأصناف الموجودة بها، فمالك به انتفاع، فلا نعارضك به، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به. فقال له عمرو: ما الذي تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية «فقال عمرو: هذا لا يمكنني أن آمر فيه إلا بعد استيذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إلى عمر وعرفه قول يحي فورد عليه عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب عنه غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه فتقدم بإعدامها. فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى وأعجب»[1].

ومن خلال سيرة الفاروق في هذا الصدد يلاحظ الباحث انه يرفض آراء غيره في الفقه ويصر على أن يكون منهجه هو المسيطر على مفاصل الحياة الفقهية والدينية بشكل عام، وهو المنهج الذي عرف فيما بعد بمدرسة الرأي، وهي مدرسة طائفة أهل السنة والجماعة التي تشكل أغلبية العالم الإسلامي في العصر الحديث.

في مجمع الزوائد: أنّ تميماً ركع ركعتين بعد نهي عمر بن الخطّاب عن الصلاة بعد العصر، فأتاه عمر فضربه بالدرّة، فأشار إليه تميم أن اجلس ـ وهو في صلاته ـ فجلس عمر، ثمّ فرغ تميم من صلاته.

فقال تميم لعمر: لِمَ ضربتني؟!

قال: لأنّك ركعت هاتين الركعتين، وقد نهيتُ عنها.

قال: إنّي صلّيتهما مع من هو خير منك؛ رسول الله (ﷺ).

فقال عمر: إنه ليس بي أنتم الرهط، ولكن أخاف أن يأتي بعدكم قوم يصلّون ما بين العصر والمغرب حتّى يمرّوا بالساعة التي نهى رسول الله أن يصلّوا فيها كما وصلوا ما بين الظهر والعصر. وجاء عن أبي أيّوب الأنصاريّ أنّه كان يصلّي قبل خلافة عمر ركعتين بعد العصر، فلمّا استخلف عمر تركها، فلمّا

(١) حياة عمر بن الخطاب ص ١٥٦.

توفّي ركعهما.

فقيل له: ما هذا ؟

فقال : إن عمر كان يضرب الناس عليهما[1].

وفي «شرف أصحاب الحديث» للخطيب:

بعث عمر بن الخطّاب إلى عبد الله بن مسعود وإلى أبي الدرداء، وإلى أبي مسعود، فقال لهم: ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله؟! فحبسهم بالمدينة.

وأخرج الحاكم عن سعد بن إبراهيم عن أبيه:

إن عمر بن الخطّاب قال لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذرّ: ما هذا الحديث عن رسول الله؟! أحسبه حبسهم بالمدينة حتّى أُصيب[2].

في «مختصر تاريخ دمشق»: أنّ عبد الرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطّاب حتّى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق: عبد الله، وحذيفة، وأبو الدرداء، وأبو ذرّ، وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟!

قالوا: تنهانا؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عِشت؛ فنحن أعلم، نأخذ منكم ونردّ عليكم. فما فارقوه حتّى مات.

الثاني: عن هشام بن يحيى المخزوميّ: أنّ رجلاً من ثقيف أتى عمر بن الخطّاب، فسأله: عن امرأة حاضت، وقد كانت زارت البيت يوم النحر: ألها أن تنفر قبل أن تطهر؟

قال عمر: لا...

فقال له الثقفيّ: فإنّ رسول الله أفتاني في هذه المرأة بغير ما أفتيتَ به!

فقام إليه عمر يضربه بالدرّة ويقول: لِمَ تستفتيني في شيء قد أفتى فيه

---

(١) المصنّف ٢ : ٤٣٣ وفي هامشه عن كنز العمّال.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١ : ١١٠ ، وكذا في تلخيص الذهبيّ.

رسول[1].

وفي صحيح مسلم عن اليحصبيّ، قال: سمعت معاوية يقول: إيّاكم وأحاديث، إلاّ حديثاً كان في عهد عمر؛ فإنّ عمر كان يُخيف الناس في الله عزّ وجلّ!

ـ جاء عن سليمان بن عبد القويّ الحنبليّ المتوفى في ٧١٦ قوله في شرح الآربعين:

إنّ أسباب الخلاف الواقع بين العلماء تعارض الروايات والنصوص، وبعض الناس يزعم أنّ السبب في ذلك عمر بن الخطّاب، لآنّ الصحابة استأذنوه في تدوين السنّة فمنعهم مع علمه بقول النبيّ (ﷺ) «اكتبوا لآبي شاة» وقوله «قيّدوا العلم بالكتابة». فلو ترك الصحابة يدّون كلّ واحد منهم ما سمع من النبيّ لانضبطت السنّة فلم يبق بين آخر الآمّة وبين النبيّ إلاّ الصحابيّ الذي دوّنت روايته، لآنّ تلك الدواوين كانت تتواتر عنهم كما تتواتر عن البخاريّ[2].

عن حذيفة بن اليمان: إنّه لقي عمر بن الخطّاب، فقال له عمر: كيف أصبحت يابن اليمان؟

فقال: كيف تريدني أُصبح؟! أصبحت والله أكره الحقّ، وأُحبّ الفتنة، وأشهد بما لم أَره، وأحفظ غير المخلوق، وأُصلّي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.

فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره، وقد أعجله أمر، وعزم على أذى حذيفة بقوله ذلك، فبينا هو في الطريق إذ مرّ بعليّ بن أبي طالب، فرأى الغضب في وجهه فقال:

ما أغضبك يا عمر؟

فقال: لقيت حذيفة بن اليمان، فسألته: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت

(١) حجّيّة السنّة: ٣٧٢ عن الاَعلام، ورواه أبو داود كذلك(٢)؟!.

(٢) نقل الأستاذ أسد حيدر عنه هذا الكلام في كتابه الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، فراجع.

أكرهُ الحقّ؟

فقال: صدق، يكره الموت وهو حق.

فقال، يقول: وأُحب الفتنة!

قال: صدق، يُحبّ المال، والولد، وقد قال الله تعالى (إنّما أموالُكم وأولادكم فتنة).

فقال: يا عليّ! يقول: وأشهدُ بما لم أره؟!

فقال: صدق، يشهد لله بالوحدانّية، والموت، والبعث، والقيامة، والجّنة، والنار، والصراط، ولم يرَ ذلك كلّه.

فقال: يا عليّ! وقد قال: إنّي أحفظ غير المخلوق!

قال: صدق، يحفظ كتاب الله تعالى؛ القرآن، وهو غير مخلوق.

قال: ويقول: أُصلّي على غير وضوء.

قال: صدق، يُصلّي على ابن عمّي رسول الله (ﷺ) على غير وضوء، والصلاة عليه جائزة.

فقال: يا أبا الحسن! قد قال أكبرَ من ذلك.

فقال: وما هو؟

قال: قال إنّ لي في الارض ما ليس لله في السماء!

قال: صدق، له زوجة وولد، وتعالى الله عن الزوجة والولد.

قال عمر: كاد يهلكُ ابن الخطّاب، لولا عليّ بن أبي طالب[1].

وقال الإمام القوشجي متكلم الاشاعرة في أواخر مبحث الإمامة من شرح كتاب التجويد في علم الكلام: أن عمر (رضي الله عنه) قال وهو على المنبر: أيها الناس ثلاثة كن على عهد رسول الله (ﷺ) وأنا انى عنهن واحرمهن وأعاقب عليهن متعة النساء، ومتعة الحج، وحي على خير العمل.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان نفي الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكيّ: ٣٥، وكفاية الطالب للكنجيّ الشافعيّ ص: ٢١٨ـ٢١٩.

من المدينة المنورة، إلى الشام، ومن ثم إلى منطقة نائية تسمى الربذه، وبا توفي، ويقول المؤرخون الشيعة أن أبي ذر هو الذي بدر التشيع في تلك المنطقة التي تعتبر اليوم جزء من جنوب لبنان ذو الأغلبية الشيعية.

يمثل موقف أبو ذر القمة في التجاهر والتعبير عن مكنونات الضمير والفكر والرأي وعدم الركون إلى إغراءات السلطة أو الخوف من بطشها، هذا الصحابي لم يحمل سلاحا ضد سلطة الخليفة ولم يدعوا إلى القيام بثورة ضد حكومته وكل ما كان يقوم به مجرد تعبير عن الرأي في المحافل والتجمعات الشعبية، إلا أن الخليفة عثمان لم يستطع تحمل جهره بآرائه ومعتقداته فحكم عليه بالنفي، ليقضي أيامه الأخيرة وحيدا في منفاه بالربذه، ولتصبح حياته منارا للأحرار القادمين من رحم الأمل ومثالا يحتذا في حرية الفكر و الضمير والرأي.

روى البلاذري:

انه لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث ابن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشر الكانزين بعذاب أليم ويتلو قول الله عز وجل: والذين يكـ ون الذهب والفضة ولا ينفقونا في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذر ناتلا مولاه أن انته عما يبلغني عنك فقال: أينهاني عثمان عن قرائة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله ؟ فوالله لإن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضاه.

فأغضب عثمان ذلك و أحفظه فتصابر وكف، وقال عثمان يوما: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا ؟ فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي؟ إلحق بمكتبك وكان مكتبه بالشام إلا أنه كان يقدم حاجا ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله (ﷺ) فيأذن له في ذلك، وإنما صار مكتبه بالشام لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعا:

إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إذا بلغ البناء سلعا فالهرب. فأذن لي آتي الشام فأغزو هناك.

فأذن له، وكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها وبعث إليه معاوية بثلاث مائة دينار فقال: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا؟ قبلتها، وإن كانت صلة؟ فلا حاجة لي فيها.

وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمائتي دينار فقال: أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إلي بمال؟ وردها.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله؟ فهي الخيانة، وإن كانت من مالك؟ فهذا الإسراف.

فسكت معاوية، وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إني لأرى حقا يطفأ، وباطلا يحيى، وصادقا يكذب، وأثرة بغير تقى، وصالحا مستأثرا عليه.

فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذر مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة.

فكتب معاوية إلى عثمان فيه فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد فاحمل جندبا إلي على أغلظ مركب وأوعره فوجه معاوية من سار به الليل والنهار، فلما قدم أبو ذر المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان: إلحق بأي أرض شئت. فقال: بمكة. فقال: لا. قال: فبيت المقدس.قال: لا. قال: فبأحد المصرين.قال: لا. ولكني مسيرك إلى الربذة. فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات.

ومن طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: تكلم أبو ذر بشئ كرهه عثمان فكذبه فقال: ما ظننت إن أحدا يكذبني بعد قول رسول الله (ﷺ): ما أقلت الغبراء وما أطبقت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ثم سيره إلى الربذة فكان أبو ذر يقول: ما ترك الحق لي صديقا.

ومن طريق ابن حراش الكعبي قال: وجدت أبا ذر بالربذة في مظلة شعر فقال: ما زالا بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك الحق لي

صديقا.

ومن طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قلت لأبي ذر: ما أنزلك الربذة ؟ قال: أنصح لعثمان ومعاوية.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فقلت لأبي ذر: ما أنزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: الذين يكـ ون الذهب والفضة. فقال: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: فينا وفيهم. فكتب يشكوني إلى عثمان فكتب عثمان: إقدم المدينة. فقدمت فكثر الناس علي كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكر ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريبا. فذلك الذي أنزلني هذا المـ ل. قال ابن حجر في فتح الباري في شرح الحديث: وفي رواية الطبري إنهم كثروا عليه يسألونه عن سبب خروجه من الشام فخشي عثمان على أهل المدينة ما خشيه معاوية على أهل الشام. وقال بعد قوله: إن شئت تنحيت. في رواية الطبري: تنح قريبا. قال: والله لن أدع ما كنت أقوله. ولابن مردويه: لا أدع ما قلت.

وقال اليعقوبي: وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله (ﷺ) ويجتمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه وأنه وقف بباب المسجد فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

محمد الصفوة من نوح فالأول من إبراهيم والسلالة من إسماعيل والعترة الهادية من محمد، إنه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونية أضاء زيتها وبورك زبدها ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيون إلى أن قال: وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله (ﷺ) وسنن أبي بكر وعمر فسيره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في الـ لس فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على

باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له.

فقال: وكتب معاوية إلى عثمان إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر فكتب إليه أن احمله على قتب بغير وطاء فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه، فلما دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنك تقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلا اتخذوا بلاد الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله دغلا ؟ فقال: نعم سمعت رسول الله يقول ذلك.

فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك ؟ فبعث إلى علي بن أبي طالب فأتاه فقال: يا أبا الحسن! أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقص عليه الخبر فقال علي: نعم.

قال: فكيف تشهد؟ قال لقول رسول الله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر.

فلم يقم بالمدينة إلا أياما حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها، قال: أتخرجني من حرم رسول الله ؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا.

قال: فإلى البصرة ؟ قال: لا.

قال: فإلى الكوفة ؟ قال: لا.

ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت فيها.

يا مروان ! أخرجه ولا تدع أحدا يكلمه حتى يخرج.

فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون فلما رأى أبو ذر عليا قام إليه فقبل يده ثم بكى وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتى أبكي.

فذهب علي يكلمه، فقال مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد.

فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: تنح نحاك الله إلى النار.

ثم شيعه وكلمه بكلام يطول شرحه، وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاما.

وأخرج أبو يعلى من طريق ابن عباس قال: استأذن أبو ذر عثمان فقال: إنه يؤذينا فلما دخل قال له عثمان: أنت الذي تزعم إنك خير من أبي بكر وعمر ؟ قال: لا، ولكن سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إن أحبكم إلي وأقربكم مني من بقي على العهد الذي عاهدته عليه وأنا باق على عهده قال: فأمره أن يلحق بالشام وكان يحدثهم ويقول: لا يبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ما ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم[1].

خالد بن الوليد

لم يكن القادة السياسيين في العصر الراشدي الوحيدين في الاحتكام للعصبية والإرهاب في إدارة الصراع، فقد برزت قيادات عسكرية وضعت السيف في طاعة العصبية وحاكمية الإرهاب وتحييد الكتاب وسيرة النبي الكريم (ﷺ) كالقائد خالد بن الوليد الذي يطلق عليه المؤرخون (سيف الله المسلول)، يقول ابن الأثير: ولما انتهى أمر مسيلمة بموته، وعودة سجاح إلى الجزيرة العربية، وبعد أن فرغ خالد من فزارة وغطفان واسد وطيء، سار يريد بطاح بمكة وبا مالك بن نويره، تخلف بعض الأنصار عن خالد بحجة أن أبا بكر لم يأمرهم بذلك، إلا أن إصرار خالد على المسير جعل الأنصار نادمين، فقالوا «إن أصاب القوم خيرا حرمتموه، وان أصيبوا ليجتنبنكم الناس» فلحقوه ولما قدم خالد البطاح، بث السرايا وأمر بالدعوة للإسلام، وقتل من يمتنع. كان أبو بكر قد أوصاهم أن يؤذنوا إذا نزلوا م لا فان أذن القوم كفوا عنهم وان أجابوهم إلى داعية الإسلام سألوهم عن الزكاة فان اقروا قبلوا منهم وان أبو

---

(١) راجع الأنساب ٥ : ٥٤٥٢ ، صحيح البخاري في كتابي الزكاة والتفسير، طبقات ابن سعد ٤ : ١٦٨ ، مروج الذهب ١ : ٤٣٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤٨ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٢٢٤٠ فتح الباري ٣ : ٢١٣ ، عمدة القاري ٤ : ٢٩١..

قاتلوهم. جاء قوم خالد وكان فيهم أبو قتادة، بمالك بن نويره مع نفر معه، وكان أبو قتاده فيمن شهد آن مالك وقومه قد أذنوا واقامو وصلوا لكن قوم خالد قتلوهم فيما يظن انه سوء فهم منهم لما أمرهم به خالد، فهو قد أمرهم أن يدفئوا أسراهم لان البرد كان شديد في الليل وكانت هذه العبارة تعني في لغة القوم أن يقتلوهم ولم ينتظر خالد من زوجة مالك أن تقضي عدتا فتزوجها»[1].

يقول ابن كثير: لما استقدم الصديق خالدا إلى المدينة قام عمر بن الخطاب إليه وقال «ارئاء قتلت امرئ مسلما ثم نزوة على امرأته، والله لارجمنك بالجنادل أما الصديق فعذره وتجاوز عنه، واستمر أبو بكر بخالد على الإمرة وان كان قد اجتهد في قتل مالك بن نويره واخطأ في قتله»[2].

ويقول اليعقوبي:«كتب أبو بكر إلى خالد أن يتجه إلى مالك فسار إليهم، فاتاه مالك بن نويره يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالدا أعجبته فقال: والله لا نلت في مثابتك حتى أقتلك، فنظر مالكا فضرب عنقه وتزوج امرأته، فلحق أبو قتادة بابي بكر فاخبره الخبر، وحلف ألا يسير تحت لواء خالد لأنه قتل مالكا مسلما فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر: يا خليفة رسول الله أن خالدا قتل رجلا مسلما وتزوج امرأته من يومها فكتب أبو بكر إلى خالد فأشخصه فقال خالد يا خليفة رسول الله إني تأولت وأصبت وأخطأت»[3].

إلا أن ما أقدم عليه خالد لم تكن جريمته الأولى، ففي عهد النبي الكريم (ﷺ) أقدم على قتل المئات من قبيلة جديمه حتى أن النبي(ﷺ) استنكر جريمته ورفع يديه إلى السماء قائلا: اللهم إني أبرء إليك مما صنع خالد بن الوليد (٣ مرات)، وقد تزوج أيضا بابنة مجاعة الحنفي بعد أن قتل المئات من قومه، وفي هذا كتب إليه أبو بكر: تتوبث على الناس وعند أطناب بيتك دماء المسلمين ويروى الطبري أن ا أبا بكر قال: يا ابن أم خالد انك لفارغ تنكح النساء

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٢١٦- ٢١٧.
(٢) ابن كثير البداية والنهاية ج٦ ص٣٢٣.
(٣) تاريخ العيقوبي ج٢ ص ١٣١- ١٣٢.

وبفناء بيتك دم ألف ومائة رجل من المسلمين لم يحقن بعد»[1].

ثانيا: صور من العهد الأموي

الصورة الأولى: الخليفة الأموي معاوية ابن أبي سفيان

أول خلفاء بني أمية ومؤسس الدولة الأموية، كان سياسته تجاه المعارضة تتركز في إغراء المناوئين له بالسلطة والمال، أو اغتيالهم بواسطة المرتزقة، وممارسة الإرهاب الديني بحيث يكون مسار الفكر متوافقا مع عقيدة السلطة وأهدافها، قال ابن عّباس: مالي لا أسمع الناس ُيلّبون؟!

فقلت [أي الراوي]: يخافون معاوية.

فخرج ابن عّباس من فُسطاطه فقال: لّبيك اللّهمّ لّبيك، وإن رغم أنف معاوية. اللّهمّ العنهم؛ فقد تركوا السّنة من بغض عليّ[2].

عن المغيرة: أّنه طلب من معاوية ترك إيذاء بني هاشم لأّنها أبقى لذكره، فأجابه معاوية: هيهات! هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟ مَلَك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حّتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر.

ثمّ مَلَك أخو عديّ، فاجتهد، وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حّتى هلك ذكرُه، إلاّ أن يقول قائل: عمر

وإنّ ابن أبي كبشة ـ يعني بالنبيّ محّمد (ﷺ) ـ ليصاح به كلّ يوم خمس مرّات! أشهد أن محّمداً رسول الله.

فأيّ عمل يبقى؟ وأيّ ذكر يدوم بعد هذا! لا أبا لك! لا والله إلاّ دفناً دفناً[3].

قال الشيخ أبو جعفر الإِسكافيّ: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل على ذلك جعلاً ُيرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو

---

(١) الطبري ج٣ ص١٥٠.

(٢) سنن النسائيّ٥ : ٢٥٣ ، سنن البيهقيّ٥ : ١١٣ ، الاعتصام بحبل الله المتين٣٦٠:١

(٣) (٢٩- ٣) صحيح مسلم بشرح النوويّ ١ : ٨١، المسترشد، للطبريّ: ١٧٤.

هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير[1].

جاء في كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية: لابدّ أن يكون للحكم الأموي أثر في اختفاء كثير من آثار عليّ في القضاء والإفتاء، لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا عليّاً فوق المنابر، وأن يتركوا العلماء يتحدّثون بعلمه، وينقلوا فتاواه وأقواله، وخصوصاً ما يّتصل بأساس الحكم الإسلامي[2].

جاء في السير في كيفية بيعة يزيد ابن معاوية: ﻓ ل معاويه عن المنبر وانصرف ذاهبا إلى مـ له، وأمر من حرسه وشرطته قوما أن يحضروا هؤلاء النفر وهم الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأوصاهم معاوية فقال: إني خارج العشية إلى أهل الشام فاخبرهم أن هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان تكلم احد منهم بكلام يصدقني أو يكذبني فيه فلا ينقضي كلامه حتى يطير رأسه، فحذر القوم ذلك، فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد ألبسهم الحلل.. ثم خرج بينهم واظهر لأهل الشام الرضا: أي القوم وإنم بايعوا. فقال: يا أهل الشام إن هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا. قال ذلك والقوم سكوت ولم يتكلموا في شي حذر القتل، فوثب أناس من أهل الشام فقالوا: يا أمير المؤمنين إن كان رأيت منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتى نضرب أعناقهم. فقال معاوية: سبحان الله ما حل دماء قريش عندكم يا أهل الشام لا اسمع لكم ذاكرا بسوء فإنم قد بايعوا وسلموا وارتضوني فرضيت عنهم رضي الله عنهم[3]..

ومن جرائم معاوية غزوه الحجاز واليمن وذلك في عهد الإمام علي (عليه السلام) وكان قائد حملته بسر أبي ارطاه الذي ارتكب كافة جرائم الحرب والإرهاب، ومما يرويه التاريخ أن بسر قتل ولدين صغيرين لعبيد الله بن عباس فتلقته امرأة من بني كنانه قائلة: يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين والله ما

---

(١) شرح النهج ٤ : ٦٣ ، المعرفة والتاريخ ، للبسيويّ ، ترجمة أبي هريرة.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية : ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٣) الإمامة والسياسة ج١ ص ٢١٣.

كانوا يقتلون في الجاهلية والإسلام. والله إن سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الأرحام لسلطان سوء... ويروي ابن عبد بر: أغار بسر بن ارطاه على همدان، وكانت في يد علي وسبى نساءهم فكن أول مسلمات سبين في الإسلام، وقتل أحياء من بني سعد[1]...

وتذكر التواريخ أن معاوية أول من قام بقطع الرؤوس في الإسلام فقد قطع رأس عمار بن ياسر ورأس عمرو بن الحمق وهو احد قادة الثورة ضد عثمان، وعمد حكمه في مصر إلى وضع جثة محمد بن أبي بكر في حمار ميت وإحراقها، وأمر بسب علي (عليه السلام) في المنابر إلى أن أوقف ذلك عمر بن عبد العزيز، وقتل حجر بن عدي وجمع من أصحابه عام ٥١ هـ، وقتله سما الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، يقول الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقه. انتزائوه على هذه الأمة بالسيف حتى اخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه بعده ابنه سكير خميرا يلبس الحرير ويضرب الطنابير. وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر[2]...

قال أبو الحسن المدائني: كانت وفاة الحسن سنة ٤٩ وكان مريضا ٤٠ يوما وكان سنة ٤٧ سنة، دس إليه معاوية سما على يد جعدة بنت الأشعث، وقال لها: أن قتلتيه بالسم فلك مائة ألف وأزوجك يزيد فلما مات وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد وقال: أخشى أن تصنعي بابني ما صنعت بابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[3].

ونقل المدائني عن الحصين بن المنذر الرقاشي: انه كان يقول: والله ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه، قتل حجرا وأصحابه وبايع لابنه يزيد، وسم

---

(١) انظر الإصابة في تعريف الصحابة. أسد الغابة فيم عرف من الصحابة.

(٢) البداية والنهاية ٣٧٢/٨.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد الجزء ١٦ ص٤.

الحسن[1].

وقال أبو الفرج الأصفهاني: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدس إليهما سما فماتا منه.. انظر مقاتل الطالبين

الصورة الثانية: يزيد بن معاوية (٦١ ـ ٦٥هـ)

أقدم يزيد في السنة الأولى من حكمه على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وجمعا من خيرة أهل بيته وأصحابه وأنصاره في واقعة ألطف الدامية، كانت حرب كربلاء مثالا صارخا على إرهاب الحرب ومدى إيغال النظام الأموي في الدماء.

منع الجيش الأموي الماء عن الحسين وأنصاره، يقول ابن مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الازدى قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عثمان بن عفان، قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فـ لوا على الشريعة وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: ونازله عبد الله بن أبي حصين الازدى وعداده في بجيلة فقال: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا.

فقال الحسين: اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا[2].

وأقدم الجيش الأموي على قتل أطفال الحسين (عليه السلام) يقول القزويني في فاجعة ألطف: وبرز غلام من أخبية الحسين، وفي أذنيه درّتان وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وقرطاه يتذبذبان فحمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف فقتله، فصارت أمه تنظر إليه ولا تتكلّم

---

(١) شرح النهج جزء ٤ ص٧.

(٢) مقتل الحسين لابن مخنف ص ٩٨.

كالمدهوشة[1].

يقول القزويني: فنادى يا قوم قتلتم أنصاري وأولادي، وما بقي غير هذا الطفل، إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل، لقد جفّ اللبن في صدر أمّه.

فرماه حرملة بسهم فوقع في نحره فذبحه من الوريد إلى الوريد. ثم عاد بالطفل مذبوحاً وحفر له بجفن سيفه ودفنه. وولد للحسين ابن وقت الظهر، فأتي به إلى الحسين وهو قاعد بباب الخيمة فأخذه في حجره فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، فرماه لعين فذبحه في حجر الحسين[2].

«فخرج عبد الله بن الحسن وهو غلامٌ لم يراهق من عند النساء، فشدّ حتى وقف إلى جنب عمّه الحسين، فلحقته زينب بنت علي لتحسبه، فقال لها الحسين: احبسيه يا أختي فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً وقال: والله لا أفارق عمي، وأهوى أبحر بن كعب إلى الحسين بالسيف فقال له الغلام: ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمّي فضربه أبحر بالسيف فأتقاه الغلام بيده وأطّنها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، ونادى الغلام: يا عمّاه يا أبتاه فأخذه الحسين فضمّه إليه وقال: يابن أخي صبراً على ما نزل بك واحتسب في ذلك الأجر فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين فرماه حرملة بسهم فذبحه في حجر عمّه الحسين»[3].

وبعد مقتل الحسين (عليه السلام) داست الخيول جثمانه و سلب رداءه ورضت أضلاعه وسبيت نسائه، يقول ابن مخنف: فاخذ سراويله بحر بن كعب، اخذ قيس بن الاشعث قطيفته وكانت من خز وكان يسمى بعد قيس قطيفته، واخذ نعليه رجل من بني اود يقال له الأسود، واخذ سيفه رجل من بني نشل بن دارم فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل.. ومال الناس على الورس والحلل وانتهبوها... ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه فان كانت المرأة لتنازع ثوبا عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها[4]... مقتل

(١) فاجعة ألطف ص ٥٦.
(٢) المصدر نفسه ص ٧٤.
(٣) المصدر نفسه ص٧٥.
(٤) مقتل الحسين (عليه السلام) لابن مخنف ص ٢٠٠ .

الحسين (عليه السلام).

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الأصغر وهو منبسط على فراش له وهو مريض وإذا شمر بن ذي الجو شن في رجالة معه يقولون ألا نقتل هذا. قال: فقلت: سبحان الله أنقتل الصبيان إنما هذا صبي؟ قال: فما زال ذلك ذئبي ادفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة احد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض، ومن اخذ من متاعهم شيئا فليرده عنهم، قال: فوالله ما رد احد شيئا[1]..

ثم أن عمر بن سعد نادى في أصحابه من ينتدب للحسين ويوطئه بفرسه ؟ فانتدب عشرة منهم.. فاتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره[2]..

عن ابن طاووس: «وقال الصادق (عليه السلام) وجد في الحسين (عليه السلام) ثلاثة وثلاثين طعنة وأربعة وثلاثون ضربة،واخذ سراويله بحر بن كعب التميمي فروي انه صار زمنا مقعدا عن رجليه، واخذ عمامته الاخنس بن مرثد بن علقمه الحضرمي، وقيل جابر بن مرثد الازدي، فاعتم با فصار معتوها، واخذ نعليه الأسود بن خالد، واخذ خاتمه جدل بن سليم الكلبي وقطع أصبعه (عليه السلام) مع الخاتم»[3].

«ثم اخرج النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في اسر وذلة»[4].

وفي السنة الثانية أمر يزيد بن معاوية بغزو المدينة المنور فكانت وقعة الحرة التي استبيحت فيها المنورة ثلاثة أيام، وافتضت ألف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار، وقتل من اللائذين بحرم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من عشرة آلاف

---

(١) نفس المصدر ص٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه ص٢٠٠٢.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف ص ٧٧.

(٤) المصدر نفسه ص٧٨.

رجل، وقتل من النساء والصبيان الكثير، وكان الجندي يأخذ الطفل الرضيع فيجذبه من أمه ويضرب به الحائط فتنتشر دماءه على الأرض وأمه تنظر إليه، قال ابن الطقطقي: فقيل أن الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتا ويقول لعلها افتضت في وقعة الحرة[1].

وقال الفاضل الشبراوي: وافتض فيها نحو ألف بكر وحمل فيه من النساء اللاتي لا أزواج لهن نحو من ألف امرأة[2].

وقال ابن خلكان: كان يزيد بن معاوية في مدة ولايته قد سير إلى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها وأخرج أهلها إلى هذه الحرة، فكانت الوقعة بما وجرى فيها ما يطول شرحه، وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة بسبب ما جرى فيها من الفجور.

قال أبو معشر: حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال: قتل بضعة وسبعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الأنصار وقتل أربعة من ولد زيد بن ثابت. قال مسلم بن عقبه لأهل الشام: كفوا أيديكم فخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يريد القتال، فقاتلهم بعد الكف، فقال مسلم بن عقبه: انبها ثلاثا. قال: فقتل الناس وفضت النساء ونبت الأموال[3]..

وفي سنته الثالثة أقدم جيشه على ضرب الكعبة المشرفة بالمنجنيق، يقول الطبري في ذك: حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة ٦٤ قذفوا البيت بالمنجنيق وحرقوه بالنار واخذوا يرتجزون ويقولون خطاره مثل الفتيق المزبد نرمي بما أعواد هذا البيت»[4].

قال المسعودي في مروجه: إن سيرة يزيد مثل سيرة فرعون، بل كان فرعون اقل ظلما من يزيد في الرعية، وان حكومة يزيد صارت عارا كبيرا على

(١) تاريخ الفخري ص١٠٧.
(٢) الاتحاف ص٦٦.
(٣) الإمامة والسياسة ج٢ ص ١٩.
(٤) تاريخ الطبري ص٣٨٣ .

الإسلام،لأنه ارتكب أعمالا شنيعة كشرب الخمر في العلن، وقتل سبط رسول الله ص.. ولعن الإمام علي بن أبي طالب، وقذف الكعبة بالحجار وهدمها وحرقها، وإباحة مدينة رسول الله (ﷺ) في وقعة حرة[1]..

الصورة الثالثة: القائد الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي

والي الخليفة الأموي مروان بن عبد الملك، على البصرة والكوفة، مارس الجريمة والإرهاب وحكم الناس بما يخرج الإنسانية عن طبيعتها، عن تاريخ الجوزي عن هشام بن حسان قال: أحصينا من قتله الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا، قال: ووجد في سجنه ثلاثة وثلاثون ألفاً ما يجب علي أحد منهم قطع ولا صلب ولاقتل، وكان سجنه حائطاً لاسقف فيه، فإذا آوي المسجونون إلى ظل الجدار يستظلون به من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة، وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد، وكان لا يلبث الرجل في سجنه إلا يسيراً حتى يسود وجهه.

وفي مروج الذهب للمسعودي أنه وجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم تجب على أحد منهم العقوبة، وكان يحبس الرجال والنساء في مكان واحد، وقد قتل سعيد بن جبير وما فوق أديم الأرض إلا وهو محتاج لعلمه، وقال فيه عاصم بن أبي النجود الكوفي: ما بقيت لله حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو أول وال يقوم برمي الكعبة بالمنجنيق.

وقال فيه بريدة بن أبي موسي الأشعري: كان عدو الله يتزين تزين المؤمنين ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار، فإذا نزل عمل عمل الفراعنة، وهو أكذب في حديثه من الدجال. ويقول فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا نحن بالحجاج لغلبناهم.

جاء في الإمامة والسياسة: قال: وذكروا أن عبد الملك لما كتب إلى الحجاج يأمره بالمسير إلى العراقيين ويحتال لقتلهم، توجه ومعه ألفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحماتم، وأربعة آلاف من أخلاط الناس، وتقدم بألفي رجل،

---

(١) طالع مروج الذهب ج٢.

وتحرى دخول ألبصره يوم الجمعة في حين أوان الصلاة، فلما دنا من البصرة أمرهم أن يتفرقوا على أبواب المسجد، على كل باب مئة رجل بأسيافهم تحت أرديتهم، وعهد إليهم أن إذا سمعتم ألجلبه في داخل المسجد، والواقعة فيهم، فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه إلى الأرض، وكان المسجد له ثمانية عشر بابا، يدخل منها إليه، فافترق القوم عن الحجاج فبدروا إلى الأبواب، فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة، ودخل الحجاج وبين يديه مئة رجل و خلفه مئة، كل رجل مرتد بردائه، وسيفه قد أفضى به إلى داخل إزاره، فقال لهم: إني إذا دخلت فسأكلم القوم في خطبتي وسيحصبونني، فإذا رأيتم قد وضعت عمامتي على ركبتي، فضعوا أسيافكم، واستعينوا بالله، واصبروا أن الله مع الصابرين، فلما دخل المسجد، وقد حانت وقت الصلاة، صعد المنبر فحمد الله ثم قال: أيها الناس أن أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل في بلاده، وارتضاه إمام على عباده، وقد ولآني مصركم، وقسمة فيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإمضاء الحكم على ظالمكم، وصرف الثواب إلى المحسن البري، والعقاب إلى العاصي المسي، واني متبع فيكم أمره، ومنفذ عليكم عهده، وأرجو بذلك من الله عز وجل الـازاة، ومن خليفته المكافأة وأخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته إياي عليكم، سيف رحمة، وسيف عذاب ونقمه، فأما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق، وما سيف النقمة فهو هذا، فحصبه الناس، فلما أكثروا عليه خلع عمامته، فوضعها على ركبته، فجعلت السيوف تبرى الرقاب، فلما سمع الخارجون الكائنون على الأبواب وقيعة الداخلين، ورءوا تسارع الناس إلى الخروج، تلقوهم بالسيوف، فردعوا الناس إلى جوف المسجد، ولم يتركوا على خارجا يخرج، فقتل منهم بضعة وسبعين ألفا. الواضح أن خبرا كهذا تشوبه مبالغة ظاهره ولكن دون سقوطه. حتى سالت الدماء إلى باب المسجد والى السكك.

ثالثا: القائد صلاح الدين الأيوبي

يسجل الكتاب والمؤرخون لصلاح الدين الأيوبي انتصاره الباهر على

المسيحيين في معركة حطين سنة ١١٨٧م، وتحفل كراريس التاريخ العربي بالإشادة والإطراء لشخص صلاح الدين، ولا يخلوا قبره إلى هذا اليوم من زوار باعتباره الفاتح العظيم والشخصية التاريخية الفذة، ذات الأخلاق الرفيعة والقيم العالية، إلا أن بعض المؤرخين لا يرى في صالح الدين سوى شخصية عسكرية وسياسية مستبدة، مارست الإرهاب والقهر وارتكبت الجريمة دون أدنى وازع من دين أو ضمير، يسجل المؤرخ والمفكر الكبير السيد حسن الأمين عبر كتابه (صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين) بعضا مما لا يكاد يصدق القارئ للتاريخ الذي بين أيدينا أن الذي يتحدث عنه هو صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس، يقول نقلا عن مصادر وثقها في كتابه أن صلاح الدين «احتجز جميع رجال الأسرة الفاطمية في مكان، واحتجز جميع نسائها في مكان آخر، ومنع الفريقين من الزواج لئلا يتناسلوا...»[1].

وأوغل في دماء الشيعة حتى لم يبقى لهم في مصر باقية، يقول عبد الرحيم بن علي البيساني قاضي صلاح الدين، الملقب بالقاضي الفاضل، «والمَذَلة في شيع الضلال شائعة، ومُزقوا كل ممزق، ورغمت أنوفهم ومنابرهم، وحقت عليهم الكلمة تشريداً وقتلاً»[2].

وأقدمت حكومة صلاح الدين الأيوبي على تدمير المكتبة القاهرية العامرة التي كانت من أعظم مكتبات ذلك العصر يصفها الأمين في كتابه سابق الذكر «كانت من الضخامة بحيث أنا ضمّت (٦٠٠) ألف كتاب مخطوط، ثم ما لبثت أن أُنشئت دار الحكمة القاهرية، وهي لم تكن أرففاً لاحتواء الكتب فقط، ولكنها كانت تضم جيوشاً من المترجمين والعلماء والنسّاخين، وكانت بذلك جامعة متخصصة لإنتاج الكتب»[3].

«هذه الكنوز العلمية من نفائس الكتب التي تعب الفاطميون في جمعها، وأنفقوا من الأموال ما أنفقوا في الحفاظ عليها، أصابها من صلاح الدين ما

(١) صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين ص ٦٨.
(٢) السيد الأمين. مصدر سابق ص ٦٨.
(٣) الدكتور محمد الرميحي، مجلة العربي، العدد ٤٢٦، أيار ١٩٩٤م ص ٢٢.

أصاب الفاطميين أنفسهم، ومثلما شهد العصر الفاطمي ازدهار المكتبات القاهرية، شهدت بداية عصر صلاح الدين انيارها بفعل النهب والحرق واللامبالاة»[1]، ويصف الدكتور الدكتور محمد كامل حسين ما جرى على دور العلم الفاطمية بقوله «وكذلك ضاعت كنوز الفاطميين بيد التعصب الممقوت»، ويختم كلامه بالقول: «ولكن هذه الموجة الفنية التي طغت على مصر، سرعان ما أبادها الأيوبيون فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية، فضاع الشعر ولم يبق منه إلاّ اسم الشاعر أحياناً إن قُدر لاسمه البقاء، ونحن لا نتردد في اتام الأيوبيين بجنايتهم على تاريخ الأدب المصري، لتعمدهم أن يمحوا كل أثر أدبي يمت للفاطميين بصلة، فقد أحرقوا كتبهم بما فيها من دواوين الشعر»[2].

ويقول ابن أبي طي في وصف ما حلّ بذه المكتبة الكبرى: «ومن جملة ما باعوا خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا»[3].

«لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان با ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري، ويقال أنا كانت تحتوي على ألفي ألف وستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة»[4].

ويقول العماد الأصفهاني في ذلك: «وفيها من الخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واقتطعه التعدي، وكانت كالميراث مع أمناء الأيتام، يتصرف با بشَرَه الانتهاب والالتهام[5].

يقول الدكتور حسين مؤنس: «كانت مشاريعه ومطالبه متعددة لا تنتهي، فكانت حاجته للمال لا تنتهي، وكان عماله من أقسى خلق الله على

---

(١) المقريزي ج ٢ ص ٢٥٥.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) السيد الأمين (مصدر سابق) ص ٢٦ ـ ٢٧.
(٤) السيد الأمين (مصدر سابق) ص ١٦٩.
(٥) المصدر السابق. ص١٧٠.

الناس، ما مرّ ببلده تاجر إلاّ قصم الجُباة ظهره، وما بدت لأي إنسان علامة من علامات اليسار، إلاّ أُنذِر بعذاب من رجال السلطان، وكان الفلاحون والضعفاء معه في جهد، ما أينعت في حقولهم ثمرة إلاّ تلقّفها الجباة، ولا سنبلة قمح إلاّ استقرت في خزائن السلطان، حتى أملق الناس في أيامه، وخلّفهم على أبواب محن ومجاعات حصدت الناس حصداً»[1].

الإرهاب والتعصب الديني في العهدين الأموي والعباسي

ننقل صورا متعددة لظاهرتي الإرهاب والتعصب الديني في العصرين الأموي والعباسي على صعيد السلطة السياسية دون المجتمع الإسلامي العربي وذلك في الوجيز التالي:

١ ـ جاء في مناقب الإمام أبي حنيفة، للمكّي: أنّه لمّا دعي ليسأل عن مسألة فقهّية من قِبَل أحد الأمويين، قال أبو حنيفة: فاسترجعت نفسي لأنّي أقول فيها بقول عليّ (رضي الله عنه) وأدين الله به، فكيف أصنع؟

قال: ثمّ عزمت أنّ أَصْدُقُهُ وأفتيه بالدين الذي أدين الله به، وذلك أنّ بني أُميّة كانوا لا يفتون بقول عليّ ولا يأخذون به ـ إلى أنّ يقول ـ وكان عليّ لايذكر في ذلك العصر باسمه، والعلامةُ عنه بين المشايخ أن يقولوا: قال الشيخ، ومنعوا الناس أنّ يسمّوا أبناءهم باسمه، ويتعرّض للبلاء من سمى ابنه عليّاً[2].

٢ ـ وجاء قريب من هذا عن الحسن البصريّ عن يونس بن عبيد، قال: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد! إنّك تقول: قال رسول الله وإنّك لم تدركه!

قال: يا ابن أخي! لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك منّي ما أخبرتك، إنّي في زمان كما ترى، وكان في عمل الحجّاج، كل شيءٍ سمعتني أقول: قال رسول الله، فهو عليّ بن أبي طالب، غير أنّي في زمان لا أستطيع أن أذكر عليّاً[3].

---

(١) السيد الأمين ـ مصدر سابق ـ ص ١٦٤.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١ : ٣٩٦ عن مناقب الإمام أبي حنيفة ١ : ١٧١

(٣) تهذيب الكمال ٦ : ١٢٤

٣ ـ وعن الشعبيّ: ماذا لقينا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قُتلنا، وإن أبغضناهم دخلنا النار[١].

٤ ـ قال ابن الأثير: كان الحجّاج بن يوسف والي العراق من قبل الأمويين قد ختم في يد جابر بن عبد الله [الأنصاري] وفي عُنق سهل بن سعد الساعديّ وأنس بن مالك، يريدُ إذلالهم، وأن يتجنّبهم الناس ولا يسمعوا منهم[٢].

٥ ـ جاء في البداية والنهاية عن احتجاج عم الرشيد على حديث التقاء ادم وموسى فقال: أين التقيا يا أبا معاوية؟. فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا. وقال: اتعترض على الحديث، علي بالنطع والسيف. فاحضر ذلك. فقام الناس إليه يشفعون فيه. فقال الرشيد: هذه زندقة. ثم أمر بسجنه واقسم أن لا يخرج حتى يخبر عمن ألقى إليه هذا، فاقسم عمه بالإيمان المغلظة ما قال هذا له احد وإنما كانت هذه الكلمة بادرة مني وأنا استغفر الله وأتوب إليه منها. فأطلقه. وقال بعضهم: دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتلته لأنه قال القرآن مخلوق، فقتلته على ذلك قربة إلى الله عز وجل»[٣].

مما ترويه أسفار التاريخ عن محنة خلق القران ما يلي:

كتب المأمون إلى نائبه ببغداد يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القران وان يرسل إليه جماعة منهم، وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه، وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم المستملي، ويزيد بن هارون، ويحي بن معين، وأبو خثيمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن أبي مسعود، واحمد بن الدورقي، فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فامتحنهم بخلق القران فأجابوه إلى ذلك واظهروا موافقته وهم كارهون، فردهم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء، ففعل إسحاق ذلك، واحضر خلقا من مشايخ

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١١٢ كما في الإمام الصادق ١ : ٣٩٧.
(٢) أُسد الغابة ٢ : ٤٧٢ ترجمة سهل بن سعد.
(٣) البداية والنهاية ج٩ ص ٢٣٤.

الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون، وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك، فأجابوه بمثل جواب أولئك موافقة لهم[1].

ثم كتب المأمون إلى إسحاق أيضا بكتاب ثان يستدل به على القول بخلق القران، وأمر نائبه أن يقرا ذلك على الناس، وان يدعوهم إليه والى القول بخلق القران، فاحضر أبو إسحاق جماعة من الأئمة وهم احمد بن حنبل، وقتيبة، وأبو حيان الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتل، وسعدويه الواسطي، وعلي بن الجعد، واسحاق بن ابي إسرائيل، وابن الهرش، وابن عليه الأكبر، ويحي بن عبد الحميد العمري، وشيخ آخر من سلالة عمر كان قاضيا على الرقة، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعي.. فلما دخلوا على أبي إسحاق قرأ عليهم كتاب المأمون فلما فهموه قال لبشر بن الوليد: ما تقول في خلق القرآن؟ قال: هو كلام الله. قال: ليس عن هذا أسالك، وإنما أسالك اهو مخلوق؟ قال: ليس بخالق. قال: ولا عن هذا أسالك. فقال: ما أحسن غير هذا. وصمم على ذلك. فقال: تشهد أن لا اله إلا الله أحدا فردا لم يكن قبله شي ولا بعده شي ولا يشبهه شيئا من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه؟ قال: نعم! فقال للكاتب: اكتب ما قال. فكتب. ثم امتحنهم رجلا رجلا فأكثرهم امتنع من القول بخلق القران، فكان إذا امتنع الرجل منهم امتحنه بالرقعة التي وافق عليها بشر بن الوليد الكندي، ومن قال لا يشبه شي من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول: نعم كما قال بشر بن الوليد الكندي من انه يقال لا يشبه شي من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول: نعم كما قال بشر ولما انتهت النوبة إلى امتحان احمد بن حنبل فقال له: أتقول أن القرآن مخلوق؟ فقال: القران كلام الله لا أزيد على هذا. فقال له: ما تقول في هذه الرقعة؟ فقال: أقول (ليس كمثله شي وهو السميع البصير) فقال رجل من المعتزلة: انه يقول سميع بأذن بصير بعين. فقال له

(١) البداية والنهاية ج١٠ ص ٢٩٨.

إسحاق: ما أردت بقولك سميع بصير؟ فقال: أردت منها ما أرداه الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك. فكتب جوابات القوم رجلا رجلا وبعث با إلى المأمون، وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القران مصانعة مكرها لأنم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه، وان كان له رزق على بيت المال قطع، وان كان مفتيا منع من الإفتاء، وان كان شيخ حديث ردع عن الإسماع والأداء.

فلما وصلت جوابات القوم إلى المأمون بعث با إلى نائبه يمدحه على ذلك ويرد على كل فرد فرد ما قال في كتاب أرسله وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضا فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس، ومن لم يجب منهم فابعثه إلى عسكر أمير المؤمنين مقيد محتفظا به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه راية، ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقل بقوله، فعند ذلك عقد النائب ببغداد مجلسا آخر واحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهدي، وكان صاحبا لبشر بن الوليد الكندي وقد نص المأمون على قتلهما أن لم يجيبا على الفور[1]...

وبعد موت المأمون جاء بعده المعتصم بالله وكان على دين المأمون في هذا الأمر، يقول ابن كثير على لسان الإمام احمد بن حنبل: ثم جاء الخبر بان المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه احمد بن أبي داود، وان الأمر شديد، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الاسارى، ونالني منهم أذى كثير[2]...

قال ابن كثير: وكان في رجليه القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه احمد، فلما رجع احمد إلى بغداد دخلها في رمضان، فأودع في السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهرا، وقيل نيفا وثلاثين شهرا، ثم خرج إلى الضرب بين يدي المعتصم، وقد كان احمد وهو في السجن زاد في قيوده، قال احمد: ثم دعيت فأدخلت على المعتصم، فلما نظر إلي وعنده ابن أبي داوود قال: أليس قد زعمت انه حدث السن وهذا شيخ مكهل؟ فلما دنوت منه وسلمت

---

(١) نفس المصدر ص ٣٠٠.

(٢) نفس المصدر ص ٣٦٦.

عليه قال لي: أدنه. فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال: اجلس! فجلست وقد أثقلني الحديد، فمكثت ساعة ثم قلت: يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه ابن عمك رسول الله (ﷺ)؟ قال: إلى شهادة أن لا اله إلا الله. قلت: فاني اشهد أن لا اله إلا الله. قال: ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس، ثم قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله (ﷺ). قال: ثم تكلم ابن أبي داوود بكلام له افهمه، وذلك إني لم أتفقه كلامه، ثم قال المعتصم: لولا انك كنت في يد من كان قبلي لم أتعرض إليك، ثم قال: يا عبد الرحمن الم آمرك أن ترفع المحنة؟ قال احمد: فقلت: الله اكبر، هذا فرج للمسلمين، ثم قال: ناظره يا عبد الرحمن، كلمه، فقال لي عبد الرحمن ما تقول في خلق القران؟ فلم اجبه. فقال المعتصم: اجبه. فقلت: ما تقول في العلم؟ فسكت. فقلت: القران من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله، فسكت فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين كفرك وكفرنا، فلم يلتفت إلى ذلك، فقال عبد الرحمن: كان الله ولا قران. فقلت: كان الله ولا علم؟ فسكت. فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا. فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به. فقال ابن أبي داوود: وأنت لا تقول إلا بذا وهذا؟ فقلت: وهل يقوم الإسلام إلا بما. وجرت مناظرات طويلة[1]....

فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل، وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين. فعند ذلك حمي واشتد غضبه، وكان ألينهم عريكة وهو يظن أنم على شي، قال احمد: فعند ذلك قال لي: لعنك الله، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه. قال احمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط وأنا انظر، وكان معي شعرات من شعر النبي (ﷺ) مصرورة في ثوبي، فجردوني منه وصرت بين العقابين. فقلت: يا أمير المؤمنين الله الله، إن رسول

(١) نفس المصدر ص ٣٦٧.

الله (ﷺ) قال: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا الله إلا الله إلا بإحدى ثلاث وتلوث الحديث، فبم تستحل دمي ولم آت شيئا من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين الله كوقوفي بين يديك، فكأنه امسك. ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين انه ضال مضل كافر، فأمر بي فقمت بين العقابين وجيء بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي الخشبتين فلم افهم، فتخلعت يداي وجيء بالضرابين ومعهم السياط فجعل احدهم يضربني سوطين ويقول له: شد قطع الله يديك ويجي الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك، فضربوني اسواطا فأغمي علي وذهب عقلي مرارا، فإذا سكن الضرب على عقلي، وقام المعتصم يدعوني إلى قولهم فلم اجبه، وجعلوا يقولون: ويحك الخليفة على راسك، فلم اقبل، ثم دعاني فلم اجبه، فاعادو الضرب ثم جاء إلي الثالثة: فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري، وأمر بي فأطلقت، ولم اشعر إلا وأنا في حجرة من بيت[1]...

٧ ـ في هذا الشأن: عمل الوزير حامد بن العباس ـ وزير الخليفة المقتدر (٩٣٢م) على إلصاق تهمة الردة على الحسين بن منصور الحلاج (ولد في ٨٥٩م. صوفي شهير) ونجح في ذلك. قال ابن الأثير: فضرب ألف سوط فما تأوه، ثم قطعت يده، ثم رجله، ثم يده، ثم رجله، ثم قتل واحرق بالنار، فلما صار رمادا القي في دجلة ونصب الرأس ببغداد»[2]..

يقول أبو بكر الشبلي عن الحلاج(توفي ٩٣٦م): أنا والحلاج شي واحد فخلصني جنوني وأهلكه عقله.

٨ ـ جاء في رواية ابن كثير ما يلي: استتاب الخليفة القادر فقهاء المعتزلة، فاظهروا الرجوع، وتبروا من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذت خطوطهم بذلك، وإنهم متى خالفوا احل فيهم من النكال

(١) المصدر نفسه ص٣٦٨.

(٢) الكامل في التاريخ ج٧.

والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم، وامتثل محمود بن سبكتكين أمر الخليفة، واستن بسننه في بلاد خرسان وغيرها في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة، فصلبهم وحبسهم ونفاهم، وأمر بلعنهم على المنابر، وابعد جميع طوائف أهل البدع، ونفاهم عن ديارهم وصار ذلك سنة في الإسلام»[1].

إرهاب الحرب في العهدين الأموي والعباسي

ننقل صورا متعددة وذلك فيما يلي:

١ ـ نهاية حكم بني أمية وارتقاء آل العباس السلطة: تاريخ الطبري:على مائدة عبد الله بن علي ـ قائد جيوش أبي مسلم الخراساني ـ تجمع تسعون رجلا من بني أمية، فأمر عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا،وبسط عليهم الأنطاع، فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا.

وأمر عبد الله بنبش قبور بني أمية بدمشق: معاوية، ويزيد، وعبد الملك، لكنه وجد جثة هشام سليمة، لم يبل منها إلا انفه، فضربه وصلبه وحرقه، وذراه في الريح، وتتبع عبد الله بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم، ولم يفلت منهم إلا رضيع أو من هرب إلى الأندلس، فقتلهم في نهر أبي فطرس.. واستصفى كل شي لهم من مال وغير ذلك»[2].

«وقتل سليمان بن علي جماعة من بني أمية في البصرة، وأمر بهم فجروا بأرجلهم والقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب»[3].

٢ ـ نكبة البرامكة في عهد هارون الرشيد: كان البرامكة من أهم دعائم الحكم العباسي إلا أن هارون الرشيد «قتل جعفر البرمكي (وزير الخليفة) ودمر ديارهم، وأدرس آثارهم، وذهب بصغارهم وكبارهم، وروي أن الرشيد قطع رأس جعفر وصلبه وشقت جثته باثنين، وصلبت ثم حرقت بعد ذلك»[4].

٣ ـ زيد بن علي بن الحسين (رضي الله عنه) وابنه يحي: وهما قد خرجا على

---

(١) البداية والنهاية ج١٢ ص٦.

(٢) تاريخ الطبري ج٧ ص ٧٧- ٨٨.

(٣) المصدر نفسه ص٢٣١.

(٤) تاريخ الطبري ج٧ ص ١٨٩ ـ ١٩٨.

بني أمية، يروى في ما فعله به الامويين بهم بعد موتهم: قال سعيد بن هيثم: وكنا مع زيد في خمسمائة وأهل الشام اثنا عشر ألفا ـ وكان بايع زيدا أكثر من اثني عشر ألفا فغدروا ـ إذ فصل رجل من أهل الشام من كلب على فرس رائع فلم يزل شتما لفاطمة بنت رسول الله (ﷺ) فجعل زيد يبكي حتى ابتلت لحيته وجعل يقول: أما احد يغضب لفاطمة بنت رسول الله (ﷺ)؟ أما احد يغضب لرسول الله (ﷺ)؟ أما احد يغضب لله؟ قال: ثم تحول الشامي عن فرسه فركب بغلة.

وثبت زيد في أصحابه حتى إذا كان عند جنح الليل رمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فـ ل السهم في الدماغ فرجع ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للمساء والليل.

قال ابومخنف: فحدثني سلمة بن ثابت وكان من أصحاب زيد وكان آخر من انصرف عنه هو وغلام لمعاوية بن إسحاق، قال: أقبلت انا وأصحابي نقتفي أثر زيد فنجده قد دخل بيت حران بن أبي كريمة في سكة البريد في دور ارحب وشاكر فدخلت عليه فقلت له جعلني الله فداك أبا الحسين وانطلق ناس من أصحابه فجاؤا بطبيب يقال له سفيان مولى لبني دواس.

فقال له: إنك إن نزعته من رأسك مت قال: الموت أيسر علي مما أنا فيه.

قال: فأخذ الكلبتين فانتزعه فساعة انتزاعه مات صلوات الله عليه.

قال القوم: أين ندفه؟ وأين نواريه؟ فقال بعضهم نلبسه درعين ثم نلقيه في الماء.

وقال بعضهم: لا بل نحتز رأسه ثم نلقيه بين القتلى.

قال: فقال يحيى بن زيد: لا والله لا يأكل لحم أبي السباع.

وقال بعضهم نحمله إلى العباسية فندنه فيها.

فقبلوا رأيي.

قال: فانطلقنا فحفرنا له حفرتين وفيها يومئذ ماء كثير حتى إذا نحن مكنا له دفناه ثم أجرينا عليه الماء ومعنا عبد سندي.

قال سعيد بن هيثم في حديثه: عبد حبشي كان مولى لعبد الحميد الرؤاسي وكان معمر بن هيثم قد اخذ صفقته لزيد وقال يحيى بن صالح: هو مملوك لزيد سندي وكان حضرهم.

قال ابومخنف عن كهمس قال: كان نبطي يسقي زرعا له حين وجبت الشمس فرآهم حيث دفنوه، فلما أصبح أتى الحكم بن الصلت فدلهم على موضع قبره فسرح إليه يوسف بن عمر، العباس بن سعيد المري.

قال ابومخنف: بعث الحجاج بن القاسم فاستخرجوه على بعير.

قال هشام فحدثني نصر بن قابوس قال: فنظرت والله إليه حين اقبل به على جمل قد شد بالحبال وعليه قميص اصفر هروي فألقي من البعير على باب القصر فخر كأنه جبل.

فأمر به فصلب بالكناسة، وصلب معه معاوية بن إسحاق، وزياد الهندي ونصر بن خزيمة العبسي.

فحدثني الحسن بن علي الآدمي قال: حدثنا ابوبكر الجبلي قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن العنبري قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا الوليد بن محمد الموقري قال: كنت مع الزهري بالرصافة فسمع أصوات لعابين.

فقال لي: يا وليد، أنظر ما هذا فأشرفت من كوة في بيته فقلت: هذا رأس زيد بن علي فاستوى جالسا ثم قال: أهلك أهل هذا البيت العجلة.

فقلت: أو يملكون؟ قال أبومخنف: حدثني موسى بن أبي حبيب: انه مكث مصلوبا إلى أيام الوليد ابن يزيد، فلما ظهر يحيى بن زيد كتب الوليد إلى يوسف: «أما بعد.

فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فاحرقه وانسفه في اليم نسفا والسلام».

فأمر به يوسف ـ لعنه الله ـ عند ذلك خراش بن حوشب. فأنزله من جذعه فأحرقه بالنار، ثم جعله في قواصر ثم حمله في سفينة ثم ذراه في الفرات.

حدثني الحسن بن عبد الله قال: حدثنا جعفر بن يحيى الازدي قال: حدثنا محمد بن علي ابن أخت خلاد المقري، قال: حدثنا أبو نعيم الملائي عن سماعة

بن موسى الطحان قال: رأيت زيد بن علي مصلوبا بالكناسة فما رأى احد له عورة استرسل جلد من بطنه من قدامه ومن خلفه حتى ستر عورته.

حدثنا ابوالفرج علي بن الحسين قال: حدثني ابوعبيد الصيرفي قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال: حدثنا سهل بن عامر قال: حدثنا جعفر الأحمر قال: رأيت يحيى بن زيد مصلوبا على باب الجوزجان.

قال عمر بن عبد الغفار عن أبيه: فبعث برأسه إلى نصر بن سيار فبعث به نصر إلى الوليد بن يزيد، فلم يزل مصلوبا حتى اذا جاءت المسودة فأنزلوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ثم دفنوه فعل ذلك خالد بن إبراهيم ابوداود البكري وحازم بن خزيمة وعيسى بن ماهان.

٤ ـ قال الحاكم أبا احمد محمد بن محمد بن إسحاق الانماطي النيسابوري بإسناد متصل ذكره: انه لما بني المنصور الأبنية ببغداد، جعل يطلب العلوية طلبا شديدا، ويجعل من ظفر به منهم في الاسطوانات الـوفة المبنية من الجص والأجر، فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه، عليه شعر اسود، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فسلمه إلى البناء الذي كان يبني له وأمره أن يجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه، ووكل به من ثقاته من يراعي ذلك، حتى يجعله في جوف اسطوانة بمشهده! فجعله البناء في جوف اسطوانة، فدخلته رقة عليه ورحمة، فترك في الاسطوانة فرجة يدخل منها الروح. وقال للغلام: لا باس عليك، فاصبر فاني سأخرجك من جوف هذه الاسطوانة إذا جن الليل ! ولما جن الليل جاء البناء في ظلمته واخرج ذلك العلوي من جوف تلك الاسطوانة. وقال له: اتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغيب شخصك وانج بنفسك، فاني إنما أخرجتك في ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الاسطوانة لأني خفت أن تركتك فيها أن يكون جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم القيامة خصمي بين يدي الله عز وجل ثم قال له: غيب ولا ترجع إلى أمك. قال الغلام: فان كان هذا هكذا فعرف أمي أني قد نجوت وهربت لتطيب نفسها ويقل جزعها وبكاؤها أن لم يكن لعودي إليها وجه!. فهرب الغلام ولا يدري أين يقصد من ارض الله ولا أي بلد يقع !!

قال ذلك البناء: وقد كان الغلام عرفني مكان أمه وأعطاني العلامة شعره، فانتهيت إليها في الموضع الذي كان قد دلني عليه، فسمعت دويا كدوي النحل من البكاء، فعلمت أنا أمه، فدنوت منها وعرفتها خبر ابنها وأعطيتها شعره، وانصرفت[1].

٥ ـ في العام (٨٥١) أمر المتوكل بدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من لمنازل والدور ونودي في الناس بمنعهم عن ألي إلى المكان»[2].

٦ ـ بعض ما جاء عن البرامكة: في العام ٩٠٣م هزم يحي القرمطي المعروف بالشيخ جيشا للعباسيين في دمشق، لكنه قتل، فاجتمع ما بقي من القرامطة حول أخيه الحسين، وأجابه أكثر أهل البوادي، فاشتدت شوكته، وسار إلى دمشق فقيض خراجا، وانصرف عنهم، ثم سار إلى حمص فصالحهم، ثم إلى حماة فقتل أهلها ـ النساء والصبيان ـ ثم إلى بعلبك فقتل أهلها، ثم إلى سلميه فصالح سكانا، إلا انه قتل كل بني هاشم والبهائم والصبيان، وسبي وقتل وأخاف في القرى التي حول سلمية، فاستفحل أمره إلى أن استطاع بدر ـ مولى بن طولون ـ أن يهزمه ويقتل من أصحابه خلقا كثيرا»[3].

(وفي العام ٩٠٤ انزم القرامطة وقتل منهم خلق كثير واسر كثيرون منهم، ولم ينج إلا القليل،واسر أميرهم، فاستقدم الخليفة المكتفي في بغداد جماعة من أعيان القرامطة ورؤؤسهم في العراق فقطع أيديهم وأرجلهم وضرب أعناقهم، أما بالنسبة لأبي الشامه فقد قطع يديه ووضع على خواصره خشبا مشتعلة ثم ضرب عنقه ورفع رأسه على خشبة ونصبت على الجسر)[4].

٧ ـ في العام ٧٤٥م انتفض أهل حمص على الخليفة الأموي مروان بن محمد فقاتلهم وقتل عامة من خرج عليه وصلب خمسمائة من القتلى حول

---

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص ٣٠٧.

(٢) البداية والنهاية ج١١ ص٥.

(٣) الكامل في التاريخ ج٦ ص٤٠٩.

(٤) نفس المصدر السابق.

المدينة وكذلك فعل أهل الغوطة في دمشق فاستباح مروان عسكرهم واحرق المزة وكذلك فعل في أهل فلسطين بقيادة ثابت بن نعيم فانتصر عليهم أصحاب مروان فأسروا ثابت مع أولاده الثلاثة فقطعت أيديهم وأرجلهم ثم صلبوا على باب دمشق[1].

٨ ـ الافشين: وهو من أهم قواد المعتصم اتهم انه ساعد المازيار في العام ٢٢٤هـ -٨٣٩م وروي أن المازيار قد اعترف عليه فقبض على الافشين وحوكم وسجن إلى أن توفي في الحبس في العام ٨٤١م فأمر به المعتصم فصلب ثم احرق ثم ذري رماده في دجله[2].

٩ ـ يروى أن غيلان الدمشقي المعتزلي كتب إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز منتقدا الإسراف والإسفاف من أفراد البيت الأموي فكلفه الخليفة بمهمة الإشراف على بيع الثروات المصادرة من الأسرة الأموية الحاكمة في مزاد علني فيقف غيلان قائلا: تعالوا إلى متاع الخونة تعالوا إلى متاع الظلمة.. وبعد تولي هشام بن عبد الملك أمر به فقطعت يديه ورجليه ولسانه وصلب على باب دمشق) [3].

١٠ ـ يقول طه حسين: «فقد أرادت الظروف ألا يستطيع العرب منذ ظهور الإسلام أن يخلصوا من هذين المؤثرين (الدين والسياسة) في لحظة من لحظات حياتهم في القرنين الأول والثاني.. إن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كان يؤثر العصبية على كل شي وقد ارتكب وقعة الحرة التي انتهكت فيها حرمات الأنصار في المدينة والتي انتقمت فيها قريش من الذين انتصروا عليها في بدر والتي لم تقم للأنصار بعدها قائمة ولا أمر. ما يقول الرواة حين يقصون وقعة الحرة انه قتل فيها ثمانون من الذين شهدوا بدرا أي من الذين أذلوا قريشا»[4].

---

(١) الكامل في التاريخ ج٥ ص٣ـ ٤.
(٢) الطبري ج٩ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
(٣) الردة في الإسلام ص ٢٨٧.
(٤) الردة في الإسلام ص١٩٨.

يقول الأستاذ حسن الغريب: أصبح من الواضح أن العلاقات بين رجال السلطة كانت مشوبة بالحذر والشك فلا صداقات دائمة ولا عداوات دائمة، لم تكن تربطهم أية مواثيق دينية أو أخلاقية، فالسلطة كانت أساسا لا غنى عنها في سبيل امتلاك الثروة، ومواطن الثروة كانت في إيرادات الأمصار، وامن الأمصار كان أمنا للثروة وتأمينا عليها، كانت الشعوب العاملة في الأمصار قاعدة لإنتاج الثروة، لذا كان التسابق يتم على قدم وساق في سبيل المحافظة على امن السلطة بدءا بالخلافة انتهاء بإمرة الجيوش والحظوة بإمرة مصر من الأمصار، مرورا بالتسابق على كرسي الوزارة أو رئاسة الدواوين وكان السيف والقوة أداة السلطة وأمانا لاستمرارها، فمن خضع طائعا لأولي الأمر كانت حياته في مأمن ومن لم يخضع فكان السيف خير المؤدبين، وقلما كان السيف يستريح في غمد.

فإذا ما قمنا بفتح كتب التراث لشعرنا بأنفسنا تنقطع ونحن ننتظر السنة التي لا نقرا فيها عن حدوث فتنة أو أكثر، فتنة تذهب ضحاياها بالآلاف، فتنقطع الأنفاس ولا تجد محطة تستريح فيها من متابعة أخبار الفتن والقتل والسبي وقطع الأيدي والأرجل والرؤؤس، فلا يهنا بال الخليفة أو وزير أو عامل على مصر من الأمصار إذا لم يتوج انتصاراته بالرؤؤس المقطوعة والأرجل المبتورة والبطون المبقورة...

اقتتل الأخ مع أخيه، والعم مع ابن الأخ،وابن العم مع ابن عمه.

اقتتل الخليفة مع وزرائه وتآمر الوزراء على الوزراء.

اقتتل الخليفة مع عماله على الأمصار، واقتتل العمال مع العمال.

اقتتل الخليفة مع التأثرين على ظلمه، واقتتل الثوار مع الثوار.

نهب الخليفة جميع الموارد ووزعها على قصوره وأهله وحاشيته.

ونهب الوزراء الواسطة بين الناهب والمنهوب واتخموا.

نهب العمال على الأمصار ـ أداة القمع المباشر ـ وتربعوا على عروش من الجماجم المبولة بالدم والعرق.

ضاعت الخلافة وأصبحت الغاية امتلاكا للسلطة بأي غطاء أو أي ستار

في سبيل امتلاك المال وأصبحت الخلافة التي أرادها المسلمون أداة لفرض الشريعة السماوية في سبيل خير البشر عبئا على الشريعة وعلى البشر معا[1]...

ظاهرتي الإرهاب والتعصب في مجتمعات الأنبياء (عليه السلام)

لم تخلوا المجتمعات القديمة في عصور ما قبل وما بعد الميلاد من ظاهرتي الإرهاب والتعصب، والأنبياء السماويين واجهتهم التيارات الحاكمة في مجتمعاتهم بممارسات إرهابية أدت إلى قتل العديد منهم في نهاية الأمر، كما واجه الأنبياء ذهنية سائدة وقيم متداولة يتعصب لها الفرد ويستغلها البرجوازيون الحاكمون من اجل محاربة المناهج الإصلاحية التي يحملها النبي المرسل، ذلك أن البرامج الإصلاحية النبوية تحمل في طياتها إزاحة أفراد الطبقات الحاكمة عن مواقع القيادة والسيطرة وانحسار امتيازاتها المالية وسلطاتها الاجتماعية لصالح الطبقات المعدمة والمهمشة، لذلك كان رد فعلها متسما بالعنف باعتباره حلا سريعا وناجعا لصراع لو انه تم في أجواء من السلم الأهلي والإرادة الحرة لكان في غير صالح الأفراد الحاكمين والمرتبطين بهم.

لم يكن النبي قادرا على مواجهة سياسة الإرهاب والبطش والتعصب المقيت للقيم الحاكمة والدين الوثني القائم فقد كانت دعوته سلمية الطابع والحركة، ولم يكن النبي وأتباعه قادرين على خوض مواجهة عسكرية من خلالها يحققون أهدافهم ويفرضون دين التوحيد كنظام ارتكازي في مجتمعاتهم الوثنية، لذلك فان الأنبياء عادة ما يلجئون إلى قو ة السماء المطلقة في حسم الصراع،بالدعاء على القوم الذين يقفون عائقا أمام دعوة التوحيد، ليتسنى لهم بعد نزول العذاب وهلاك المعاندين إرساء دعائم النظام الجديد.

تتضح الصورة من خلال آيات القرآن الكريم، يقول عز وجل عن نبي الله إبراهيم (عليه السلام):

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

---

(١) الردة في الإسلام ص ٢١٣- ٢١٤.

وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التمَاثِيلُ الِتي أَنْتمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنْتمْ أَنْتمْ وَآَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَق أَمْ أَنتَ مِنَ اللاعِبِينَ ۞ قَالَ بَل رَبكُمْ رَب السمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الذِي فَطَرَهُن وَأَنا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشاهِدِينَ ۞ وَتَاللهِ لأَكِيدَن أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنهُ لَمِنَ الظالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ الناسِ لَعَلهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنكُمْ أَنْتمُ الظالِمُونَ ۞ ثُم نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُركُمْ ۞ أُف لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتمْ فَاعِلِينَ﴾[1].

وعن قوم شعيب يقول عز وجل: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِني أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِني أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ۞ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا الناسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۞ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرشِيدُ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَينَةٍ مِنْ رَبي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا

(١) سورة الأنبياء - ٥١ - ٦٨.

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۞ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۞ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۞ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[1].

وعن قوم نوح يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۞ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[2].

وعن ميل تلك المجتمعات إلى السلف من آبائهم، يقول القرآن الكريم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[3].

﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾[4].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ

---

(١) سورة هود ٨٣ ـ ٩٠.

(٢) سورة هود آية ٢٤ ـ ٢٧.

(٣) سورة الأعراف آية ٧٠ ـ ٧١.

(٤) سورة هود آية ١٠٨ ـ ١٠٩.

أنْ تَصُدونَا عَما كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾(1).

﴿تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدكُمْ عَما كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلْحَق لَما جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(2).

يقول القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا إِن اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَق وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا قَدمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَن اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ الذِينَ قَالُوا إِن اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَينَاتِ وَبِالذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(3).

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُم اتخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَينَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾(4).

في الآيتين أعلاه يقف أصحاب السلطة والنفوذ في مواجهة الأنبياء، يعرفهم علم الاجتماع عادة بـ«الطبقة البرجوازية»، ويحفل القرآن الكريم بذكر هذا الأمر حتى اتخذ ذلك طابعا وميزة من ميزاته الفكرية الفريدة، ومن الأنبياء الذين خاضوا غمار المواجهة مع أعلى سلطة سياسية واجتماعية وعسكرية في أزمانهم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في مقابل الملك نمرود، ونبي الله موسى في مواجهة فرعون مصر الذي ادعى بأنه اله في الأرض، يقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَاج إِبْرَاهِيمَ فِي رَبهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِن اللهَ يَأْتِي بِالشمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ

(1) سورة إبراهيم آية ٩.
(2) سورة سبا آية ٤٣.
(3) سورة آل عمران آية ١٨٠.
(4) سورة النساء آية ١٥٢.

الظَالِمِينَ﴾[1].

وانتهى الجدال بين إبراهيم وقومه بان رموه في حفرة مشتعلة انتقاما منه وانتصارا لآلهتهم، قال تعالى : ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2].

إبراهيم النبي لم يقم بأي عمل عدائي تجاه سلطة النمرود والدين السائد في قومه، ودعا إلى دينه بالحسنى إلا أن النمرود والنظام الاجتماعي قابله بالبطش والإرهاب والتعصب.

وفي ذم القرآن الكريم لبني إسرائيل كمثال بارزا على ممارستهم الإرهاب والتعصب ترصد العديد من الآيات منها ما يلي:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨.

(٢) سورة الأنبياء ٦٠ ـ ٦٩.

مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدونَ إِلَى أَشَد الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَما تَعْمَلُونَ ۞ أُولَئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَففُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَينَاتِ وَأَيدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَما جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا فَلَما جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنزلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَق مُصَدقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

برغم المعجزات والكرامات التي جاء بها الأنبياء لاسيما نبي الله موسى (عليه السلام) لم يزدد بنوا إسرائيل إلا تعصبا وإرهابا وابتعادا عن الجادة، لم يسلموا أنفسهم وعقولهم وأرواحهم لهدي الله اله ل على عبده واتخذوا العجل من دونه، قال تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَني فَضلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَاتقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۞ وَإِذْ نَجيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ

(١) سورة البقرة ٨٢ ـ ٩١.

فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُم اتخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۞ ثُم عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنهُ هُوَ التوابُ الرحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُم بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَن وَالسلْوَى كُلُوا مِنْ طَيبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(1).

ولعل المحاورة التي جرت بين موسى وهارون تعبر عن هذه الحقيقة بكل وضوح عندما أجاب هارون على عتاب موسى له بعدم منعهم من عبادة العجل : ﴿وَلَما رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُم إِن الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظالِمِينَ﴾(2).

لم يكن الأنبياء (عليهم السلام) يمتلكون القدرة الواقعية على محاربة مخالفيهم ونشر رسالتهم، وفي هذا يسجل القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدل على دعاء الأنبياء على أقوامهم تارة وحلول غضب الله عليهم تارة أخرى، منها ما يلي

١ ـ ﴿فَأَما عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَق وَقَالُوا مَنْ أَشَد مِنا قُوةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَن اللهَ الذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَد مِنْهُمْ قُوةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۞

---

(١) سورة البقرة ٤٦ ـ ٥٧.

(٢) سورة الأعراف ١٥٠.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾(١).

٢ـ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢).

٣ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٣).

٤- ويستعرض القران الكريم ما جرى على ابره ة الحبشي عندما أراد غزو مكة المكرمة وهدم الكعبة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾(٤).

صور من إرهاب وتعصب الكنيسة المسيحية

كان للكنيسة المسيحية في العصور الوسيطة دورا مركزيا في كبت الحريات العلمية والفلسفية والفكرية والدينية والاجتماعية والتضييق على حركة التطور والعمران الإنساني في أوربا، وعبر محاكمها الدينية حكمت على بالموت شنقا وحرقا على الآلاف من الرجال و النساء من أناس عاديين ومفكرين وفلاسفة وعلماء في الطبيعة والفلك والطب بدعوى المروق عن الدين والردة عن المسيحية، ومخالفة المسلمات الدينية، فعلى سبيل المثال في عام ١٤٥٢م – ٨٥٦هـ أسست في روما على يد البابا بولس الثالث لجنة دعيت ب اللجنة المقدسة، وتألفت من ٦ كرادلة يرأسهم البابا بنفسه، ومهمتها الأساسية رصد المناوئين للديانة المسيحية، والحكم عليهم بما يتناسب وحجم جرائمهم، وانبثق

---

(١) سورة فصلت ١٥ـ١٦.

(٢) سورة فصلت ١٧.

(٣) سورة الفرقان ٣٧.

(٤) سورة الفيل.

منها في العام ١٥٥٩م – ٩١٦هـ لجنة سميت بـ«لجنة التنبيث» ووظيفتها تنظيم قائمة بعناوين الكتب المحرم قراءتا، وأحرقت كميات ضخمة منها.

في عام ١٤٧٨م، عينت محكمة التفتيش الديني في اسبانيا لجنة مكونة من ستة قسيسين للتحقيق في تم المروق ومخالفة الدين المسيحي، تقوم اللجنة بتشجيع الدين يعترفون بتهم يطلق عليها «الهرطقة» أثناء عفو عام، وذلك بفرض غرامة مالية أو كفارة، ثم يصفح عنه شرط إعلانه التوبة وان يقول كل ما يعرفه عن هراطقة آخرين.

وإذا ما اقتنعت المحكمة بإدانة شخص فإنا تأمر بالقبض عليه، وتبقيه مقيدا بالسلاسل وتمنع عنه الزيارة ولا يبلغ بالتهم الموجهةاليه حتى يجبر على الاعتراف بتهم تحددها المحكمة، فإذا ما اعترف يخلى سبيله وأما إذا أبى فانه في أحيان كثيرة يعذب ليكره على الاعتراف ويسمح له باختيار محامين للدفاع عنه.

إلا أن المحكمة كانت تفرض عقوبة الإعدام ضد صاحب الهرطقة الكبير، ومن الأحكام التي سجلها التاريخ

- في عام ١٤٨٣ إلى ١٤٨٦م احرق ٥٢ شخص، وأحرقت رفات ١٦٥٠ شخص ممن أعلنوا التوبة، وصودرت أموال حوالي ألف شخص، وعوقب ١٨٣ تائبا.
- بلغ عدد الضحايا عام ١٤٨٠-١٥٠٨م ٣١١٢ شخص حكم عليهم بالموت حرقا، وعوقب ٢٩١٤٨٤ بعقوبات مختلفة.

وكان بعض المفتشين يعانون من أمراض نفسية سادية إذ حكم احدهم في يوم واحد من عام ١٤٣٩م على ١٨٠ شخصا بالحرق أحياء.

ومن المعروف أن محاكم التفتيش الكنسي في اسبانيا اقل صرامة من سائر محاكم التفتيش في سائر أوربا، ففي القرن السادس عشر الميلادي اقر المذهب الانجيليكاني في انجلترا و شنت حملات واسعة ضد أتباع المذهب الكاتلوكي، واصدر البابا بيوس الخامس في أوربا مرسوما في عام ١٥٧٠م يحرم فيه الملكة اليزابيت من دخول الكنيسة، ويحل رعاياها من الولاء له، وسن القضاء

الانجليزي قوانين صارمة جدا ضد أتباع المذهب الكاثلوكي تصل إلى الإعدام شنقا، وكل شخص تثبت ضده تهمة عدم حضور الصلوات الانجليكانية يعاقب بدفع غرامة تقدر بعشرين جنيها في الشهر.

في مقاطعة برناتيا الفرنسية في أواخر القرن الثاني عشر ظهر مصلحان الأول يدعى (أموري البيناوي) والثاني (داوود الديناتي) وكانا معارضين للعديد من عقائد الكنيسة، فشكلت الأخيرة محكمة عاجلة وحكمت عليهما بالحرق، فهربا حتى ماتا متواريان، فأمرت الكنيسة بنبش قبريهما وإحراق رفاتهما.

وظهر في روما فيلسوف يدعى جورد انوبرونو وكان من أبناء الكنيسة ورجالها إلا انه نادى بان تسلم الكنيسة بالحقائق العلمية الدامغة ونبذ التشدد والتعاطي من علماء الطبيعة ورواد الفلسفة وعدم محاربة حرية الرأي والفكر الإبداع، فتصدت له الكنيسة واتهم بالمروق واحرق في مدينة روما.

في عام ١٤١٥م كفر الراهب البوهيي الدكتور (جون هيس) واحرق بالنار لفكره المنفتح ولمخاطبته العوام بلغة البوهمية عوضا عن اللاتينية لغة الكنيسة، واحرق عام ١٥١٢ في مدينة لاهاي الراهب الهولندي هرمان فان ريزويك لتبنيه مبادئ أرسطو الفلسفية وفلسفة الفيلسوف العربي ابن رشد.

ويقدر بعض المؤرخين أن عدد ضحايا الكنيسة الأوربية في العصور الوسيطة بلغ ٣٠٠٠٠ احرق منهم ٢٢٠٠٠ وهم أحياء.

ولم يقتصر التعصب والإرهاب الذي مارسته الكنيسة على أعدائها التقليديين إذ سرعان ما استفحل الداء داخل أروقتها ومؤسساتها المذهبية والعقائدية، ففي عاصمة المسيحية روما حدث تنازع على كرسي البابوية بين الرموز والأعوان فقتل في يوم واحد ١٣٧ شخص

ظهر في القرن الرابع الميلادي لنسطوريوس مبشرا بان مريم العذراء ليس أم الطبيعة الإلهية في المسيح بل أم الطبيعة البشرية ـ لذلك فقد ارتئ أن للمسيحيين القول بان مريم أم للمسيح لا أم لله ـ وكان في ذلك يرد على إحدى العقائد المسيحية التي تقول بان إذا كان المسيح إلها كانت مريم قد حملت في الله أي أنها أم الله ولما طلب منه العودة عن آرائه لم يفعل فصدر أمر

بعزله وحرم من دخول الكنيسة، وقامت تظاهرات صاخبة ضده ورحل إلى انطاكيه وبعد وفاته شيد أتباعه كنائس في شرقي سوريا وانشئوا مدرسة سميت ب (الرها) وانكبوا على ترجمة الفلسفية اليونانية، ولما اضطهدهم الإمبراطور زينون انتقلوا إلى فارس وانشئوا مدرسة نصيبين.

في القرن الخامس الميلادي أعلن اوتيوكوس رئيس دير قريب من القسطنطينية أن المسيح ليس له طبيعتان بشرية وإلهية وإنما طبيعة واحدة هي الطبيعة ألاهية ولكن بطريق القسطنطينية أنكر عليه ذلك ودعا إلى اجتماع محلي كانت نتيجته أن حرم اوتيكوس من المسيحية واصدر مجلس آخر في العام ٤٣٩م قرارا يلعن فيه كل من يقول بوجود طبيعة واحدة للمسيح.

صور من الإرهاب والتعصب في المجتمعات الإسلامية

الصراع السياسي والديني يولد في الغالبية العظمى من الأحيان حالة من التأثر والاستنفار لدى العامة، ويحولها إلى تيار ضاغط باتجاه التصعيد والتوتر، ذلك أن العامة تتعاط مع الأحداث من خلال النظم الاجتماعية والقيم السائدة، والأفكار المتداولة، إن العقل الجماعي عادة عقل تقليدي، متحجر غير قادر على التطور والارتقاء، على النقيض تماما من العقل الفردي، و يترك العامة في الغالبية العظمى من الأحيان التصريف الواقعي للأمور والتفكير العقلي الموضوعي المتزن للقادة السياسيين أو الروحيين الذين لا يستطيعون عادة مواجهة ضغط الرأي العام المساند لهم، فيقرون ما يقره العامة حفاظا على مراكزهم القيادية سواء كانت زمنية أو شرعية.

لم يخلوا المجتمع الإسلامي العربي من عواطف هوجاء وتبعية عمياء، طالت كافة أوجه النشاط المدني،، فكان أن اعترت الحياة الاجتماعية العديد من الصراعات الدموية ذات الارتكاز الديني والعقائدي دون وقوف أيا من السلطتين الدينية والسياسية بوجه منطلقاته وبواعثه.

انه صراع مستمر منذ وفاة النبي (ﷺ) إلى يومنا هذا، ولعل من أهم أسباب عدم توقف طوفانه المزلل عدم قدرة الأمة على خلق نظام سياسي

واجتماعي تتعايش فيه كافة الطوائف بأمان، وهو ما يعرف بالمفهوم المعاصر بدولة القانون والمؤسسات والحريات العامة، والتمع الإنساني المتمدن والحضاري، الذي تنعدم فيه ظواهر كالإرهاب والتعصب في معظم مناهل النشاط الفردي والجماعي.

وفي عصرنا الراهن وكاستمرار للقرون الماضية تتربع على مقاليد الحكم أنظمة

شمولية تستأثر بالسلطة والثروة وليس من أجندتا السلم الأهلي والوئام ما بين طوائف الشعب.

بل أن إيقاظ الفتن الطائفية والمذهبية يصب في العديد من الأحيان في صالح تلك الأنظمة سواء في السابق أو في عصرنا الراهن، حتى يشتغل الشعب بتوافه الأمور، وبقضايا ليس لها اثر في الواقع الخارجي، بينما تتفرد الأنظمة الحاكمة بالسلطة المطلقة،والثروة الوفيرة، بينما يقبع الشعب في الذل والمهانة وتستنزف طاقاته الخلابة في المشاحنات الطائفية والعقائدية، ثم إن تلبد المحافل الأهلية بالصراعات الطائفية يجعل طوائف الشعب بحاجة إلى حماية الدولة الشمولية المتسلطة، مما يعزز من سلطتها في الداخل، في الوجيز التالي صور معبرة من الماضي الذي ما يزال يستحكم في كافة أوجه حياة الأمة الإسلامية في العصر الحديث:

يقول سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٣م: «وأتى جماعة إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام فنهبوه وأخذوا ما فيه وأخرجوا جماعة من قبورهم فأحرقوهم مثل العوني الشاعر والناشئ والحدوجي وطرحوا النار في ضريح موسى ومحمد فاحترق الضريحان والقباب الساج، وحفروا ضريح موسى ليخرجوه ويدفنوه عند الإمام أحمد بن حنبل»(١).

وجاء في مرآة الزمان: «وفي صفر كبست دار أبي جعفر الطوسي فقيه الشيعة بالكرخ، وأخذ ما فيها من الكتب وغيرها وكرسي كان يجلس عليه

(١) الكامل في التاريخ ج٩ ص ٥٧٧.

للكلام ومناجيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديماً يحملونا معهم إذا قصدوا زيارة المشهدين، فأحرق الجميع في سوق الكرخ... وفي ٨ ربيع الآخر عاد جماعة إلى موسى بن جعفر فصعد رجل منهم على الضريح وقال: يا موسى بن جعفر إن كنت تحب أبا بكر وعمر فرحمك الله وإن كنت تبغضهما ف... ».

يقول ابن كثير في حوادث سنة ٣٤٥: «وقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب المذهب وكان سببها أنه قيل: عن رجل قمي أنه سب بعض الصحابة وكان من أصحاب شحنة أصفهان فثار أهلها واستعانوا بأهل السواد فاجتمعوا في خلق لا يحصون كثره، وحضروا دار الشحنة وقتلوا من الشيعة خلقا كثيراً»[1].

سنة ٤٠٧ ـ قال ابن الأثير: «في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد إفريقيا، وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى في القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون لـه فاجتاز جماعة فسأل عنهم، فقيل لـه: هؤلاء روافض يسبون أبا بكر وعمر فقال: رضي الله عن أبي بكر وعمر. فانصرفت العامة من فورها إلى درب المقلى من القيروان. وهو مكان يجتمع فيه الشيعة فقتلوا منهم، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب، وانبسطت أيدي العامة في الشيعة وأغراهم عامل القيروان وحرضهم، وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده فقتل من الشيعة خلقاً كثيراً واحرقوا بالنار، ونبت ديارهم وقتلوا في جميع افريقية، واجتمع جماعة منهم إلى قصر المنصور قريب القيروان، فتحصنوا به فحصرهم العامة، وضيقوا عليهم، فاشتد عليهم الجوع فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونم حتى قتلوا عن آخرهم، ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع فقتلوا كلهم»[2].

سنة ٣٥٣ ـ: «في العاشر منها عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم

(١) البداية والنهاية ج١١ ص ٢٢٤..

(٢) البداية والنهاية ج١٢ ص ٥.

في السنة الماضية، اقتتل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتالاً شديداً وانتهبت الأموال»[1].

سنة ٣٦١ ـ : «في عاشر من المحرم منها عملت الروافض بدعتهم كما تقدم، وفي المحرم منها أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر فقتلوا خلقاً من أهل الرها، وساروا في البلاد كذلك يقتلون إلى أن وصلوا نصيبين، ففعلوا ذلك ولم يغن عن تلك النواحي أبو تغلب بن حمدان واليها شيئاً ولا دافع عنهم ولا لـه قوة فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد وأرادوا أن يدخلوا على الخليفة فلم يمكنهم ذلك. وكان بختيار بن معز الدولة مشغولاً بالصيد، فذهبت الرسل وراءه فبعث الحاجب يستنفر الناس، فتجهز خلق كثير من العامة وكتب إلى تغلب أن يعد الميرة والإقامة فأظهر السرور والفرح ولما تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهم وبين الروافض وأهل السنة وأحرق أهل السنة دور الروافض في الكرخ وقالوا: الشر كله منكم»[2].

سنة ٣٦٣ ـ : «فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنيعة على عادة الروافض ووقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض، وكلا الفريقين (قليل عقل) أو عديمه بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير وقالوا: نقاتل أصحاب علي. فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير وعاث العيارون في البلد فساداً ونهبت الأموال ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت الفتنة»[3].

سنة ٤٢٢ ـ : «فيها كانت وقعت عظيمة بين السنة والروافض فقويت عليهم السنة وقتلوا خلقاً منهم ونهبوا الكرخ ودار الشريف المرتضى ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض وتعدى النهب إلى دور كـثيرة وانتشرت الفتنة جـداً ثـم سكـنت بعـد

(١) البداية والنهاية ج١١ ص٢٨٦.
(٢) نفس المصدر ص ٣٠٧.
(٣) نفس المصدر ص ٣١٢..

ذلك»[1].

سنة ٤٤٣ ـ : «في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر، فأنكرت السنة أقران علي مع محمد (ﷺ) في هذا فنشبت الحرب بينهم واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول فقتل رجل هاشمي فدفن عند الإمام أحمد ورجع السنة من دفنه، فنهبوا مشهد موسى بن جعفر، وأحرقوا ضريح موسى ومحمد الجواد، وقبور بني بويه وقبور من هناك من الوزراء، وأحرق قبر جعفر بن المنصور ومحمد الأمين وأم زبيدة، وقبور كثيرة جداً، وانتشرت الفتنة وتجاوزوا الحدود وقد قابلهم أولئك الروافض أيضاً بمفاسد كثيرة وبعثروا قبوراً قديمة وأحرقوا من فيها من الصالحين حتى هموا بقبر الإمام أحمد فمنعهم الرقيب وخاف غائلة ذلك، وتسلط على الرافضة عيار يقال لـه القطيعي كان يتبع رؤوسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيلة وعظمة المحنة بسبب ذلك»[2].

سنة ٤٤٨ ـ : «وفيها ألزم الروافض بترك الآذان بحي على خير العمل وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح وبعد حي على الفلاح بالصلاة خير من النوم مرتين وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ينشدون القصائد التي فيها مدح الصحابة، وذلك لأن نوء الروافض قد اضمحل لأن بني بويه كانوا حكاماً وكانوا يقوونهم وينصرونهم فزالوا وبادوا وذهبت دولتهم، وجاء بعدهم قوم آخرون من أتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم، والله المحمود إذا على طول المدى، وأمر رئيس الرؤساء بقتل أبي عبد الله الجلاب شيخ الروافض لما تظاهر به من الرفض والغلو فيه فقتل على باب دكانه وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره»[3].

---

(١) نفس المصدر ج١٢ ص ٣٩.
(٢) نفس المصدر ص ٧٩.
(٣) نفس المصدر السابق ج١٢ ص ٨٦.

ـ «وقعت في بغداد في العام ١١٢٠م ٥١٤ فتنة بين الحنابلة والشافعية اضطر معها احد فقهاء الشافعية لان يترك بغداد من اجل إطفاء الفتنة»(١).

ومن متفرقات السير والأخبار ننقل ما يلي:

١ ـ عن «الاعتصام» رواه عن ابن العربيّ قال ابن العربيّ: كان شيخنا أبو بكر الفهريّ يرفع يدَيه عند الركوع، وعند رفع الرأس منه، وهو مذهب مالك والشافعيّ، وتفعله الشيعة، فحضر عندي يوماً في مَحْرَس أبي الشعْراء بالشغْر موضع تدريسي، عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور، فتقدّم إلى الصفّ الأوّل، وأنا في مؤخّره قاعداً على طاقات البحر، أتنسّم الريح من شدّة الحرّ، ومعي في صفّ واحدٍ (أبو تمنة) رئيس البحر وقائده، في نفر من أصحابه ينتظر الصلاة، ويتطلّع على المراكب.

فلمّا رفع الشيخ الفهريّ يدَيه في الركوع وفي رفع الرأس منه، قال أبو تمنة وأصحابه: ألا ترى إلى هذا المشرقيّ كيف دخل مسجدنا؟! قوموا إليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا يراكم أحد!!

فطار قلبي من بين جوانحي وقلت: سبحان الله! هذا الطرطوشيّ فقيه، فقالوا لي: ولِمَ يرفع يديه؟ فقلت: كذلك كان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يفعل، وهو مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه.

وجعلت أُسكّتهم وأُسكّنهم، حتّى فرغ من صلاته، وقمت له إلى المسكن من المحرس، ورأى تغيّر وجهي فأنكره، وسألني فأعلمته، فضحك، وقال: من أين لي أن أُقتل على سُنةٍ؟!

فقلت: ويحلّ لك هذا؟ فإنّك بين قوم إن أقمتَ بها قاموا عليك، وربّما ذهب دمُك.

فقال: دع هذا الكلام، وخُذ في غيره(٢).

٢ ـ ابن بطوطة: دخل الأناضول وأراد أن يصلي في احد المساجد، لم

(١) البداية والنهاية ج١٢ ص ١٨٧.

(٢) الاعتصام ١ : ٣٥٨.

يكد يكبر تكبيرة الإحرام ويشرع في قراءة الفاتحة حتى أحس بلكمات تتساقط عليه من هنا وهناك، فصرخ: يا قوم ماذا جنيت؟ قالوا: أنت شيعي ترسل يديك في الصلاة!! قال: بل أنا سني مالكي، وفي مذهبنا إرسال اليدين.قالوا: أنت كاذب!!

فوالله لم يدقوني حتى ذبحوا لي أرنبا وأطعموني إياه فأكلته ـ وكنت جائعا[1] ـ.

٣ ـ ياقوت الحموي: ذكر في معجمه انه في سنة ٦١٧هـ مر على مدينة (ري) فوجد أكثرها خرابا، ولما سال بعض عقلائها عن السبب أجاب بأنه كان في المدينة ثلاث طوائف: شيعة وأحناف وشافعية، فتظاهر الأحناف والشافعية على الشيعة، وتطاولت بينهم الحروب، حتى لم يتركوا من الشيعة إلا من نجا بنفسه، ثم وقعت بين الحرب بين الأحناف والشافعية فتغلب هؤلاء على أولئك وهذا الخراب هو في ديار الشيعة والأحناف فقط[2].

٤ ـ لما سيطر الحنابلة على بغداد من دون سائر أهل السنة واشتدوا في محاربة الشيعة بنوا فيها مسجدا وجعلوه طريقا إلى المشاغبة والفتنة.يقول ابن الأثير: استظهر الحنابلة بالعميان الذين كانوا يأوون إلى المساجد ففي العام ٩٣٥ ـ ٣٢٣هـ إذا مر بم شافعي المذهب أغرى الحنابلة العميان به فيضربونه حتى كاد يموت ولما لم يمتثل الحنابلة إلى تديد صاحب الشرطة هددهم الخليفة الراضي بالضرب والتشريد والقتل والتبديد[3].

---

(١) الإسلام بين الشيعة والسنة ج١ ص٤٩.

(٢) الشيعة في الميزان ص١٩٦.

(٣) الكامل في التاريخ ج٧ ص١١٤.

الفصل الرابع

الإرهاب والتعصب في القرن الحادي والعشرين

عرفت البشرية الإرهاب شكلا ومضمونا عبر تاريخها الطويل إلا انه داع صيتا وممارسة في القرن التاسع عشر الميلادي أي بعد قيام الدولة القطرية القومية وما صاحبها من فكرة السيادة المطلقة والمركزية الشديدة.

في القرنين السابع عشر والثامن عشر من الميلاد جاب بحار العالم مجموعة أطلق عليها «القراصنة» وكانت تدف إلى الاستيلاء على السفن والبضائع عن طريق قتل البحارة والركاب وظهرت في العصور الوسيطة مجموعات إرهابية دعيت بـ«النبلاء» وكانت تدف إلى الإخلال بالأمن في ربوع إقطاعيات الخصوم وقد عثر على قطع من البردي في مصر تصور صراعا دمويا بين الكهنة وغيرهم من أصحاب الأفكار المضادة.

ومما استعرضناه سابقا في تاريخ الإسلام والمسيحية نستطيع تصنيف قتل قابيل لأخيه هابيل على انه أول عمل إرهابي في تاريخ البشرية، فلم يكن القتل جريمة فقط بل تنفيذ لتهديد بالقتل والتهديد بدافع ثني الطرف الآخر عن سلوكه منحى معين يرفضه الطرف الذي قام بالتهديد، وهذا يعد إرهابا، فقابيل قتل هابيل في محاولة منه لثنيه عن قبول عطاءات القربان الذي تكرم الله عليه بقبوله ولكن هابيل امتنع عن تحقيق إرادة أخيه فهدده بالقتل وهكذا فعل، يقول القرآن الكريم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنْ

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

إن للعصبية الذاتية دورا جوهريا في ذلك، فقابيل تعصب لنفسه وارتئاها أفضل وأحق من هابيل بقبول قربانه وزين له الشيطان فأقدم على ارتكاب أول جريمة في تاريخ البشرية.

مع بداية القرن التاسع عشر ظهرتا حركتان كانتا مبعث معظم المنظمات الإرهابية في معظم أنحاء أوربا وهما الحركة الفوضوية والحركة العدمية وكلتاهما أيدلوجية مركزية للمنظمات الثورية المنشغلة بالعنف في سبيل تحقيق أهدافها، وكلا الحركتان وجهان لعملة واحدة فكلاهما ترفضان السلطة القائمة ولكن بتفاوت وبسبب هاتين الحركتين أصبح الإرهاب يمارس من قبل السلطة ومناوئيها كفعل ورد فعل مضاد.

الحركة الفوضوية استندت للأفكار الشيوعية واعتبرت الملكية والسلطة سببا للاستبداد وانتقدت الديمقراطية والبرجوازية، وتدرج العمل العمل الثوري للحركة من خلال مرحلتين، الأولى تركزت على مبدأ الدعاية بالقول عن طريق الخطب والمؤتمرات والاتصال بالأفراد، الثانية القيام بعمليات مسلحة أطلقت عليها أدبيات الحركة بالثورية والسلطات الحاكمة بالإرهابية وبرزت من خلال الحركة الفوضوية العديد من المنظمات الثورية التي اتخذت العنف بكافة صوره وأشكاله وسيلة وحيدة لتحقيق أهدافها كالأهداف السياسية من انتزاع السلطة كليا أو جزئيا أو الاستقلال أو الحكم الذاتي.

أما الحركة العدمية فهي عبارة عن حركة الفوضويين الروس التي أسسها (بيساريف) وتقوم على الإرهاب الفكري القائم على بث الرعب في نفوس رجال الفكر والسياسية والفلسفة والأدب، وقد انبعث عنها العديد من

---

(١) نفس المصدر ص١٠٨.

المنظمات الإرهابية كمنظمة إرادة الشعب عام ١٨٧٩م وتدف إلى تصفية رجال الفكر والسياسية الأكثر ضررا على أهدافها، وفي عام ١٨٨١م أنشا الحزب الاشتراكي الثوري الذي اعتمد على الإرهاب كمنهج أوحد لتحقيق أهدافه الثورية.

ومن المنظمات التي ظهرت خلال تلك الحقبة «المافيا» في ايطاليا وقامت على أسس من العقيدة الماسونية لمحاربة الملكية، ومنظمة الكامور في نابولي عام ١٨٢٠ والتي تحولت في نهاية القرن ١٩ التاسع عشر الميلادي إلى جماعة تمارس أعمال الابتزاز والرشوة ومنظمة الكاربوناري التي اتخذت من عمال الأراضي الزراعية وقودا بشريا للتنظيم والحركة داخل صفوفها وتدف إلى تحقيق مكاسب من ملاك الأراضي أو ما يعرف بالإقطاعيين.

ومع القرن العشرين ظهرت موجة ثانية من الإرهاب، فقد قام الحزب الاشتراكي الثوري في روسيا بتنفيذ مجموعة من الاغتيالات والعمليات الإرهابية في الفترة من عام ١٩٠٢ إلى ١٩١٠م أبرزها اغتيال وزير الداخلية الروسي بلهيف باعتباره احد أقوى أركان النظام القيصري وذلك في العام ١٩٠٤م.

في عام ١٩٠٥م عقدت المنظمات الثورية مؤتمرها الأول بفنلندا وأقرت الإرهاب كأسلوب مضاد لإرهاب الحكومات وذلك بعد اغتيال ملك ايطاليا عام ١٩٠٠م.

بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ازداد وقع العمليات الإرهابية وظهرت مؤشرات في زيادة الروابط بين المنظمات الإرهابية برصد كثافة اتصالاتا وببعض الدول المستفيدة أيضا من عملياتا في دول أخرى، وردت الدول الأوربية برفع حدة التعاون الدولي من خلال عقد المؤتمرات وإدراج موضوع الإرهاب في جداول الأعمال والاجتماعات لا سيما بعد عملية اغتيال ملك يوغسلافيا في فرنسا عام ١٩٣٤م والذي تورطت فيها أربع دول.

اتخذت العمليات الإرهابية صورا وأشكالا جديدة كخطف الطائرات والخطف والرهن وتفيد بعض الإحصائيات التي أجريت في حقبة ما قبل الثمانيات الميلادية من القرن الماضي أن عدد المنظمات الثورية حول العالم عام

١٩٧١م أصبح ١٧٠ منظمة تمارس نشاطها على مستوى١٢٠ دولة وصنفت جميعا على أنها إرهابية، وبلغ ضحايا العمليات الإرهابية عام ١٩٧٥م ١٧٢٠ فرد نصيب أوربا الغربية منها ٤٥% بعد أن سجلت ٦٠٠٠ حادثة نتج عنها ٩٠٠ ضحية صنفت على كونها حوادث ناجمة عن عمليات إرهابية.

وتشير إحصائيات أجريت في العقد الأخير من القرن العشرين أن عدد المنظمات الثورية حول العالم ٢١٧٦ منها ١٣٧اجرامية في ١١ إقليم لا تعتبر دولا والباقي ٢٠٣٩ منظمة في ١٢٦ دولة منها ٥٠٦ في قارتي أسيا واستراليا و ٢٢٩ في أفريقيا و٣٨٧ في أمريكا اللاتينية و ٦٥٥ في تركيا و٨٠ في أمريكا الشمالية ومتوسط نصيب كل دولة من المنظمات ٥و٢٥ ونصيب كل دولة نامية من المنظمات ١٣،٠٩.

تفيد هذه الإحصائية أن الدول المتقدمة عدد منظماتها ضعف عدد منظمات الدول النامية مما يعني أن الإرهاب ظاهرة عالمية بالدرجة الأولى.

مما لا شك فيه لا نستطيع تصنيف كافة المنظمات المسلحة حول العالم على أنها إرهابية وفي المقابل لا يمكننا تصنيف كافة الأنظمة في العالم في كونها إرهابية أيضا وهنا مكمن المشكلة ولب العقدة، والى يومنا هذا لم يتفق العالم على تعريف محدد وواضح وبين على مفهوم الإرهاب ليتم من خلاله تحديد من هو الإرهابي من غيره سواء كان فرد أو منظمة أو دولة معترف بها عالميا إذ ليس كل عنف إرهاب بطبيعة الحال وليس كل عملية تفجير أو قتل تصب في خانة العمليات الإجرامية أو الإرهابية والمحك في التصنيف والفرز موكل افتراضا إلى القانون الدولي لأنه المرجع الوحيد الذي يحوي خلاصة لما توصلت إليه عقول مفكري البشرية وحقوقييها وفقهائها العدليين والذي يحدد بدقة وموضوعية واتزان علمي على قدر من اليقين من هو الإرهابي ومن الذي يستحق ميدالية الحرية وشهادة الإنسان المناضل من الطراز الأول في سبيل سعادة البشرية لذلك نتحفظ في إلصاق تهمة الإرهاب بهذه المنظمة أو تلك إذ لربما تسعى منظمة ثورية ما لنيل حقوق شعبها المهتضمة ولربما قامت بعمل عنفي كرد فعل على عنف وإرهاب الحكومة التي تواجهها.

إن هناك قواسم مشتركة في كافة الآراء والتوجهات القانونية في قضية الإرهاب الشائكة فقطع الأيدي والاغتصاب والتشويه وتدمير الجهاز التناسلي بقصد الإبادة والترهيب بغية تحقيق هدف ما من جانب فرد أو منظمة أو دولة لا شك في كونه إرهابا حتى لو كان لتحقيق هدف نبيل أو مشروع من ناحية المبدأ أما العنف المشروع لتحقيق هدف مشروع كما تتفق عليه الديانات والشرائع السماوية والأرضية فلا شك في كونه عنف مبرر لا بد منه لانتزاع الحق وكرد فعل على عنف مضاد وربما إرهاب كما في جرى بين لبنان وإسرائيل فالأخيرة احتلت أراضي الجنوب فكانت نشاط المقاومة العسكري والسياسي كرد فعل على هذا الاحتلال وهذا ما تقره الشرائع سواء كانت سماوية أو أرضية.

إن المرجعية العليا لا بد أن تكون للقانون الدولي حتى يمكن التصنيف بدقة والتفريق بين نشاط المقاومة المشروعة وبين الإرهاب سواء على صعيد المنظمات الثورية أو الأنظمة الحاكمة وما يحدث اليوم ليس سوى تنافر مصالح أطراف النزاع في معظم أنحاء العالم دون الاستناد على قواعد قانونية واضحة وملزمة.

اثر انهيار الأنظمة الشمولية في أوربا ظهرت العديد من الجماعات الإرهابية شديدة الخطورة فظهر إرهاب اليمين في ايطاليا على أيدي جماعة النظام الجديد عام١٩٥٠ م وجماعة الطليعة الوطنية عام ١٩٥٩م، وبرزت منظمة الجيش الجمهوري الايرلندي على اثر انشقاق الجناح المعتدل للجيش الجمهوري الايرلندي والتي نسبت إليها العديد من حوادث التفجير والقتل والاغتيال وكذلك ظهرت في العام ١٩٧٢م منظمة جيش التحرير الوطني الايرلندي اثر انشقاق آخر في الجناح المعتدل وظهرت في اسبانيا منظمة «أيتا« الانفصالية التي تطالب بانفصال إقليم ألباسك عن اسبانيا رغم عدم تمتعها بشعبية في بعض مقاطعات هذا الإقليم.

أما في العالمين العربي والإسلامي فظهرت العديد من المنظمات التي تمارس أعمالا إرهابية وعنفيه بشتى الصور فنشئت في مصر جماعة الفنية العسكرية عام

١٩٧٤م وجماعة التكفير والهجرة عام ١٩٧٧م وتنظيم الجهاد عام ١٩٧٩م ومن ابرز أعمالها الإرهابية اغتيال رئيس مصر السابق أنور السادات عام ١٩٨١م ومما قامت به أيضا ضرب المجموعات السياحية وتفجير السفارات المصرية في الخارج وإثارة الفتن الطائفية بين المسلمين والمسيحيين من خلال قتل الأقباط وسرقة محلات الذهب الخاصة بهم وتخريب كنائسهم وكذلك محاولة اغتيال بعض الوزراء وأرباب الفكر والأدب كمحاولة اغتيال وزير الداخلية حسن الألفي والأديب الكبير نجيب محفوظ.

تنظيم القاعدة

يتزعمه المنشق السعودي أسامة بن لادن، يعود أصل الاسم إلى عام ١٩٨٨ إبان تدفق الشباب العرب للمشاركة في الجهاد الأفغاني ضد القوات السوفيتية حيث لاحظ أسامة بن لادن عدم توفر سجّل عن حركة المجاهدين القادمين مما كان يوقعه في مشكلات مع عائلاتهم فقرر ترتيب سجلات لتشمل تفاصيل عن كل من وصل إلى أفغانستان كتاريخ قدومه والتحاقه بالأنصار ثم بمعسكرات التدريب ثم التحاقه بالجبهة واتفق على تسمية تلك السجلات بـ «القاعدة»، صاغ تحالفاً مع مجموعات مثل حركة الجهاد الإسلامي المصرية والجبهة الوطنية الإسلامية السودانية ومجموعات جهادية إسلامية في اليمن والمملكة السعودية والصومال وترتبط القاعدة أيضا بعلاقات مع الجماعة الإسلامية التي قادها في أحد المراحل الشيخ عمر عبد الرحمن المسجون في أحد السجون الأمريكية منذ العام ١٩٩٨م.

في عام ١٩٩٧م تمّ تفجير حافلتين تفصل بينهما تسع دقائق خارج مبنى السفارة الأمريكية في تنزانيا، حيث قتل ٢٢٤ شخصاً بينهم ١٢ أمريكياً، اتهمت الولايات المتحدة القاعدة بالوقوف وراء حادث تفجير تنزانيا وفي ٢٠ أغسطس / آب من نفس العام قامت طائرات أمريكية بقصف أهداف يشتبه بكونها مراكز تدريب في أفغانستان وقصف مصنع للأدوية في العاصمة السودانية الخرطوم وفي١٤ أكتوبر من عام ٢٠٠٠م قتل ١٧ بحاراً أمريكيا

عندما قام انتحار يون على مركبين بالهجوم على البارجة الحربية «كول» الراسية في مياه عدن في اليمن، حملت السلطات الأمريكية تحمل تنظيم القاعدة مسؤولية هجوم «كول» إلا أن أسامة بن لادن نفى أي تورط في العملية ولكنه استمر بدعوته للجهاد ضد الولايات المتحدة.

في الحادي عشر من سبتمبر / أيلول، وخلال ١٨ دقيقة، اصطدمت طائرتين مخطوفتين ببرجي مركز التجارة العالمي، وفي اليوم ذاته ارتطمت طائرة ثالثة بمبنى البنتاغون «وزارة الدفاع الأمريكية»، واصطدمت طائرة رابعة بمنطقة غير مأهولة في ولاية بنسلفانيا، سارعت الولايات المتحدة الأمريكية بتحميل تنظيم القاعدة هذه العمليات، أسامة بن لادن من جهته وعبر شاشة تلفزيون الجزيرة القطرية نفى مسئوليته عن هذه العمليات إلا انه بعد أسابيع من الحملة الأمريكية على أفغانستان ظهر بن لادن في شريط فيديو وهو يقول « إن أعظم مباني الولايات المتحدة قد تمّ تدميرها، الشكر لله، ألان يسيطر الخوف على أمريكا من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق، نشكر الله لذلك»[١].

وتبرز على الساحة السياسية في العالم العديد من المنظمات الثورية التي توصم بالإرهابية من قبل جهة والمناضلة لأجل هدف مشروع عند جهة أخرى نظرا لكون العالم لم يتفق على معنى واضح ومحدد للإرهاب، ففي لبنان تبرز منظمة حزب الله الإسلامية الشيعية التي دأبت من تأسيسها على مكافحة الوجود الإسرائيلي في جنوب لبنان، ومع انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية في عام ١٩٩٠م شارك حزب الله في عمليات إعادة الأعمار والحياة السياسية، فأنشى المدارس والمراكز الصحية والتعليمية والخدمية، وأنشى كتلة الوفاء في المجلس النيابي اللبناني، وافتتح العديد من المؤسسات الخدمية للبنانيين في الخارج ومع ذلك توصمه إسرائيل والولايات المتحدة بالمنظمة الإرهابية رغم انه سخر وجوده لخدمة القضية اللبنانية بمعزل عن المعادلات الطائفية الضيقة ووفقا للقوانين الدولية.

---

(١) عن موقع البي بي سي العربي.

وتبرز في الساحة الفلسطينية منظمتي الجهاد وحماس اللاتي تدافعان عن حقوق الشعب الفلسطيني وتردان على جرائم الاحتلال الوحشية بحقه، وقبل اتفاقيات أوسلو كانت إسرائيل والولايات المتحدة توصمان منظمة التحرير الفلسطينية بأنا منظمة إرهابية إلا أن تحولات الصراع أجبرتما على الاعتراف بالمنظمة وعقد اتفاقيات دولية في إطار الحل النهائي المرتقب للقضية الفلسطينية.

وهناك العديد من المنظمات والتشكيلات العسكرية حول العالم التي توصم بالإرهابية من قبل الحكومات التي تواجهها ومن يقف خلفها كالمقاتلين الشيشان في روسيا ومنظمة نمور التآميل في سريلانكا.

قد يكون الهدف الذي تسعى إليه هذه المنظمة أو تلك سياسي وهو الأعم الأغلب وقد يكون اقتصادي ولربما ينطلق نشاطها ببواعث عقائدية أو أيدلوجيات أرضية متشعبة وليس بوسع القانونيين والحقوقيين توجيه الاتامات وإطلاق الأحكام عليها جزافا لا سيما في وصمها بالإرهاب إلا إذا شيد العالم عبر مؤسساته القانونية نظام محكم يتفق في صياغته ووضعه علماء العالم وخبراءه المعنيون من كافة المؤسسات والمنظمات والدول والأديان أيضا ليكون مرجعا محكما في التصنيف وإنشاء القوانين الملحقة إذ انه ليس كل عنف إرهاب وليس كل إرهابا عنف فلربما تمارس هذه الدولة أو المنظمة العنف كرد فعل ولربما يكون المسار السياسي مغلقا فيكون العنف الطريق الوحيد.

رغم المطبات القانونية والعقبات التي تواجه العالم في سبيل تحقيق مرجعية قانونية متفق عليها للإرهاب، وقعت عدة اتفاقيات وإعلان مبادئ بدف محاربة ظاهرة الإرهاب وما يتصل با، منها اتفاقية جنيف لقمع ومعاقبة الإرهاب في عام ١٩٣٧م والاتفاقية الأوربية عام١٩٧٧م، وفي ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٨١ اعتمد ونشر علي الملأ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٥٥/٣٦ إعلان يدعو للقضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد جاء فيه:

إن الجمعية العامة، إذ تضع في اعتبارها أن أحد المبادئ الأساسية في ميثاق الأمم المتحدة هو مبدأ الكرامة والمساواة الأصيلتين في جميع البشر، وأن

جميع الدول الأعضاء قد تعهدت باتخاذ تدابير مشتركة ومستقلة، بالتعاون مع المنظمة، لتعزيز وتشجيع الاحترام العالمي والفعال لحقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع، دون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين، وإذ تضع في اعتبارها أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان تنادى بمبادئ عدم التمييز والمساواة أمام القانون والحق في حرية التفكير والوجدان والدين والمعتقد،وإذ تضع في اعتبارها أن إهمال وانتهاك حقوق الإنسان والحريات الأساسية، ولا سيما الحق في حرية التفكير أو الوجدان أو الدين أو المعتقد أيا كان، قد جلبا على البشرية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، حروبا، وآلاما بالغة، خصوصا حيث يتخذان وسيلة للتدخل الأجنبي في الشئون الداخلية للدول الأخرى، وحيث يؤديان إلى إثارة الكراهية بين الشعوب والأمم، وإذ تضع في اعتبارها أن الدين أو المعتقد هو، لكل امرئ يؤمن به، أحد العناصر الأساسية في تصوره للحياة، وأن من الواجب احترام حرية الدين أو المعتقد وضمانا بصورة تامة،وإذ تضع في اعتبارها أن من الجوهري تعزيز التفاهم والتسامح والاحترام في الشؤون المتصلة بحرية الدين والمعتقد، وكفالة عدم السماح باستخدام الدين أو المعتقد لأغراض تخالف ميثاق الأمم المتحدة وغيره من صكوكها ذات الصلة بالموضوع، وأغراض ومبادئ هذا الإعلان،وإذ تؤمن بأن حرية الدين والمعتقد ينبغي أن تسهم أيضا في تحقيق أهداف السلم العالمي والعدالة الاجتماعية والصداقة بين الشعوب، وفى القضاء على أيديولوجيات أو ممارسات الاستعمار والتمييز العنصري، وإذ تسجل مع الارتياح أنه قد تم اعتماد عدة اتفاقيات، بدأ نفاذ بعضها، تحت رعاية الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة، للقضاء على عديد من أشكال التمييز، وإذ تقلقها مظاهر التعصب ووجود تمييز في أمور الدين أو المعتقد، وهى أمور لا تزال ظاهرة للعيان في بعض مناطق العالم،ولما كانت مصممة على اتخاذ جميع التدابير الضرورية للقضاء سريعا على مثل هذا التعصب بكل أشكاله ومظاهره، ولمنع ومكافحة التمييز على أساس الدين أو المعتقد، تصدر هذا الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس

الدين أو المعتقد:

المادة ١

١ ـ لكل إنسان الحق في حرية التفكير والوجدان والدين. ويشمل هذا الحق حرية الإيمان بدين أو بأي معتقد يختاره، وحرية إظهار دينه أو معتقده عن طريق العبادة وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، سواء بمفرده أو مع جماعة، وجهرا أو سرا.

٢ ـ لا يجوز تعريض أحد لقسر يحد من حريته في أن يكون له دين أو معتقد من اختياره.

٣ ـ لا يجوز إخضاع حرية المرء في إظهار دينه أو معتقداته إلا لما قد يفرضه القانون من حدود تكون ضرورية لحماية الأمن العام أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق العامة أو حقوق الآخرين وحرياتم الأساسية.

المادة ٢

١ ـ لا يجوز تعريض أحد للتمييز من قبل أية دولة أو مؤسسة أو مجموعة أشخاص أو شخص على أساس الدين أو غيره من المعتقدات.

٢ ـ في مصطلح هذا الإعلان، تعنى عبارة «التعصب والتمييز القائمان على أساس الدين أو المعتقد« أي ميز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس الدين أو المعتقد ويكون غرضه أو أثره تعطيل أو انتقاص الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع با أو ممارستها على أساس من المساواة.

المادة ٣

يشكل التمييز بين البشر على أساس الدين أو المعتقد إهانة للكرامة الإنسانية وإنكارا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ويجب أن يشجب بوصفه انتهاكا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية التي نادى با الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والواردة بالتفصيل في العهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان،

وبوصفه عقبة في وجه قيام علاقات ودية وسلمية بين الأمم.

المادة ٤

١ ـ تتخذ جميع الدول تدابير فعالة لمنع واستئصال أي تمييز، على أساس الدين أو المعتقد، في الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في جميع مجالات الحياة المدنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وفى التمتع بهذه الحقوق والحريات.

٢ ـ تبذل جميع الدول كل ما في وسعها لسن التشريعات أو إلغائها حين يكون ذلك ضروريا للحؤول دون أي تمييز من هذا النوع، ولاتخاذ جميع التدابير الملائمة لمكافحة التعصب القائم على أساس الدين أو المعتقدات الأخرى في هذا الشأن.

المادة ٥

١ ـ يتمتع والدا الطفل أو الأوصياء الشرعيون عليه، حسبما تكون الحالة، بحق تنظيم الحياة داخل الأسرة وفقا لدينهم أو معتقدهم، آخذين في الاعتبار التربية الأخلاقية التي يعتقدون أن الطفل يجب أن يربى عليها.

٢ ـ يتمتع كل طفل بالحق في تعلم أمور الدين أو المعتقد وفقا لرغبات والديه أو الأوصياء الشرعيين عليه، حسبما تكون الحالة، ولا يجبر على تلقى تعليم في الدين أو المعتقد يخالف رغبات والديه أو الأوصياء الشرعيين عليه، على أن يكون لمصلحة الطفل الاعتبار الأول.

٣ ـ يجب أن يحمى الطفل من أي شكل من أشكال التمييز على أساس الدين أو المعتقد، ويجب أن ينشأ على روح التفاهم والتسامح، والصداقة بين الشعوب، والسلم والأخوة العالمية، واحترام حرية الآخرين في الدين أو المعتقد، وعلى الوعي الكامل بوجوب تكريس طاقته ومواهبه لخدمة أخيه الإنسان.

٤ ـ حين لا يكون الطفل تحت رعاية والديه أو الأوصياء الشرعيين عليه، تؤخذ في الحسبان الواجب رغباتهم المعلنة، أو أي دليل آخر علي رغباتهم، في ما يتصل بالدين أو المعتقد، علي أن يكون لمصلحة الطفل الاعتبار

الأول.

٥ ـ يجب ألا تكون ممارسات الدين أو المعتقدات التي ينشأ عليها الطفل ضارة بصحته الجسدية أو العقلية، أو بنموه الكامل، مع مراعاة الفقرة ٣ من المادة ١ من هذا الإعلان.

المادة ٦

وفقا للمادة ١ من هذا الإعلان، ورهنا بأحكام الفقرة ٣ من المادة المذكورة، يشمل الحق في حرية الفكر أو والوجدان أو الدين أو المعتقد، فيما يشمل، الحريات التالية:

(أ) حرية ممارسة العبادة أو عقد الاجتماعات المتصلة بدين أو معتقد ما، وإقامة وصيانة أماكن لهذه الإغراض،

(ب) حرية إقامة وصيانة المؤسسات الخيرية أو الإنسانية المناسبة،

(ج) حرية صنع واقتناء واستعمال القدر الكافي من المواد والأشياء الضرورية المتصلة بطقوس أو عادات دين أو معتقد ما،

(د) حرية كتابة وإصدار وتوزيع منشورات حول هذه المجالات،

(هـ) حرية تعليم الدين أو المعتقد في أماكن مناسبة لهذه الأغراض،

(و) حرية التماس وتلقى مساهمات طوعيه، مالية وغير مالية، من الأفراد والمؤسسات،

(ز) حرية تكوين أو تعيين أو انتخاب أو تخليف الزعماء المناسبين الذين تقضي الحاجة بهم لتلبية متطلبات ومعايير أي دين أو معتقد،

(ح) حرية مراعاة أيام الراحة والاحتفال بالأعياد وإقامة الشعائر وفقا لتعاليم دين الشخص أو معتقده،

(ط) حرية إقامة وإدامة الاتصالات بالأفراد والجماعات بشأن أمور الدين أو المعتقد على المستويين القومي والدولي.

المادة ٧

تكفل الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان، في تشريع كل

بلد، على نحو يجعل في مقدور كل فرد أن يتمتع بـذه الحقوق والحريات بصورة عملية.

المادة ٨

ليس في أي من أحكام هذا الإعلان ما يجوز تأويله على أنه يقيد أو ينتقص من أي حق محدد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان.

الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب

صدرت الاتفاقية بقرار من مجلسي وزراء العدل والداخلية العرب فى اجتماعهما المشترك الذي عقد بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٢، هذا نصها:

الديباجة

إن الدول العربية الموقعة:

رغبة في تعزيز التعاون فيما بينها لمكافحة الجرائم الإرهابية، التي تدد أمن الأمة العربية واستقرارها، وتشكل خطرا على مصالحها الحيوية.

والتزاما بالمبادئ الأخلاقية والدينية السامية، ولا سيما أحكام الشريعة الإسلامية، وكذا بالتراث الإنساني للأمة العربية التي تنبذ كل أشكال العنف والإرهاب، وتدعو إلى حماية حقوق الإنسان، وهى الأحكام التي تتماشى معها مبادئ القانون الدولي وأسسه التي قامت على تعاون الشعوب من أجل إقامة السلام.

والتزاما بميثاق جامعة الدول العربية وميثاق هيئة الأمم المتحدة، وجميع العهود والمواثيق الدولية الأخرى التي تكون الدول المتعاقدة في هذه الاتفاقية طرفا فيها.

وتأكيدا على حق الشعوب في الكفاح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح من أجل تحرير أراضيها،

والحصول على حقها في تقرير مصيرها واستقلالها، وبما يحافظ على الوحدة الترابية لكل بلد عربي، وذلك كله وفقا لمقاصد ومبادئ ميثاق وقرارات الأمم المتحدة.

قد اتفقت على عقد الاتفاقية، داعية كل دولة عربية لم تشارك في إبرامها إلى الانضمام إليها.

الباب الأول: تعاريف وأحكام عامة

المادة الأولى

يقصد بالمصطلحات التالية التعريف المبين إزاء كل منها:

١ ـ الدولة المتعاقدة:

كل دولة عضو في جامعة الدول العربية صدقت على هذه الاتفاقية، وأودعت وثائق تصديقها لدى الأمانة العامة للجامعة.

٢ ـ الإرهاب:

كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردى أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر.

٣ ـ الجريمة الإرهابية:

هي أي جريمة أو شروع فيها ترتكب تنفيذا لغرض إرهابي في أي من الدول المتعاقدة، أو على رعاياها أو ممتلكاتا أو مصالحها يعاقب عليها قانونا الداخلي، كما تعد من الجرائم الإرهابية الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقيات التالية، عدا ما استثنته منها تشريعات الدول المتعاقدة أو التي لم تصادق عليها:

(أ) اتفاقية طوكيو والخاصة بالجرائم والأفعال التي ترتكب على متن الطائرات والموقعة بتاريخ ١٩٦٣/٩/١٤م.

(ب) اتفاقية لاهاي بشأن مكافحة الاستيلاء غير المشروع على الطائرات والموقعة بتاريخ ١٩٧٠/١٢/١٦م.

(ج) اتفاقية مونتريال الخاصة بقمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الطيران المدني والموقعة في ١٩٧١/٩/٢٣ والبروتوكول الملحق با والموقع في مونتريال ١٩٨٤/٥/١٠م.

(د) اتفاقية نيويورك الخاصة بمنع ومعاقبة الجرائم المرتكبة ضد الأشخاص المشمولين بالحماية الدولية بمن فيهم الممثلون الدبلوماسيون والموقعة في ١٩٧٣/١٢/١٤م.

(هـ) اتفاقية اختطاف واحتجاز الرهائن والموقعة في ١٩٧٩/١٢/١٧م.

(و) اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لسنة ١٩٨٣م، ما تعلق منها بالقرصنة البحرية.

المادة الثانية

(أ) لا تعد جريمة، حالات الكفاح بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير، وفقا لمبادئ القانون الدولي، ولا يعتبر من هذه الحالات كل عمل يمس بالوحدة الترابية لأي من الدول العربية.

(ب) لا تعد أي من الجرائم الإرهابية المشار إليها في المادة السابقة من الجرائم السياسية.

وفي تطبيق أحكام هذه الاتفاقية، لا تعد من الجرائم السياسية- ولو كانت بدافع سياسي ـ الجرائم الآتية:

١ ـ التعدي على ملوك ورؤساء الدول المتعاقدة والحكام وزوجاتم أو أصولهم أو فروعهم.

٢ ـ التعدي على أولياء العهد، أو نواب رؤساء الدول، أو رؤساء الحكومات، أو الوزراء في أي من الدول المتعاقدة.

٣ ـ التعدي على الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم السفراء

والدبلوماسيون في الدول المتعاقدة أو المعتمدون لديها.

٤ ـ القتل العمد والسرقة المصحوبة بإكراه ضد الأفراد أو السلطات أو وسائل النقل والمواصلات.

٥ ـ أعمال التخريب والإتلاف للممتلكات العامة والممتلكات المخصصة لخدمة عامة حتى ولو كانت مملوكة لدولة أخرى من الدول المتعاقدة.

٦ ـ جرائم تصنيع أو تهريب أو حيازة الأسلحة أو الذخائر أو المتفجرات أو غيرها من المواد التي تعد لارتكاب جرائم إرهابية.

الباب الثاني: أسس التعاون العربي لمكافحة الإرهاب

الفصل الأول: في المجال الأمني

الفرع الأول: تدابير منع ومكافحة الجرائم الإرهابية

المادة الثالثة

تتعهد الدول المتعاقدة بعدم تنظيم أو تمويل أو ارتكاب الأعمال الإرهابية أو الاشتراك فيها بأية صورة من الصور، والتزاما منها بمنع ومكافحة الجرائم الإرهابية طبقا للقوانين والإجراءات الداخلية لكل منها فإنها تعمل على:

أولا: تدابير المنع:

١ ـ الحيلولة دون اتخاذ أراضيها مسرحا لتخطيط أو تنظيم أو تنفيذ الجرائم الإرهابية أو الشروع أو الاشتراك فيها بأية صورة من الصور، بما في ذلك العمل على منع تسلل العناصر الإرهابية إليها أو إقامتها على أراضيها فرادى أو جماعات أو استقبالها أو إيوائها أو تدريبها أو تسليحها أو تمويلها أو تقديم أية تسهيلات لها.

٢ ـ التعاون والتنسيق بين الدول المتعاقدة، وخاصة المتجاورة منها، التي تعانى من الجرائم الإرهابية بصورة متشابهة أو مشتركة.

٣ ـ تطوير وتعزيز الأنظمة المتصلة بالكشف عن نقل واستيراد وتصدير وتخزين واستخدام الأسلحة والذخائر والمتفجرات وغيرها من وسائل الاعتداء والقتل والدمار. وإجراءات مراقبتها عبر الجمارك والحدود لمنع انتقالها من دولة

متعاقدة إلى أخرى، أو إلى غيرها من الدول إلا لأغراض مشروعة على نحو ثابت.

٤ ـ تطوير وتعزيز الأنظمة المتصلة بإجراءات المراقبة وتأمين الحدود والمنافذ البرية والبحرية والجوية لمنع حالات التسلل منها.

5 ـ تعزيز نظم تأمين وحماية الشخصيات والمنشآت الحيوية ووسائل النقل العام.

٦ ـ تعزيز الحماية والأمن والسلامة للشخصيات وللبعثات الدبلوماسية والقنصلية والمنظمات الإقليمية والدولية المتعمدة لدى الدولة المتعاقدة وفقا للاتفاقيات الدولية التي تحكم هذا الموضوع.

٧ ـ تعزيز أنشطة الإعلام الأمني وتنسيقها مع الأنشطة الإعلامية في كل دولة وفقا لسياستها الإعلامية، وذلك لكشف أهداف الجماعات والتنظيمات الإرهابية، وإحباط مخططاتا، وبيان مدى خطورتا على الأمن والاستقرار.

٨ ـ تقوم كل دولة من الدول المتعاقدة، بإنشاء قاعدة بيانات لجمع وتحليل المعلومات الخاصة بالعناصر والجماعات والحركات والتنظيمات الإرهابية ومتابعة مستجدات ظاهرة الإرهاب، والتجارب الناجحة في مواجهتها، وتحديث هذه المعلومات، وتزويد الأجهزة المختصة في الدول المتعاقدة با، وذلك في حدود ما تسمح به القوانين والإجراءات الداخلية لكل دولة.

ثانيا ـ تدابير المكافحة:

١ ـ القبض على مرتكبي الجرائم الإرهابية ومحاكمتهم وفقا للقانون الوطني، أو تسليمهم وفقا لأحكام هذه الاتفاقية، أو الاتفاقيات الثنائية بين الدولتين الطالبة والمطلوب إليهم التسليم.

٢ ـ تأمين حماية فعالة للعاملين في ميدان العدالة الجنائية.

٣ ـ تأمين حماية فعالة لمصادر المعلومات عن الجرائم الإرهابية والشهود فيها.

٤ ـ توفير ما يلزم من مساعدات لضحايا الإرهاب.

٥ ـ إقامة تعاون فعال بين الأجهزة المعنية وبين المواطنين لمواجهة الإرهاب بما في ذلك إيجاد ضمانات وحوافز مناسبة للتشجيع على الإبلاغ عن الأعمال الإرهابية، وتقديم المعلومات التي تساعد في الكشف عنها والتعاون في القبض على مرتكبيها.

الفرع الثاني: التعاون العربي لمنع ومكافحة الجرائم الإرهابية

المادة الرابعة

تتعاون الدول المتعاقدة لمنع ومكافحة الجرائم الإرهابية، طبقا للقوانين والإجراءات الداخلية لكل دولة، من خلال الآتي:

أولا ـ تبادل المعلومات:

١ ـ تتعهد الدول المتعاقدة بتعزيز تبادل المعلومات فيما بينها حول:

(أ) أنشطة وجرائم الجماعات الإرهابية وقياداتا وعناصرها وأماكن تمركزها وتدريبها ووسائل ومصادر تمويلها وتسليحها وأنواع الأسلحة والذخائر والمتفجرات التي تستخدمها، وغيرها من وسائل الاعتداء والقتل والدمار.

(ب) وسائل الاتصال والدعاية التي تستخدمها الجماعات الإرهابية وأسلوب عملها، وتنقلات قياداتا وعناصرها، ووثائق السفر التي تستعملها.

٢ ـ تتعهد كل من الدول المتعاقدة، بإخطار أية دولة متعاقدة أخرى، على وجه السرعة، بالمعلومات المتوفرة لديها عن أية جريمة إرهابية تقع في إقليمها تستهدف المساس بمصالح تلك الدولة أو بمواطنيها، على أن تبين في ذلك الإخطار ما أحاط بالجريمة من ظروف والجناة فيها وضحاياها والخسائر الناجمة عنها والأدوات والأساليب المستخدمة في ارتكابا، وذلك بالقدر الذي لا يتعارض مع متطلبات البحث والتحقيق.

٣ ـ تتعهد الدول المتعاقدة، بالتعاون فيما بينها لتبادل المعلومات لمكافحة الجرائم الإرهابية، وأن تبادر بإخطار الدولة أو الدول الأخرى المتعاقدة بكل ما

يتوافر لديها من معلومات أو بيانات من شأنها أن تحول دون وقوع جرائم إرهابية على إقليمها أو ضد مواطنيها أو المقيمين فيها أو ضد مصالحها.

٤ ـ تتعهد كل من الدول المتعاقدة، بتزويد أية دولة متعاقدة أخرى. بما يتوافر لديها من معلومات أو بيانات من شأنها:

أ ـ أن تساعد في القبض على متهم أو متهمين بارتكاب جريمة إرهابية ضد مصالح تلك الدولة، أو الشروع أو الاشتراك فيها سواء بالمساعدة أو الاتفاق أو التحريض.

ب ـ أن تؤدى إلى ضبط أية أسلحة أو ذخائر أو متفجرات أو أدوات أو أموال استخدمت أو أعدت للاستخدام في جريمة إرهابية.

٥ ـ تتعهد الدول المتعاقدة، بالمحافظة على سرية المعلومات المتبادلة فيما بينها، وعدم تزويد أية دولة غير متعاقدة أو جهة أخرى بها، دون أخذ الموافقة المسبقة للدولة مصدر المعلومات.

ثانيا ـ التحريات:

تتعهد الدول المتعاقدة بتعزيز التعاون فيما بينها، وتقديم المساعدة في مجال إجراءات التحري والقبض على الهاربين من المتهمين أو المحكوم عليهم بجرائم إرهابية وفقا لقوانين وأنظمة كل دولة.

ثالثا ـ تبادل الخبرات:

١ ـ تتعاون الدول المتعاقدة، على إجراء وتبادل الدراسات والبحوث لمكافحة الجرائم الإرهابية، كما تتبادل ما لديها من خبرات في مجال المكافحة.

٢ ـ تتعاون الدول المتعاقدة، في حدود إمكانياتها على توفير المساعدات الفنية المتاحة لإعداد برامج أو عقد دورات تدريبية مشتركة، أو خاصة بدولة أو مجموعة من الدول المتعاقدة عند الحاجة، للعاملين في مجال مكافحة الإرهاب، لتنمية قدراتهم العلمية والعملية ورفع مستوى أدائهم.

الفصل الثاني: في المجال القضائي

الفرع الأول: تسليم المجرمين

المادة الخامسة

تتعهد كل من الدول المتعاقدة بتسليم المتهمين أو المحكوم عليهم في الجرائم الإرهابية المطلوب تسليمهم من أي من هذه الدول، وذلك طبقا للقواعد والشروط المنصوص عليها في هذه الاتفاقية.

المادة السادسة

لا يجوز التسليم في أي من الحالات التالية:

أ ـ إذا كانت الجريمة المطلوب من أجلها التسليم معتبرة بمقتضى القواعد القانونية النافذة لدى الدولة المتعاقدة المطلوب إليها التسليم، جريمة لها صبغة سياسية.

ب ـ إذا كانت الجريمة المطلوب من اجلها التسليم تنحصر في الإخلال بواجبات عسكرية.

ج ـ إذا كانت الجريمة المطلوب من أجلها التسليم، قد ارتكبت في إقليم الدولة المتعاقدة المطلوب إليها التسليم، إلا إذا كانت هذه الجريمة قد أضرت بمصالح الدولة المتعاقدة طالبة التسليم، وكانت قوانينها تنص على تتبع مرتكبي هذه الجرائم ومعاقبتهم، ما لم تكن الدولة المطلوب إليها التسليم قد بدأت إجراءات التحقيق أو المحاكمة.

د ـ إذا كانت الجريمة قد صدر بشأنا حكم نائي (له قوة الأمر المقضي) لدى الدولة المتعاقدة المطلوب إليها التسليم، أو لدى دولة متعاقدة ثالثة.

هـ ـ إذا كانت الدعوى عند وصول طلب التسليم قد انقضت، أو العقوبة قد سقطت بمضي المدة طبقا لقانون الدولة المتعاقدة طالبة التسليم.

و ـ إذا كانت الجريمة قد ارتكبت خارج إقليم الدولة المتعاقدة الطالبة من شخص لا يحمل جنسيتها، وكان قانون الدولة المتعاقدة المطلوب إليها التسليم لا يجيز توجيه الاتام عن مثل هذه الجريمة إذا ارتكبت خارج إقليمه من مثل هذا الشخص.

ز ـ إذا صدر عفو يشمل مرتكبي هذه الجرائم لدى الدولة المتعاقدة الطالبة.

ح ـ إذا كان النظام القانوني للدولة المطلوب إليها التسليم لا يجيز لها تسليم مواطنيها، فتلتزم الدولة المطلوب إليها التسليم بتوجيه الاتهام ضد من يرتكب منهم لدى أي من الدول المتعاقدة الأخرى جريمة من الجرائم الإرهابية؛ إذا كان الفعل معاقبا عليه في كل من الدولتين بعقوبة سالبة للحرية لا تقل مدتها عن سنة أو بعقوبة أشد. وتحدد جنسية المطلوب تسليمه بتاريخ وقوع الجريمة المطلوب التسليم من أجلها، ويستعان في هذا الشأن بالتحقيقات التي أجرتها الدولة طالبة التسليم.

المادة السابعة

إذا كان الشخص المطلوب تسليمه قيد التحقيق أو المحاكمة أو محكوما عليه عن جريمة أخرى في الدولة المطلوب إليها التسليم، فان تسليمه يؤجل لحين التصرف في التحقيق أو انتهاء المحاكمة أو تنفيذ العقوبة، ويجوز مع ذلك للدولة المطلوب إليها التسليم تسليمه مؤقتا للتحقيق معه أو محاكمته، بشرط إعادته للدولة التي سلمته قبل تنفيذ العقوبة عليه في الدولة طالبة التسليم.

المادة الثامنة

لغرض تسليم مرتكبي الجرائم بموجب هذه الاتفاقية لا يعتد بما قد يكون بين التشريعات الداخلية للدول المتعاقدة من اختلاف في التكييف القانوني للجريمة، جناية كانت أو جنحة، أو بالعقوبة المقررة لها، بشرط أن تكون معاقبا عليها بموجب قوانين كلتا الدولتين بعقوبة سالبة للحرية لمدة لا تقل عن سنة أو بعقوبة اشد.

الفرع الثاني: الإنابة القضائية

المادة التاسعة

لكل دولة متعاقدة أن تطلب إلى أية دولة أخرى متعاقدة، القيام في

إقليمها نيابة عنها. بأي إجراء قضائي متعلق بدعوى ناشئة عن جريمة إرهابية وبصفة خاصة.

أ ـ سماع شهادة الشهود والأقوال التي تؤخذ على سبيل الاستدلال.

ب ـ تبليغ الوثائق القضائية.

ج ـ تنفيذ عمليات التفتيش والحجز.

د ـ إجراء المعاينة وفحص الأشياء.

هـ ـ الحصول على المستندات أو الوثائق أو السجلات اللازمة أو نسخ مصدقة منها.

المادة العاشرة

تلتزم كل من الدول المتعاقدة، بتنفيذ الإنابات القضائية المتعلقة بالجرائم الإرهابية، ويجوز لها رفض طلب التنفيذ في أي من الحالتين التاليتين:

(أ) إذا كانت الجريمة موضوع الطلب محل اتهام أو تحقيق أو محاكمة لدى الدولة المطلوب إليها تنفيذ الإنابة.

(ب) إذا كان تنفيذ الطلب من شأنه المساس بسيادة الدولة المكلفة بتنفيذه أو بأمنها أو بالنظام العام فيها.

المادة الحادية عشرة

ينفذ طلب الإنابة وفقا لأحكام القانون الداخلي للدولة المطلوب إليها التنفيذ، وعلى وجه السرعة، ويجوز لهذه الدولة تأجيل التنفيذ حتى استكمال إجراءات التحقيق والتتبع القضائي الجاري لديها في نفس الموضوع، أو زوال الأسباب القهرية التي دعت للتأجيل على أن يتم إشعار الدولة الطالبة بهذا التأجيل.

المادة الثانية عشرة

(أ) يكون للإجراء الذي يتم بطريق الإنابة، وفقا لأحكام هذه الاتفاقية، الأثر القانوني ذاته، كما لو تم أمام الجهة المختصة لدى الدولة طالبة الإنابة.

ب ـ لا يجوز استعمال ما نتج عن تنفيذ الإنابة إلا في نطاق ما صدرت الإنابة بشأنه.

الفرع الثالث: التعاون القضائي

المادة الثالثة عشرة

تقدم كل دولة متعاقدة للدول الأخرى المساعدة الممكنة واللازمة لتحقيقات أو إجراءات المحاكمة المتعلقة بالجرائم الإرهابية.

المادة الرابعة عشرة

أ ـ ذا انعقد الاختصاص القضائي لإحدى الدول المتعاقدة بمحاكمة متهم عن جريمة إرهابية، فيجوز لهذه الدولة إن تطلب إلى الدولة التي يوجد المتهم في إقليمها محاكمته عن هذه الجريمة، شريطة موافقة هذه الدولة وان تكون الجريمة معاقبا عليها في دولة المحاكمة بعقوبة سالبة للحرية لا تقل مدتا عن سنة واحدة أو بعقوبة أخرى أشد، وتقوم الدولة الطالبة في هذه الحالة بموافاة الدولة المطلوب منها بجميع التحقيقات والوثائق والأدلة الخاصة بالجريمة.

ب ـ يجرى التحقيق أو المحاكمة حسب مقتضى الحال عن الواقعة أو الوقائع التي أسندتا الدولة الطالبة إلى المتهم، وفقا لأحكام وإجراءات قانون دولة المحاكمة.

المادة الخامسة عشرة

يترتب على تقديم الدولة الطالبة لطلب المحاكمة، وفقا للبند (أ) من المادة السابقة، وقف إجراءات الملاحقة والتحقيق والمحاكمة المتخذة لديها بشأن المتهم المطلوب محاكمته، وذلك باستثناء ما تستلزمه مقتضيات التعاون أو المساعدة أو الإنابة القضائية التي تطلبها الدولة المطلوب إليها إجراء المحاكمة.

المادة السادسة عشرة

أ ـ تخضع الإجراءات التي تتم في أي من الدولتين ـ الطالبة أو التي

تجرى فيها المحاكمة ـ لقانون الدولة التي يتم فيها الإجراء وتكون لها الحجية المقررة في هذا القانون.

ب ـ لا يجوز للدولة الطالبة محاكمة أو إعادة محاكمة من طلبت محاكمته إلا إذا امتنعت الدولة المطلوب إليها عن إجراء محاكمته.

ج ـ وفى جميع الأحوال تلتزم الدولة المطلوب إليها المحاكمة، بإخطار الدولة الطالبة، بما اتخذته بشأن طلب إجراء المحاكمة. كما تلتزم بإخطارهم بنتيجة التحقيقات، أو المحاكمة التي تجريها.

المادة السابعة عشرة

للدولة المطلوب إليها إجراء المحاكمة، اتخاذ جميع الإجراءات والتدابير التي يقررها قانونا قبل المتهم سواء في الفترة التي تسبق وصول طلب المحاكمة إليها أو بعده.

المادة الثامنة عشرة

لا يترتب على نقل الاختصاص بالمحاكمة المساس بحقوق المتضرر من الجريمة، ويكون له اللجوء إلى قضاء الدولة الطالبة أو دولة المحاكمة في المطالبة بحقوقه المدنية الناشئة عن الجريمة.

الفرع الرابع: الأشياء والعائدات المتحصلة عن الجريمة والناتجة عن ضبطها

المادة التاسعة عشرة

أ ـ إذا تقرر تسليم الشخص المطلوب تسليمه، تلتزم أي من الدول المتعاقدة بضبط وتسليم الأشياء والعائدات المتحصلة من الجريمة الإرهابية، أو المستعملة فيها، أو المتعلقة بها، للدولة الطالبة سواء وجدت في حيازة الشخص المطلوب تسليمه، أو لدى الغير.

ب ـ تسليم الأشياء المشار إليها في الفقرة السابقة، ولو لم يتم تسليم الشخص المقرر تسليمه. بسبب هربه أو وفاته أو لأي سبب آخر، وذلك بعد التحقق من أن تلك الأشياء متعلقة بالجريمة الإرهابية.

ج ـ لا تخل أحكام الفقرتين السابقتين بحقوق أي من الدول المتعاقدة أو حسن النية من الغير على الأشياء أو العائدات المذكورة.

المادة العشرون

للدولة المطلوب إليها تسليم الأشياء والعائدات، اتخاذ جميع التدابير والإجراءات التحفظية اللازمة لتنفيذ التزامها بتسليمها، ولها أيضا أن تحتفظ مؤقتا بهذا الأشياء أو العائدات إذا كانت لازمة لإجراءات جزائية تتخذ عندها، أو أن تسلمها إلى الدولة الطالبة بشرط استردادها منها لذات السبب.

الفرع الخامس: تبادل الأدلة

المادة الحادية والعشرون

تتعهد الدول المتعاقدة، بفحص الأدلة والآثار الناتجة عن أية جريمة إرهابية تقع على إقليمها ضد دولة متعاقدة أخرى بواسطة أجهزتها المختصة، ولها الاستعانة بأية دولة متعاقدة أخرى في ذلك. وتلتزم باتخاذ الإجراءات اللازمة للمحافظة على هذه الأدلة والآثار واثبات دلالتها القانونية، ولها وحدها الحق في تزويد الدولة التي وقعت الجريمة ضد مصالحها بالنتيجة متى طلبت ذلك، ولا يحق للدولة أو الدول المستعان بها إخطار أية دولة بذلك.

الباب الثالث: آليات تنفيذ القانون

الفصل الأول: إجراءات التسليم

المادة الثانية والعشرون

يكون تبادل طلبات التسليم بين الجهات المختصة في الدول المتعاقدة مباشرة. أو عن طريق وزارات العدل بها أو ما يقوم مقامها، أو بالطريق الدبلوماسي.

المادة الثالثة والعشرون

يقدم طلب التسليم كتابة مصحوبًا بما يلي:

أ ـ أصل حكم الإدانة أو أمر القبض أو أية أوراق أخرى لها نفس

القوة، صادرة طبقاً للأوضاع المقررة في قانون الدولة الطالبة، أو صورة رسمية مما تقدم.

ب ـ بيان بالأفعال المطلوب التسليم من أجلها، يوضح فيه زمان ومكان ارتكابها وتكييفها القانوني مع الإشارة إلى المواد القانونية المطبقة عليها، وصورة من هذه المواد.

ج ـ أوصاف الشخص المطلوب تسليمه بأكبر قدر ممكن من الدقة، وأية بيانات أخرى من شأنها تحديد شخصه وجنسيته وهويته.

المادة الرابعة والعشرون

١ ـ للسلطات القضائية في الدولة الطالبة، أن تطلب من الدولة المطلوب إليها- بأي طريق من طرق الاتصال الكتابية ـ حبس (توقيف) الشخص احتياطيًا إلى حين وصول طلب التسليم.

٢ ـ ويجوز في هذه الحالة للدولة المطلوب إليها التسليم أن تحبس (توقف) الشخص المطلوب احتياطيًا، وإذا لم يقدم طلب التسليم مصحوبًا بالمستندات اللازمة المبينة في المادة السابقة، فلا يجوز حبس (توقيف) الشخص المطلوب تسليمه مدة تزيد على ثلاثين يومًا من تاريخ إلقاء القبض عليه.

المادة الخامسة والعشرون

على الدولة الطالبة أن ترسل طلبًا مصحوبًا بالمستندات المبينة في المادة الثالثة والعشرين من هذه الاتفاقية، وإذا تبينت الدولة المطلوب إليها التسليم سلامة الطلب. تتولى السلطات المختصة فيها تنفيذه طبقًا لتشريعها على أن تحاط الدولة الطالبة دون تأخير بما اتخذ بشأن طلبها.

المادة السادسة والعشرون

١ ـ في جميع الأحوال المنصوص عليها في المادتين السابقتين، لا يجوز أن تتجاوز مدة الحبس الاحتياطي ستين يومًا من تاريخ القبض.

٢ ـ يجوز الإفراج المؤقت خلال المدة المعينة في الفقرة السابقة، على أن

تتخذ الدولة المطلوب إليها التسليم التدابير التي تراها ضرورية للحيلولة دون هروب الشخص المطلوب.

٣ ـ لا يحول الإفراج دون إعادة القبض على الشخص وتسليمه إذا ورد طلب التسليم بعد ذلك.

المادة السابعة والعشرون

إذا رأت الدولة المطلوب إليها التسليم حاجتها إلى إيضاحات تكميلية للتحقق من توافر الشروط المنصوص عليها في هذا الفصل، تخطر بذلك الدولة الطالبة، وتحدد لها موعدا لاستكمال هذه الإيضاحات.

المادة الثامنة والعشرون

إذا تلقت الدولة المطلوب إليها عدة طلبات تسليم من دول مختلفة إما عن ذات الأفعال أو عن أفعال مختلفة، فيكون لهذه الدولة أن تفصل في هذه الطلبات مراعية كافة الظروف، وعلى الأخص إمكان التسليم اللاحق، وتاريخ وصول الطلبات، ودرجة خطورة الجرائم، والمكان الذي ارتكبت فيه.

الفصل الثاني: إجراءات الإنابة القضائية

المادة التاسعة والعشرون

يجب أن تتضمن طلبات الإنابة القضائية البيانات الآتية:

(أ) الجهة المختصة الصادر عنها الطلب.

(ب) موضوع الطلب وسببه.

(ج) تحديد هوية الشخص المعنى بالإنابة وجنسيته بقدر الإمكان.

(د) بيان الجريمة التي تطلب الإنابة بسببها، وتكييفها القانوني، والعقوبة المقررة على مقارفتها، وأكبر قدر ممكن من المعلومات عن ظروفها، بما يمكن من دقة تنفيذ الإنابة القضائية.

المادة الثلاثون

١ ـ يوجه طلب الإنابة القضائية من وزارة العدل في الدولة الطالبة، إلى

وزارة العدل في الدولة المطلوب إليها، ويعاد بنفس الطريق.

٢ ـ في حالة الاستعجال، يوجه طلب الإنابة القضائية مباشرة من السلطات القضائية في الدولة الطالبة، إلى السلطات القضائية في الدولة المطلوب إليها. وترسل صورة من هذه الإنابة القضائية في نفس الوقت، إلى وزارة العدل في الدولة المطلوب إليها، وتعاد الإنابة القضائية مصحوبة بالأوراق المتعلقة بتنفيذها بالطريق المنصوص عليه في البند السابق.

٣ ـ يمكن أن يوجه طلب الإنابة القضائية مباشرة من الجهات القضائية، إلى الجهة المختصة في الدولة المطلوب إليها، ويجوز أن تحال الردود مباشرة عن طريق هذه الجهة.

المادة الحادية والثلاثون

يتعين أن تكون طلبات الإنابة القضائية والمستندات المصاحبة لها موقعًا عليها ومختومة بخاتم سلطة مختصة أو معتمدة منها. وتعفى هذه المستندات من كافة الإجراءات الشكلية التي قد يتطلبها تشريع الدولة المطلوب إليها.

المادة الثانية والثلاثون

إذا كانت الجهة التي تلقت طلب الإنابة القضائية غير مختصة بمباشرته، تعين عليها إحالته تلقائيًا إلى الجهة المختصة في دولتها، وفى حالة ما إذا أرسل الطلب بالطريق المباشر. فإنها تحيط الدولة الطالبة علمًا بنفس الطريق.

المادة الثالثة والثلاثون

كل رفض للإنابة القضائية يجب أن يكون مسببا.

الفصل الثاني: إجراءات حماية الشهود والخبراء

المادة الرابعة والثلاثون

إذا قدرت الدولة الطالبة أن لحضور الشاهد أو الخبير أمام سلطتها القضائية أهمية خاصة، فانه يتعين أن تشير إلى ذلك في طلبها، ويتعين أن يشتمل الطلب أو التكليف بالحضور على بيان تقريبي بمبلغ التعويض ونفقات السفر

والإقامة وعلى تعهدها بدفعها، وتقوم الدولة المطلوب إليها بدعوة الشاهد أو الخبير للحضور، وبإحاطة الدولة الطالبة بالجواب.

المادة الخامسة والثلاثون

١ ـ لا يجوز توقيع أي جزاء أو تدبير ينطوي على إكراه قبل الشاهد أو الخبير الذي لم يمتثل للتكليف بالحضور، ولو تضمنت ورقة التكليف بالحضور بيان جزاء التخلف.

٢ ـ إذا حضر الشاهد أو الخبير طواعية إلى إقليم الدولة الطالبة، فيتم تكليفه بالحضور وفق أحكام التشريع الداخلي لهذه الدولة.

المادة السادسة والثلاثون

١ ـ لا يجوز أن يخضع الشاهد أو الخبير للمحاكمة أو الحبس أو تقييد حريته في إقليم الدولة الطالبة عن أفعال أو أحكام سابقة على مغادرته لإقليم الدولة المطلوب إليها، وذلك أيا كانت جنسيته، طالما كان مثوله أمام الجهات القضائية لتلك الدولة بناء على تكليف بالحضور.

٢ ـ لا يجوز أن يحاكم أو يحبس أو يخضع لأي قيد على حريته في إقليم الدولة الطالبة أي شاهد أو خبير ـ أيا كانت جنسيته ـ يحضر أمام الجهات القضائية لتلك الدولة بناء على تكليف بالحضور عن أفعال أو أحكام أخرى غير مشار إليها في ورقة التكليف بالحضور وسابقة على مغادرته أراضى الدولة المطلوب إليها.

٣ ـ تنقضي الحصانة المنصوص عليها في هذه المادة إذا بقى الشاهد أو الخبير المطلوب في إقليم الدولة الطالبة ثلاثين يومًا متعاقبة، بالرغم من قدرته على مغادرته بعد أن أصبح وجوده غير مطلوب من الجهات القضائية، أو إذا عاد إلى إقليم الدولة الطالبة بعد مغادرته.

المادة السابعة والثلاثون

١ ـ تتعهد الدولة الطالبة باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لكفالة حماية

الشاهد أو الخبير من أية علانية تؤدى إلى تعريضه أو أسرته أو أملاكه للخطر الناتج عن الإدلاء بشهادته أو بخبرته وعلى الأخص:

أ ـ كفالة سرية تاريخ ومكان وصوله إلى الدولة الطالبة، ووسيلة ذلك.

ب ـ كفالة سرية محل إقامته وتنقلاته وأماكن تواجده.

ج ـ كفالة سرية أقواله ومعلوماته التي يدلى بها أمام السلطات القضائية المختصة.

٢ ـ تتعهد الدولة الطالبة بتوفير الحماية الأمنية اللازمة التي تقتضيها حالة الشاهد أو الخبير وأسرته وظروف القضية المطلوب فيها، وأنواع المخاطر المتوقعة.

المادة الثامنة والثلاثون

١ ـ إذا كان الشاهد أو الخبير المطلوب مثوله أمام الدولة الطالبة محبوسًا في الدولة المطلوب إليها، فيجرى نقله مؤقتًا إلى المكان الذي ستعقد فيه الجلسة المطلوب سماع شهادته أو خبرته فيها، وذلك بالشروط وفى المواعيد التي تحددها الدولة المطلوب إليها، ويجوز رفض النقل:

أ ـ إذا رفض الشاهد أو الخبير المحبوس.

ب ـ إذا كان وجوده ضروريًا من أجل إجراءات جنائية تتخذ في إقليم الدولة المطلوب منها.

ج ـ إذا كان نقله من شأنه إطالة أمد حبسه.

د ـ إذا كانت هناك اعتبارات تحول دون نقله.

٣ ـ يظل الشاهد أو الخبير المنقول محبوسًا في إقليم الدولة الطالبة إلى حين إعادته إلى الدولة المطلوب إليها، ما لم تطلب الدولة الأخيرة إطلاق سراحه.

الباب الرابع: أحكام ختامية

المادة التاسعة والثلاثون

تكون هذه الاتفاقية محلا للتصديق عليها أو قبولها أو إقرارها من الدول

الموقعة، وتودع وثائق التصديق أو القبول أو الإقرار لدى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في موعد أقصاه ثلاثون يومًا من تاريخ التصديق أو القبول أو الإقرار، وعلى الأمانة العامة إبلاغ سائر الدول الأعضاء بكل إيداع لتلك الوثائق وتاريخه.

المادة الأربعون

١ ـ تسري هذه الاتفاقية بعد مضى ثلاثين يوماً من تاريخ إيداع وثائق التصديق عليها أو قبولها أو إقرارها من سبع دول عربية.

٢ ـ لا تنفذ هذه الاتفاقية بحق أية دولة عربية أخرى، إلا بعد إيداع وثيقة التصديق عليها أو قبولها أو إقرارها لدى الأمانة العامة للجامعة، ومضى ثلاثين يومًا من تاريخ الإيداع.

المادة الحادية والأربعون

لا يجوز لأية دولة من الدول المتعاقدة أن تبدى أي تحفظ ينطوي صراحة ضمنًا على مخالفة لصوص هذه الاتفاقية، أو خروج عن أهدافها.

المادة الثانية والأربعون

لا يجوز لأية دولة متعاقدة أن تنسحب من هذه الاتفاقية إلا بناء على طلب كتابي، ترسله إلى أمين عام جامعة الدول العربية.

يرتب الانسحاب أثره بعد مضى ستة شهور من تاريخ إرسال الطلب، إلى أمين عام جامعة الدول العربية.

وتظل أحكام هذه الاتفاقية نافذة في شأن الطلبات التي قدمت قبل انقضاء هذه المدة.

حررت هذه الاتفاقية باللغة العربية بمدينة القاهرة/ جمهورية مصر العربية في ١٤١٨/١٢/٢٥هـ، الموافق ١٩٩٨/٤/٢٢م، من أصل واحد مودع بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ونسخة مطابقة للأصل تحفظ بالأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب، وتسلم كذلك نسخة مطابقة للأصل لكل

طرف من الأطراف الموقعة على هذه الاتفاقية أو المنضمة إليها.

وإثباتا لما تقدم، قام أصحاب السمو والمعالي وزراء الداخلية والعدل العرب، بتوقيع هذه الاتفاقية، نيابة عن دولهم.

ثمة ملاحظات مهمة فالاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب خلت من الإشارة لإرهاب الأنظمة وهو الذي قد يكون إرهاب الفعل، أما إرهاب الأفراد والمنظمات الثورية والسياسية فقد يكون إرهاب رد فعل، وان كانت الاتفاقية قد نجحت في استثناء الكفاح المسلح من اجل تحرير الأرض من الاحتلال والعدوان الأجنبي وهو ما يصب في صالح الحركات المسلحة في فلسطين ولبنان والعراق إلا إنها تخلوا في نفس الوقت من الإشارة إلى مبادئ وقيم ونظم دولية تتجه إليها المنظومة الإنسانية العالمية كالديمقراطية وحقوق الإنسان وحكم القانون ومنع التمييز بمختلف أشكاله ومبرراته.

إن استثناء الكفاح السلمي ضد الأنظمة القمعية والشمولية والدكتاتورية التي تمارس الاضطهاد بمفهومه الحسي والقانوني من الاتفاقية أمر يثير المخاوف لدى الحقوقيين إذ يقول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان« إن التمرد على الاستبداد والظلم يضطر إليه المرء آخر الأمر إذا افتقر لعامل جوهري هو أن يتولى القانون ضمان حقوق الإنسان «ومن الملاحظ في القوانين العربية على وجه الخصوص عدم التفريق بين ما تعتبر جرائم رأي والجنايات الإرهابية ونسبية جرائم الرأي فقد يطلق الرأي لخصوصية معينة وقصد محدد ولكنه يفسر بمقتضى يتجه إلى الإرهاب سواء كان تقليدي أو غير تقليدي».

إن الأنظمة القانونية والدستورية في العالم العربي يعوزها التوافق بين النظرية والتطبيق واستكمال مبانيها الحقوقية في مختلف جوانبها حتى يمكن اعتبار هذه الاتفاقية شرعية في تكوينها ومنضبطة مع الإجماع القانوني الدولي.

تقول الاتفاقية إنها «تدين كل عمل من أعمال العنف وكل تديد باللجوء إلى العنف مهما كانت دوافعه وأهدافه، ويقصد إلى القيام بعمل إجرامي ضد الأفراد والموعات وهذا يجرنا إلى التساؤل عما إذا كانت الأنظمة قد وضعت أجهزتا الأمنية في محك المراقبة والاختبار حتى لا تقع في

مطية الإدانة المقصودة في الاتفاقية، فالأجهزة الأمنية العربية الأكثر عرضة للإدانة من قبل منظمات حقوق الإنسان العالمية على مدار العام.

وتخلو الاتفاقية العربية من أي ارتباط تكاملي مع أية اتفاقية أخرى تعالج ظاهرة الإرهاب من جذورها الحيوية والأساسية وكأن الأنظمة تعتمد الحل الأمني كسبيل وحيد للمعالجة دون اللجوء إلى حلول أخرى أكثر شفافية واعتدال وملائمة كمحاربة الفساد والرشوة وتحسين الوضع الاقتصادي والمعيشي للمواطن العربي وزيادة الاستثمارات وشفافية قوانينه وتيئة مناخ صحي للحريات الشخصية والجماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية وإنشاء وتفعيل مؤسسات ا لتمع المدني.

إن هذه الاتفاقية في مضمونا وأهدافها تخص الأنظمة دون شعوبا وتصب في صالح بقاء النظام السياسي العربي كما هو دون بلورته في نطاق أكثر ايجابية وتفاعل مع القواعد الشعبية التي تتطلع للانعتاق من قيود السلطة المركزية لتعيش في ظل نظام أكثر حرية وايجابية.

وتعاني الاتفاقيات الدولية لمكافحة الإرهاب والعنصرية والتعصب الديني والعرقي من سوء التطبيق وازدواجية المعايير، فالتمييز العنصري جريمة إرهابية لأنا تدف إلى المحافظة على الحكم عن طريق التمييز المؤدي إلى إشاعة الخوف والرعب والتهديد وهذا ما ينطبق على إسرائيل في سياستها ضد سكانا من العرب من مواطني أراضي عام ١٩٦٧م، يقول د.محمد عزيز شاكر« وليس بمقدور المرء إلا أن يصاب بالحيرة حينما يقارن الحماس الذي يلون الحملة المضادة لخطف الطائرات واخذ الرهائن وخطف الأشخاص وغيرها من أشكال عنف الترهيب الفردي مع ما يتسم به موقف (صليبيي) الإرهاب المضاد أنفسهم من صمت مطبق وغلظة قلب إزاء النكبة التي تعانيها الضحايا البريئة لسياسات التمييز العنصري التي تمارس على نحو منتظم مع سبق التصور والتصميم.... حينما خرجت (لجنة الإرهاب الدولي) التابعة لجمعية القانون الدولي بمشروع اتفاقية موحدة بشان الرقابة القانونية للإرهاب الدولي في عام ١٩٨٠م اعترفت بحقيقة أن الإرهاب لا يعد حتى ألان جريمة بحد ذاتا طبقا

للقانون الدولي وقد حاولت حينئذ في المادة الأولى تحديد مفهوم الجرائم الإرهابية في صورة عامة وحيدة، إنا حاولت إيجاد جريمة إرهاب دولي يحظرها القانون الدولي عوضا عن ترك ما يدعى بالأنشطة الإرهابية (كضيوف) على (مضيف) يدعى الإرهاب... وجاء في هذه المادة ما يلي: جريمة الإرهاب الدولي هي أي عمل عنف خطر أو التهديد به يصدر عن فرد سواء كان يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع أفراد آخرين، ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو الأمكنة وأنظمة النقل أو المواصلات أو ضد أفراد الجمهور العام بقصد تديد هؤلاء الأشخاص أو التسبب بجرح أو موت هؤلاء الأشخاص أو تعطيل فعاليات هذه المنظمات الدولية أو التسبب في إلحاق الخسارة أو الضرر أو الأذى بذه الأمكنة أو الممتلكات أو العبث بأنظمة النقل والمواصلات هذه بدف تقويض علاقة الصداقة بين الدول، كما أن التآمر على ارتكاب أو محاولة ارتكاب أو الاشتراك في ارتكاب أو التحريض العام على ارتكاب الجرائم كما عرف في الفقرة السابقة يشكل جريمة إرهاب دولي «يبدوا أن هذا التعريف معني بفئات معينة من البشر والشخصيات المحمية دوليا وفئات معينة من الأماكن والمباني.. وعلى الرغم من ذلك فانه لا تبذل إلا القليل من العناية إذا بذل مثل هذه العناية أصلا بالكتل البشرية التي تعد بالملايين حين تواجه العدوان والفصل العنصري وإبادة الجنس.. ولكي نكون أكثر تحديدا كيف يمكن تبرير نسف البيوت وأحيانا نسف قرى بأكملها من قبل إسرائيل في جنوب لبنان أو في فلسطين أو حتى في طرابلس الغرب أو في سراييفو أو غروزني؟ إلا باعتباره عمل ترهيب موجها ضد اللبنانيين أو الفلسطينيين والليبيين والبوسنيين والشيشان! ذلك أن العنصر الدولي متوفر هنا بمعنى أن مرتكبي أعمال الترهيب هم إما إسرائيليون أو أمريكيون أو عملائهم الذين يقدمون على ارتكاب هذه الأعمال الشريرة»[1].

إن موجهة الإرهاب العاتية التي تضرب الشرق الإسلامي والعربي وان

---

(١) الإرهاب الدولي ص ١١٥ ـ ١١٦.

كان لها جذورها التاريخية والأيدلوجية إلا أن الأنظمة الشمولية الحاكمة كان لها دور بارز في تنظيم حركتها وبناء قواعدها الشعبية ودعمها ماليا، فالسعودية واليمن ومصر شجعت ذهاب الشباب العربي للقتال في أفغانستان التي كان لها دور هام للغاية في احتضان الحركات الإسلامية الإرهابية فيما بعد وذلك تحت شعار الجهاد الإسلامي إلا انه كان يخفي وراءه أهداف إستراتيجية للنظام الأمريكي والغربي على وجه العموم حيث إن الولايات المتحدة قامت بدعم المجاهدين الأفغان وحلفائهم من العرب ليحاربوا نيابة عن المعسكر الغربي الرأسمالي ضد المعسكر الشيوعي فبلغ الدعم العربي مجتمعا عدا الغربي والأمريكي أكثر من ٢٠ مليار دولار خلال ١٠ سنوات فقط مقارنة بمليار دولار قدمت للشعب الفلسطيني خلال نفس الفترة !.

نماذج لدول قامت على الإرهاب والتعصب

١ ـ الاتحاد السوفييتي ـ ١٩١٧ ـ ١٩٩٢ م

قام الاتحاد السوفييتي على اثر سقوط نظام القياصرة الملكي المطلق في روسيا واعتلاء الشيوعيين وعلى رأسهم لينين السلطة عام ١٩١٧م، قامت الثورة الشيوعية الكبرى بعد هزيمة روسيا في الحرب العالمية الأولى وبعد سقوط ما يقارب من ٨ ملايين روسي كضحايا للحرب التي است فت روسيا في الأرواح والممتلكات والاقتصاد ودمرت الحياة الإنسانية في روسيا الملكية، اعدم القيصر وعائلته عام ١٩١٨م وناد الشيوعيون سياسيين ومنظرين بقيادة لينين بإزالة الفروقات الضيقة اجتماعيا واقتصاديا والعمل النهضوي المحموم من إنشاء «المجتمع السعيد» وعلى أثرها شكلت اللجان العمالية التي تولت الإشراف على وسائل الإنتاج وإنشاء مجمعات صناعية وزراعية ضخمة تدف إلى ازدهار اقتصادي سريع عبر النشاط الاقتصادي الاشتراكي وإلغاء الملكية الفردية الكبرى.

وناد الشيوعيون بمقولة «الدين أفيون الشعوب» وبخطورته على الشعب لأنه يدعوه إلى «الخضوع» للسلطة كما كان ذلك في العهد القيصري عندما

دعت الكنيسة إلى الاستجابة لأوامر القيصرية الروسية. اصدر الحزب الشيوعي أوامره بإغلاق الكنائس والمساجد وحظر الشعائر الدينية وتحريم التعليم الديني.

كانت هناك مقاومة لسياسات الشيوعيين المناهضة للدين ذهب ضحيتها اللالاف، نشرت صحيفة «البرافدا» عام ١٩٢٣م إحصائية جاء فيها: إن أعضاء هيئة التشيكا الذين بلغوا مائة ألف عضو انتخبوا من أعظم المتحمسين للنظام الجديد وتغلغلوا في جميع مقاطعات روسيا وقد قامت هيئة التشيكا في جميع الاتحاد السوفييتي بإعدام ٢٨ أسقفا و ٣٧١٥ كاهنا و٩٥٧٥ مدرسا و٨٨٠٠ طبيبا و١٠٥,٠٠٠ ضابط من ضباط البوليس و ٤٨٠٠٠ رجلا من رجال البوليس و٢٥٨٥٠ موظفا بالحكومة و ٢٦٠٠٠٠ ضابط[1].

وبعد وفاة لينين خلفه ستالين ولم يكن بأقل دموية منه فقد قام بتصفية خصومه السياسيين، فمن بين ١٣٩ ممن انتخبوا في المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي، ٩٨ منهم اعتقلوا واعدموا رميا بالرصاص بين عامي ١٩٢٧ ـ ١٩٣٨ ومن بين ١٩٦٦ مندوب من مندوبي اللجان العمالية القي القبض على ١١٠٨ مندوب بتهمة ارتكاب جرائم مناهضة للثورة.

وفي عام ١٩٢٩م كانت هناك طبقة من ملاك الأراضي بعد أن أجازها قانون خاص أصدره لينين فعمد ستالين إلى نزع ملكية الأراضي منهم وإعادتا إلى اللجان العالمية، فقام الملاك بمناهضة السلطة فأوعز ستالين للجيش الأحمر بتصفيتهم، فدارت رحى معارك رهيبة حصدت أرواح أكثر من ٥ ملايين مواطن.

راح ضحية الحكم الشيوعي في عهد ستالين أكثر من ٥٠ مليون إنسان ما بين عامي ١٩٢٧ ـ ١٩٥٣م، يزيد هذا الر قم ب ١٥ مرة عن ضحايا الزعيم الألماني «هتلر» في ألمانيا وأوربا و بـ ٤ مرات عن ضحايا روسيا في الحرب العالمية الثانية و بـ ٤ مرات عن خسائرها البشرية في الحرب العالمية الأولى.

---

(١) ستالين ولينين ص ٥٤.

تمت تصفية أكثر من ١٠ ملايين فلاح لرفضهم تحويل مزارعهم للتعاونيات الاشتراكية، في عام ١٩٨٩م قال تقرير للمخابرات الروسية أن الرقم الحقيقي لا يقل عن ٣٦ مليون مواطن، أما المؤرخ البريطاني تورماس ديفيدن فيقدر العدد ب ٥٤ مليون إنسان، ويقول الأديب الروسي المنشق والحائز على جائزة نوبل للسلام «الكسندر سولزنين» إن عدد ضحايا ليني وستالين يزيد عن ٦٦ مليون إنسان، أما المؤرخة الانجليزية «كاثرين مارديل» فتقول في كتابا الأخير «الموت والذاكرة في روسيا» بان إجمالي الضحايا يقدر بـ ٥٠ مليون.

٢ـ إسرائيل ـ تأسست عام ١٩٤٨ م

بدا تدفق اليهود على ارض فلسطين التاريخية خلال الاستعمار البريطاني لفلسطين، في عام ١٩٢٠م تأسست أول مجموعة مسلحة لليهود أطلق عليها «الكيبوتسات» وهدفت إلى حماية المستوطنين اليهود، وبدا عنفها في عام ١٩٢٢م عندما اندلعت المظاهرات في مدينة يافا حيث قتلت أكثر من ١٠ مواطنين فلسطينيين وأصابت أكثر من ٧٠ آخرين، وفي أواخر نفس العام تأسست مجموعة يهودية مسلحة أطلق عليها اسم «هليس» وقد تلقت تدريبا بريطانيا مباشرا، كانت الموعات المسلحة اليهودية في بداية نشأتا تدف إلى حماية المستوطنين والتجمعات السكانية اليهودية إلا أنا غيرت إستراتيجيتها في عام ١٩٣٧م فعمدت إلى مهاجمة السلطة البريطانية بغية إجلائها وطرد السكان العرب وإقامة دولة إسرائيل، نشئت مجموعة تدعى«أرغون تسيفي» وانشقت عنها مجموعة عرفت بـ«شنيون» نسبة لقائدها افراهام شنيون وأعلنت حرب علنية على بريطانيا في حين كانت الجماعة الأم لم تعلن بعد حربا علنية على البريطانيين.

بين أعوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م قتلت الموعات اليهودية المسلحة ما يقارب من ١٥٠ فلسطيني على الطرقات والمعابد والأماكن العامة، ومنذ عام ١٩٣٤ أصبح الجيش البريطاني هدفا لأعمال العنف والإرهاب، فقتل أكثر من

١٠ جنود بريطانيون في هجمات متفرقة على قواعد للجيش ومراكز للسلطة، كما قتل أكثر من ٣٠٠ شخص من المدنيين والشخصيات العسكرية البريطانية إلى ما قبل الانسحاب البريطاني عام ١٩٤٨م.

ومن المجازر التي ارتكبتها المجموعات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني قبل نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ م ما يلي:

- مذبحة قريتي الشيخ وحواسة (٣١ ديسمبر عام ١٩٤٧م) وقد تم الهجوم على القريتين من قبل عصابات تدعى الهاغانا وكانت الحصيلة ٦ من المدنيين.

- الهجوم على قرية سعسع في الخليل ليلة ١٤ - ١٥ فبراير عام ١٩٤٨ وتم نسف ٢٠ م لا على ساكنيها وأسفر ذلك عن استشهاد ٦٠ مواطنا معظمهم من النساء والأطفال.

- مذبحة دير ياسين (٩ ابريل ١٩٤٨) على يد منظمة الارجون بزعامة مناحم بيجن بالاتفاق مع الهاجاناه واستشهد فيها حوالي ٢٦٠ شهيد عدا الجرحى.

- مذبحة ناصر الدين (١٤ ابريل ١٩٤٨) هاجم الإرهابيون اليهود قرية ناصر الدين وهم يرتدون ملابس عربية وفتحوا نيران أسلحتهم على الناس فأردوا حوالي ١٠٠ فلسطيني ودمروا جميع منازل القرية.

في عام ١٩٤٨م انسحبت بريطانيا من فلسطين وذلك عقب صدور قرار التقسيم، قتل أكثر من ٢٣٠٠ فلسطيني حين بدأت حرب إبادة في شوارع تل أبيب ويافا وحيفا، قتل اليهود أكثر من ١٦٠ فلسطيني وجرح أكثر من ٣٠٠ في هجمات متفرقة، كما قتل أكثر من ١٥ فلسطيني وجرح ٣٠ في هجمات على الباصات وأماكن التجمعات العربية،هاجم اليهود خطوط السكة الحديدة فقتل أكثر من ٩٣ وأصيب ١٦٠ آخرين.

كما هاجم اليهود أكثر من ١٧ قرية عربية حيث كانت المجموعات المسلحة تحاصر القرية ومن تم بذات بإطلاق النار فيها، وقد ذهب ضحية هذه المجازر أكثر من ٦٠٠ فلسطيني.

مع قيام دولة إسرائيل اجبر أكثر من مليون فلسطيني على ترك أراضيهم لليهود واللجوء إلى الدول العربية المجاورة، بعد التأسيس واعتراف العالم بإسرائيل قامت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بالإشراف على ارتكاب عشرات المجازر بحق الشعوب العربية، في فلسطين ولبنان والأردن وسوريا ومصر،ومن أهم حلقات هذه المجازر الاسرائلية البشعة ما يلي:

ـ مذبحة قلقيلية (١٠/١٠/١٩٥٣) هاجمت قوات الدفاع الإسرائيلي قرية قلقيلية فاستشهد ٧٠ فلسطينيا وهم يدافعون عن قريتهم.

ـ مذبحة قبية (١٥/١٠/١٩٥٣) أغارت قوات إسرائيلية بقيادة رئيس وزراء إسرائيل الحالي ارييل شارون على قرية قبية التي كانت أنداك تحن الإدارة الأردنية وأسفرت عن قتل ٦٩ مواطنا فلسطينيا وتم نسف ٤١ منزلا ومسجدا وخزان مياه القرية.

ـ مذبحة نحالين (٢٩/٣/١٩٥٤) قامت قوات إسرائيلية باجتياز خط الهدنة بالضفة الغربية وهاجمت قرية نحالين حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات السكان مما أدى إلى مقتل ١١ مواطنا وجرح ١٤ عشر آخرين

ـ مذبحة كفر قاسم ٢٩/١٠/١٩٥٦ استشهد فيها ٤٩ فلسطيني بمن فيهم النساء والأطفال.

ـ مذبحة صبرا وشاتيلا (١٦-١٨ سبتمبر ١٩٨٢): صبرا وشاتيلا من مخيمات لبنان وقد وقعت هذه الجريمة الإرهابية المروعة أثناء الحرب الأهلية اللبنانية بمساندة عملاء لبنانيين واستمر تنفيذها لأكثر من يوم كامل وكانت الحصيلة أكثر من ٤٠٠٠ فلسطيني ولبناني.

ـ مذبحة بحر البقر (٨/٤/١٩٧٠) قامت الطائرات الإسرائيلية بالهجوم على مدرسة صغيرة في قرية بحر البقر المصرية وأسفرت الغارة عن مقتل ١٩ طفلا وجرح ٦٠ آخرين.

ـ مذبحة قانا (١٨/٤/١٩٩٦م) شنت إسرائيل عملية عسكرية واسعة في لبنان أطلقت عليها اسم«عناقيد الغضب»، لجا العشرات من سكان قرية قانا إلى إحدى معسكرات قوات حفظ السلام الدولية طلبا للحماية من القصف

المتواصل إلا أن الطائرات الحربية الإسرائيلية أغارت على المعسكر مما آذى إلى استشهاد ١٨٠ شخص العديد منهم من النساء والأطفال وكبار السن وبلغ عدد الجرحى ما يزيد عن ٢٦٨.

ـ في إحصائيات من مصادر فلسطينية بلغ عدد الشهداء في الانتفاضة الفلسطينية الأولى نحو ألف شهيد و٩٠ ألف جريح ومصاب و١٥ ألف معتقل وتدمير ونسف ١٢٢٨ م ل واقتلاع ١٤٠ ألف شجرة من الحقول الفلسطينية.

مذاهب قامت على الإرهاب والتعصب

١ ـ الخطابية: أسسها محمد ين أبي زينب الكوفي المكنى بابي الخطاب في القرن الثاني عشر الهجري، نسب أبي الخطاب نفسه إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فقال بأنه مرسل من قبله ثم قال بان الإمام نبي مرسل ثم قال بإلوهيته، المصادر التي بين أيدينا لم تبين دوافع زعيم هذه الفرقة للقول بهذه الآراء المخالفة لأصول الدين الإسلامي بكافة طوائفه وفرقه وحيثيات العقل والمنطق الإسلامي، إلا أن الإمام الصادق (عليه السلام) كما تشير مصادر التاريخ بأجمعها أعلن براءته من هذه الطائفة ودعا أتباعه إلى البراءة منهم، ألقت السلطات العباسية القبض على ابن الخطاب وأمرت بقتله صلبا إلا أن الفرقة الخطابية لم تنقرض وافترقت إلى ٥ فرق جميعها تزعم بإلوهية الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، من ابرز عقائدها أن الإمام الصادق اله وان طبيعته تختلف عن باقي البشر وان الأئمة أنبياء وآلة وان الحسن والحسين وأولادهما أبناء الله وأحبائه وان الإمام الصادق جعل أبي الخطاب وصيه وقد علمه الاسم الأعظم، وان ابن الخطاب لم يقتل ولا قتل احد من أصحابه وإنما لبس القوم وشبه لهم كما النبي عيسى ابن مريم (عليه السلام).

وتقول الفرقة بكفر أبي بكر وعمر وعثمان وأكثرية الصحابة لأنهم خرجوا على الإمام علي(عليه السلام) وأبعدوه عن مكانته المفترضة ومن عقائدها الركيزة «عبادة الأئمة واجبة» بتأويل قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

جاء في الملل والنحل للشهرستاني «لزم أنصار الفرقة الخطابية المسجد بالكوفة واظهروا التعبد، ولزم كل رجل منهم اسطوانة، وكانوا يدعون الناس إلى أمرهم سرا، فبلغ خبرهم الوالي العباسي على الكوفة عيسى بن موسى وأنهم قد أظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى نبوة أبي الخطاب، فبعث إليهم رجلاً من أصحابه في خيل ورجالة ليأخذهم ويأتيه بهم فامتنعوا عليه وكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجارة والسكاكين وجعلوا القصب مكان الرماح، وكان أبو الخطاب يقول لهم: قاتلوهم فان قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسائر السلاح ورماحهم وسلاحهم لا يضركم ولا يعمل فيكم ولا يحتك في أبدانكم، فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلا صاحوا يا سيدنا ما ترى ما يحل بنا من هؤلاء القوم؟ ولا ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر وقد يكسر كله؟ ذكر بعض الرواة انه قال: لهم يا قوم إن كان بدا الله فيكم فما ذنبي؟ وقال آخرون انه قال لهم: يا قوم قد بليتم وامتحنتم واذن في قتلكم وشهادتكم، فقاتلوا على دينكم واحسابكم ولا تعطوا بأيديكم فتذلوا مع أنكم لا تتخلصون من القتل، فموتوا كراماً أعزاء واصبروا فقد وعد الله الصابرين أجرا عظيما، وانتم الصابرون، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وأسر أبو الخطاب فأُتي به عيسى بن موسى فأمر بقتله فضربت عنقه في (دار الرزق) على شاطئ الفرات، وأمر بصلبه وصلب أصحابه فصلبوا، ثم أمر بعد مدة بإحراقهم فاحرقوا، وبعث برؤوسهم إلى أبي جعفر المنصور فأمر بها فصلبت على مدينة بغداد ثلاثة أيام ثم أحرقت»[2].

٢ ـ الوهابية: فرقة سنية متشددة نشئت في عام ١١٤٣هـ ـ، أسسها الشيخ محمد عبد الوهاب وتدعو إلى أحياء مذهب ابن تيمية المبني على قواعد الفقه الحنبلي.

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩.

(٢) الشهرستاني، أبو الفتح، موسوعة الملل والنحل.

ووجهت دعوته بالرفض في الجزيرة العربية وعارضه العديد من العلماء من ضمنهم والده وأخوه الشيخ سليمان.

تحالف في مستهل أمره مع أمير العينية عثمان بن معمر على أن تتم له أمور الدعوة وللأخير شئون الدولة إلا أن هذا التحالف سرعان ما اثار فوالي الاحساء والقطيف سليمان الحميد طلب من عثمان التخلص من الشيخ، فعزم على قتله فأخرجه من العينية بصحبة رجلا إلا أن الأخير لم يجرا على قتله فأخلى سبيله، يقول فيليب في تاريخ نجد «قرر عثمان أن يتخلص من ضيفه فطلب منه أن يختار المكان الذي يريد الذهاب أليه فاختار الدرعية فأرسل عثمان له رجلا اسمه فريد وكلفه أن يقتل الشيخ في الطريق ولكن فريد خذلته إرادته وقفل راجعا دون أن يمسه بسوء»[1].

ثم تحالف الشيخ مع الأمير السعودي محمد بن سعود، ويقضي الاتفاق على أن تكون الإمامة في آل سعود ونشر الدعوة عن طريق الجهاد، وقد ساعدت معتقدات ابن عبد الوهاب في سرعة انجاز الاتفاقية بين الطرفين لأنا تحرم الخروج على الحاكم ما دام ملتزما بالشريعة التي يضع قواعدها الشيخ نفسه، وقد قامت الدول السعودية الثلاث على القواعد العقائدية التي أسسها الشيخ محمد عبد الوهاب في القرن الثامن عشر الميلادي وتستند على مجموعة من الأصول العقائدية والفقهية ذات المنحى المتشدد تطبيقا وتفسيرا، وقد استغلت حياة البداوة المتخلفة والوعي المتحجر والنظرة الضيقة للدين والحياة في قبائل الجزيرة العربية في تمرير عقائد ابن عبد الوهاب وجعلها قاعدة للحياة العامة، وكل من يشد عنها يعتبر في اقل الفروض مسلم مبتدع، وعلى هذا المنوال المتطرف و المتشدد والضيق قامت الدول السعودية الثلاث وعليها ارتكبت العديد من المازر بحق شعوب الجزيرة العربية والعراق والشام، من أهم المحطات ما يلي: ـ قام الوهابيون بغزو مدينة البصرة عام ١٢٠٨ ونب مدينة الزبير وقتل العشرات من السكان العزل.

---

(١) تاريخ نجد ص ٣٨.

ـ سنة ١٢١٦هـ ـ أغارت القوات الوهابية على مدينة كربلاء وقتل المئات من السكان ونب خزينة ضريح الإمام الحسين (عليه السلام)

ـ سنة ١٢٢٥هـ ـ غزت جيوش الوهابيين الشام وقتلوا أهل حاضرة موران قتلا ذريعا.

ـ سنة ١٣١٧هـ ـ ـ استولى الملك عبد العزيز على الطائف بعد مجزرة رهيبة ارتكبها جيش الإخوان راح ضحيتها المئات من أهالي الطائف.

ـ سنة ١٣٤٣ سمح الملك عبد العزيز لجيش الإخوان بدم قبور أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ببقيع الغرقد وكذلك قبور الصحابة والتابعين وكادوا يهدمون ضريح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والخليفتين أبي بكر وعمر لولا الاحتجاجات الواسعة من أقصى العالم الإسلامي إلى أدناه واكتفت حكومة الملك بدم أضرحة آل البيت والصحابة والتابعين رغم معارضة العالم الإسلامي لهذا العمل.

ـ سنة ١٢٢٨ قامت الجيوش السلفية بغزو مكة المكرمة وهدم قبة مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومولد أبي بكر الخليفة الأول وقبر السيدة خديجة بن خويلد (رضي الله عنها) زوجة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وكافة القباب التي حول الكعبة.

تاريخ الجبرتي:«لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة اخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها حتى أنم مدوا أربع سحا حير من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك ٤ سنتمترات من الزمرد ونحو ١٠٠ سيف مليئة قرباتا بالذهب الخالص وعليها ياقوت ونصابا من الزمرد»[١].

قال فليب في تاريخ نجد «اقتحم سعود بجيش أبيه كربلاء وبعد حصار قصير أعمل السيف في رقاب أهلها ونبهم، لقد قتل السكان بلا رحمة، في الشوارع، وفي البيوت، ودمر ضريح الحسين، ونب الوهرات التي كانت تغطي الضريح وجمع كل شي ذي قيمة في المدينة»[٢].

---

(١) هذه هي الوهابية ص١٣٩.

(٢) تاريخ نجد ص ٩٩.

وبغض النظر عن معتقدات هذه الفرقة إلا أنا اعتبرت العديد من الفرق الإسلامية الأخرى مبتدعة وشركية وعلى رأسها الشيعة الأمامية والإسماعيلية، كما حاربت التطور العلمي والثقافي والتغير الطبيعي للمجتمعات، كما كان الجهاد الذي دعت إليه شمل شعوب وقبائل المسلمين في أنحاء الجزيرة والعراق والشام لكونم لا يتفقون مع العقيدة الوهابية، أما جهاد الكفار الذين يحتلون الخليج ومعظم بلدان العالم الإسلامي آنذاك فلم تدعوا إليه الوهابية ولم يكن من أجندتا العقائدية وفي هذا تناقض مريب فبعد أن وصلت غزوات الملك السعودي عبد العزيز إلى طريق مسدود سياسيا وعسكريا أبى ذلك قادة جيشه المعروفون باسم «الإخوان» وأصروا على مواصلة القتال واحتلال المزيد من البلدان، ودعوا عبد العزيز إلى قطع العلاقات مع بريطانيا، وان يخير شيعة الاحساء والقطيف ونجران بين الدخول في المذهب الوهابي أو أن يقتلهم، إلا أن الملك السعودي باغتهم وأوقع بم مقتلة رهيبة، إلا أن التيار الوهابي المنشق عن التحالف بين آل سعود وال عبد الوهاب اخذ يطفوا إلى ساحة الأحداث بين الحينة والأخرى ومن أهم حلقات الصراع احتلال الحرم المكي على يد جبهان العتيبي عام ١٩٧٩م ثم بروز نجم أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في التسعينات من القرن الماضي والذي اخذ على عاتقه محاربة الدولة السعودية الثالثة وإقامة دولة إسلامية بديلة.

يقول الشيخ عبد الوهاب «وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور.. وان بعض السلف أخرجهم من الاثنين والسبعين فرقة»[1].

للوهابية مواقف متشددة تجاه الأديان الأخرى وكل من يخالفهم من أتباع المذاهب الإسلامية، شنت عليهم أجهزة الاستخبارات الأمريكية والغربية هجوما ضاريا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والى يومنا هذا ما تزال الضغوطات مستمرة على النظام السعودي لإناء علاقته مع المذهب الوهابي وتحويل المملكة إلى دولة ملكية اقل تشددا وإناء دور المؤسسة الدينية القوي

(١) كتاب التوحيد ص ٥٧.

داخل جهاز الحكم وإتاحة الفرصة للمعتدلين وأتباع المذاهب الأخرى في الحياة العامة على غرار دول الخليج الأخرى إلا أن العائلة المالكة على ما يبدوا متمسكة بخيار التحالف الذي قامت عليه دعائم الدولة السعودية في أدوارها الثلاث.

والى يومنا هذا تعتبر المملكة السعودية من الدول القلائل في العالم التي تستند على الشرعية الدينية وقد أصبحت مصدر قلق دولي على نطاق واسع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م فمن بين ١٩ شخص تبث ١١ سعوديا قيامهم بالهجوم، ويتزعم تنظيم القاعدة المناوئ للولايات المتحدة والغرب أسامة بن لادن وهو سعودي من قبيلة بن لادن المشهورة في الحجاز، وتوالت على المملكة العديد من الاتامات من قوى مختلفة في الولايات المتحدة والغرب بان حكومة المملكة تقدم الدعم بطريقة مباشرة وغير مباشرة للإرهابيين وان البيئة الاجتماعية السعودية تساهم في نشوء أفراد وخلايا إرهابية تقوم بعمليات قاتلة ضد الولايات المتحدة والغرب .

٣ـ الازراقة: إحدى فرق الخوارج أسسها نافع بن الأزرق في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، اتخذت الفرقة مبدأ الجهاد لانتشارها فهاجم أتباعها الأهواز وما حولها واستطاعوا تقوية نفوذهم عن طريق جباية الأموال.

من عقائدهم أن مخالفيهم مشركين وان أطفال مخالفيهم كذلك مشركين سيدخلون النار.

أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم أذا ادعى انه منهم وذلك بان يدفع لهم أسير من مخالفيهم ويأمر بقتله فان قتله صدقوه وان أبى اتموه بالشرك وقتلوه.

ذهبوا إلى تكفير عثمان وطلحة والزبير وعبد الله بن عباس وإنم جميعا في النار.

كفروا علي (عليه السلام) وقالوا إن الله انزل فيه قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

الْخِصَامِ﴾(١)، وصوبوا عبد الله بن ملجم وقالوا إن الله انزل فيه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾(٢) وقالوا بان أكثر دور مخالفيهم دور كفر ويجوز فيها قتل النساء والأطفال

٤ ـ الواقفية: بعد استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) طلب الإمام الرضا (عليه السلام) من بعض أصحاب أبيه منهم علي بن أبي حمزة البطائني وزياد ابن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي أن يدفعوا له الأموال التي بحوزتم فتحججوا بحجج ثم قالوا بان الإمام الكاظم لم يمت وانه راجع إلى الدنيا عن قريب وسوف يدفعون له الأموال عند ظهوره وانه هو القائم المهدي وسوف يملا الأرض عدلا وقسطا، وقال بعضهم انه القائم وقد مات ولا تكون إمامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهرن وقال بعضهم انه قد مات وانه القائم وأنكر بعضهم قتله وقالوا: مات ورفعه الله إليه ويروه عند القيامة وقالوا إن من قام بعده ليس بأئمة ولكنهم خلفاءه واحدا بعد واحد إلى أوان خروجه.

ورد في كتاب الغيبة عن بعض الأصحاب قال: مضى أبو إبراهيم موسى الكاظـ ـم (عليه السلام)، وعند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار، وخمس جوارٍ، ومسكنه بمصر، فبعث إليهم أبو الحسن الرضا (عليه السلام) أن احملوا ما قبلكم من المال وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوارٍ، فاني وارثه وقائم مقامه وقد اقتسمنا ميراثه ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه قبلكم. وكلاماً يشبه هذا، فأما ابن أبي حمزة فانه أنكر ولم يعترف بما عنده، وكذلك زياد القندي، وأما عثمان بن عيسى فانه كتب إليه أن أباك (صلوات عليه) لم يمت، وهو حي قائم، ومن ذكر انه مات فهو مبطل، واعمل على أنه قد مضى كما تقول فلم يأمرني بدفع شيء إليك. وأما الجواري فقد اعتقهن وتزوجت بهن. و ذكر أن الحسن بن احمد بن الحسن بن علي بن فضال قال: كنت أرى عند عمي علي

(١) سورة البقرة آية ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٧.

بن الحسن بن فضال شيخاً من أهل بغداد وكان يهازل عمي، فقال له يوماً: ليس في الدنيا شر منكم يا معشر الشيعة، أو قال الرافضة، فقال له عمي: ولم لعنك الله؟ قال: أنا زوج بنت احمد بن أبي بشر السراج قال لي لما حضرته الوفاة: انه كان عندي عشرة آلاف دينار وديعة لموسى بن جعفر (عليه السلام) فدفعت ابنه عنها بعد موته، وشهدت انه لم يمت فالله الله ! خلصوني من النار وسلموها إلى الرضا (عليه السلام)، فو الله ما أخرجنا حبة ولقد تركناه يصلى في نار جهنم[1].

٥ ـ اليزيدية : ظهرت هذه الفرقة في كردستان ويقول بعض المؤرخين أن أتباعها كانوا يدينون بالوسية في بادئ الأمر ثم اعتنقوا الإسلام جراء الغزوات التي قامت بها الدولة الأموية، طرحت آرائها العقائدية في ظل ظروف تميزت بالهدوء السياسي والعقائدي وتمكنت من جذب بسطاء الناس والمنتفعين، من أشهر قادتها عدي بن مسفر الأموي الذي كان شخصا يتسم بالقدسية والزهد والتسامح لدى أتباعه، تولى الزعامة بعد وفاة الشيخ حسن شمس الدين الملقب بالبصري، دونت الفرقة معتقداتها في كتابين الأول تحت عنوانه «الحلوة» والثاني«مصحف رش» ومن أهم عقائدها:

ـ إن الخليفة الأموي يزيد بن معاوية رجل صالح حتى قالوا بإلوهيته.

ـ حرموا التلفظ بكلمة فيها حرف من حروف الشيطان وبصورة خاصة حرف (الشين) وإذا قال احدهم كلمة (الشيطان) متعمدا حل دمه.

ـ جواز طمس ما ورد في القرآن من كلمات لا تناسب معتقداتهم كالتعود واللعنة والشيطان وذلك بوضع قطعة شمع عليها.

ـ ليس لهم صلاة كباقي المسلمين وإنما يتوجهون إلى مطلع الشمس وغروبها فيلثمون الأرض ويعفرون وجوههم بالتراب ويقرئون بعض الأدعية الخليط من اللغة العربية والفارسية والكردية.

ـ يحجون حجا خاصا كل عام إلى مرقد الشيخ عدي بن مسفر الأموي

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة (طهران ـ إيران، مكتبة نينوى الحديثة، ١٣٩٨ هـ).

والذي لا يوفق لأداء الحج فهو كافر.

ـ شهادة الإسلام: «اشهد واحد الله، سلطان يزيد حبيب الله».

ـ قالوا بتناسخ الأرواح ولهم العديد من المعتقدات الغريبة على دين الإسلام.

٦ ـ الخوارج: من أهم الفرق السياسية في التاريخ الإسلامي، نشأت في العام ٣٧هـ ـ على اثر التحكيم الشهير بين جيش الإمام (عليه السلام) وجيش معاوية، ناقضوا أنفسهم بعد التحكيم ورفعوا شعار لا حكم إلا لله، حاربهم علي (عليه السلام) في وقعة النهروان فما نجا منهم سوى ١٠ انهزم اثنان إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تل مرودان في اليمن، أول من بويع بالإمامة منهم عبد الله بن وهب الرسبي، ذهبوا إلى تكفير علي (عليه السلام) وعثمان بن عفان ومعاوية وأصحاب الجمل، من معتقداتهم التي تميزهم عن باقي المسلمين انه يجوز أن يكون الأنبياء قبل بعثهم من أهل الفسق والكفر، كما يجوز عليهم بعد البعث الكفر وارتكاب الصغائر والسهو والنسيان، استحلوا دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حال التقية وحكموا بالبراءة ممن حرمها.

مما يروى كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوما يؤم الناس وهو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكواء من خلفه تالياً الآية: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١) فسكت الإمام (عليه السلام)، حتى أتمها ابن الكواء فأتم قراءته، فلما شرع في القراءة أعاد ابن الكواء الجهر بتلك الآية فسكت الإمام علي (عليه السلام) فلم يزالا كذلك يسكت هذا ويقرأ ذلك حتى قرأ علي (عليه السلام) ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾(٢).

ـ مرت الخوارج في المدائن فالتـقوا واليها صاحب رسول الله (عبد

---

(١) سورة الزمر ٦٥.

(٢) سورة الروم ٦٠.

الله بن خباب)، فأسروه مع زوجته الحامل، ووجدوا في عنقه مصحفاً فقالوا له: إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتـلك، فكان رده عليهم أن يحيوا ما أحيا القرآن، وان يميتوا ما أمات. ثم سألوه عن أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا وسألوه عن عثمان في أول خلافته وآخرها، فجعله محقا في أولها وآخرها، أما عن الإمام علي (عليه السلام) قبل التحكيم وبعده، فأنه قال لهم «انه اعلم بالله منكم واشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة» فقالوا: انك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها والله لنقتلك قتلة ماقتـلنا أحدا. فأخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته وهي حبلى.. فأضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء واقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة ألا تتقون الله! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طي، وقتلوا أم سنان الصيداوية[1].

نشئت العديد من الفرق الإسلامية لاسيما في العصر العباسي إلى أن أمرت السلطات العباسية بحصر المذاهب فكانت المذاهب الأربعة، وانقرض ما عداها ولم يبقى منها إلا القليل من الأتباع في العصور المتأخرة.

لم يكن التسامح سيد الموقف خلال أكثر من ألف عام من عمر الإسلام بل كانت أجواء الإرهاب والتعصب حاكمة في معظم محطات وحلقات الصراع ما بين المذاهب الإسلامية، يقول ابن خلدون واصفا ذلك في عصره: «كان الـ اع بين طوائف المسلمين نزاع علمي واختلاف لا يتعدى حدود القول في النقض لبعض ما ينهجه الآخر وسارت الأمور على هذا المنوال، ولكن حركة الانشقاق تتسع، وروح الاختلاف تسري في الـتمع بسرعة لقوة الدافع السياسي الذي يحاول أن لا تتفق الأمة على رأي واحد، فهو يعمل على إحياء العصبية إذ لا حياة للنظام الملكي إلا بـا».

«والنتيجة الحتمية لهذا الاختلاف أن نرى روح التعصب، والخصومة تتأصل عند كل فرقة من الفرق الملتفة حول مذهب من المذاهب غير ملتفتين إلى ما يبقيه هذا التناحر من آثار سيئة تكون خطراً أساسياً على الحركة الفكرية

(١) الشهرستاني، أبو الفتح، موسوعة الملل والنحل.

لإشغال الأمة بما لا يضمن لها الخير في حياتنا التي يريد الإسلام أن تسير على المنهج الذي رسمه لها من السعادة الأبدية»، «وانقسم المتهدون إلى أحزاب لكل حزب مدرسته التشريعية وتلامذتنا مما دعا إلى تعصب كل مدرسة لمبانيها الخاصة أصولاً وفروعاً وهدم ما عداها، وحتى صار الواحد منهم لا يرجع إلى نص قرآني، أو حديث، إلا ليلتمس فيه ما يؤيد مذهب إمامه، ولو بضرب من التعسف في الفهم والتأويل».

يضاف إلى ذلك: شيوع الأمراض الخلقية بين العلماء والتحاسد، والأنانية، فكانوا إذا طرق أحدهم باب الاجتهاد فتح على نفسه أبواب التشهير به، وحط أقرانه من قرره، وإذا أفتى بواقعة برأيه قصدوا إلى تسفيه رأيه وتفنيد ما أفتى به بالحق وبالباطل، فلهذا كان العالم يتقي كيد زملائه، وتجريحهم بأنه مقلد، وناقل لا مجتهد ومبتكر وبذا ماتت روح النبوغ»[1].

عن المقريزي: «فلما كانت سلطة الظاهر بيبرس البندقداري ولى بمصر أربعة قضاة وهم شافعي، ومالكي، وحنفي، وحنبلي، فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥ هـ حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعملت لأهلها المدارس والخوانك، والزوايا، والربط في سائر ممالك الإسلام، وعُودِي من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول قاضياً ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء الأمصار في طول هذه المدة بوجوب أتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها»[2].

والى يومنا هذا فان الإرهاب والتعصب وحيثياتنا من انغلاق وتطرف وغلو وتشدد، الفصل والحكم في حركة المذاهب ومسيرتنا الفقهية والعقائدية رغم التقدم المعرفي الإنساني الواسع وشيوع القيم الإنسانية الموافقة للعقل والفطرة والضمير.

---

(١) التقليد في الشريعة الإسلامية ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١/ ١٧٠.

عوامل نشوء ظاهرتي الإرهاب والتعصب في العالم، والعالمين الإسلامي و العربي قديما وحديثا

تقول كتب التراث الديني أن أول من تعصب وعصى الله من المخلوقات العاقلة «إبليس» الذي أطلق عليه بعد تعصبه لقب «الشيطان»، يقول القرآن الكريم ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ قَالَ أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۞ قَالَ أَرأَيْتكَ هَذَا الذِي كَرَّمْتَ عَلَي لَئِنْ أخرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَن ذُرِيَتَهُ إلا قَلِيلا﴾[1] «جاء في البحار عن فضالة بن داود عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: إن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه من الحمية والغضب فقال خلقتني من نار وخلقته من طين»[2].

وعن علي (عليه السلام) في الخطبة القاصعة: الْحَمْدُ لِلهِ الذِي لَبِسَ الْعِز والْكِبْرِيَاءَ واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ واصْطَفَاهُمَا لِجَلالِهِ.

وَ جَعَلَ اللعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ ثُم اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلائِكَتَهُ الْمُقَرِبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ إِني خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُهُمْ أَجْمَعُونَ إلا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ وتَعَصبَ عَلَيْهِ لأَصْلِهِ فَعَدُو اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِبِينَ وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيةِ وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيةِ وادرَعَ لِبَاسَ التعَزز وخَلَعَ قِنَاعَ التذَلل أَ لا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغرَهُ اللهُ بِتَكَبرِهِ ووَضَعَهُ بِتَرَفعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدنْيَا مَدْحُوراً وأَعَد لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً[3].

وعن علي بن إبراهيم عن احمد بن عبد الله العقيلي عن عيسى بن عبد

---

(١) الإسراء ٦١- ٦٢.

(٢) الكافي ج٣ باب العصبية ص ٣٠٧.

(٣) نهج البلاغة خطبة١٩٢.

الله القرشي قال: دخل أبو حنيفة على ابوعبدالله الصادق (عليه السلام) فقال له يا أبا حنيفة «بلغني انك تقيس. قال: نعم. قال: لا تقس فان أول من قاس إبليس حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين، فقاس ما بين النار والطين ولو قاس نورية ادم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء احدهما على الآخر»[1].

شاع الإرهاب في العالم القديم واتخذ أشكالا وصورا متعددة، فمن إرهاب الأنظمة والدول إلى إرهاب الأديان والجماعات والشعوب، من مسبباته ما يلي:

١ ـ عدم شيوع الأديان السماوية بين الشعوب والأمم: فالأديان السماوية لم تتمكن من بسط سيطرتا على أنحاء واسعة من الأرض، ولم يدن با إلا القليل من التمعات والشعوب والأمم، وبعد وفاة أنبيائها السماويين تعرضت للتحريف وتصرف السياسيين وأصحاب الأهواء ففقدت ماهيتها وأصبحت عديمة الفاعلية، غير قادرة على مواجهة الواقع الإنساني المتغير والمتسع.

٢ ـ عدم سيادة نظام عالمي يجمع أمم وشعوب الأرض في بوتقة سلم إنساني: وهذا ما كان يجب أن تنجزه الأديان السماوية، إلا أنا تعددت في مذاهبها ونشى بينها صراع متعدد الأهداف والغايات والنتائج، فكان رجال الدين في كل عقيدة ومذهب يشحذون همم أتباعهم ضد الدين أو المذهب الآخر ليكونوا وقودا لحروب متواصلة ساهمت في استحكام العداء بين الأديان.

٣ ـ الفوضى الدينية والمعرفية التي كانت تعيشها البشرية نتيجة عدم قدرة الأمم والشعوب على الانسجام الحضاري فيما بينها مما أدى إلى شيوع التعصب والإرهاب كنتيجة للتنافر والعداء وعدم القدرة على بلورة نظم يكفل شيوع السلم وإناء حالة الحرب.

٤ ـ انعدام الثقة في النوايا حيث أن كل امة لا ترتبط بأخرى بوشائج

---

(١) الكافي ١/ ٨٥ باب البدع والرأي.

واضحة المعالم تضمن الأمان لحكومتها وشعبها مما أدى إلى اتخاذ اجراءات تتسم بالتحريض لأجل استنهاض الجمهور وديمومة التعبئة لحماية البلاد من أي خطر خارجي محتمل تشكله الدولة الأخرى التي تدين بدين وقيم مختلفة عن الأمة الأخرى.

٥ـ الصراع بين أتباع الأديان السماوية ذاتها: فأتباع الديانة اليهودية يعتقدون وفقا لما جاء في كتبتهم بأنهم الجنس الأرقى وسادة البشر بينما يرى المسلمون بان الإسلام هو الحق المطلق وان ما عداه هو البطلان المطلق، المسلمون يتهمون اليهود بأنهم قتلة الأنبياء، والمسيحيون يعتقدون بان اليهود هم قتلة السيد المسيح (عليه السلام)، لذا كان العداء الدائم بين أتباع الديانات السماوية الثلاثة وخاض أتباعها حروبا دامية من أشهرها الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين في القرون الوسطى، وقتل اليهود في مجازر رهيبة بألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية على يد الحزب النازي بزعامة هتلر، وفي هذا العصر يعيش العالم صراع بين اليهود ممثلا بدولة «إسرائيل» والمسلمين ممثلا بالفلسطينيين والدول العربية والإسلامية على سيادة ارض فلسطين التاريخية.

في العصور الوسيطة كانت المسيحية حاكمة في كافة أوجه الحياة في أوربا مما أدى إلى شيوع الاستبداد وتكتيم الأفواه وانعدام الحرية، ومارست كلا السلطتين الدينية والسياسية كافة أشكال الإرهاب والتعصب ضد مواطنيها فسقط اللالاف من الأبرياء على مر قرون متتابعة من الجور.

إن العلاقة بين السلطتين كانت تتأرجح سلبا في بعض الفترات في صراع سافرا على السلطة ومقدرات الشعوب إلا أنها في فترات أخرى تميل نحو الانسجام وتوزيع الصلاحيات، ذلك أن نظام الحكم عادة ما يكون ملكيا مطلقا، والملكيات المطلقة تحتاج إلى غطاء يبرر وجودها بل أن الملكية في واقع وجودها لا يمكن لها الاستمرار دون غطاء شرعي، ولم تكن المعرفة في جوانبها الدستورية والسياسية والقانونية قد رقت إلى ابتكار النظام الديمقراطي سواء من خلال الملكيات الدستورية أو الجمهوريات الانتخابية فكانت الكنيسة في اغلب الأحيان عبر زخمها الديني والروحي والعقائدي توفر الشرعية للأنظمة الملكية

الحاكمة.

في عام ١١٩٤ ـ ١٢٥٠م عمل الملك فريدريك الثاني على بسط سلطته على ايطاليا واتجه بعد ذلك إلى احتلال ايطاليا وألمانيا فدعا إلى اجتماع ديني عرف بمجمع كريمون عام ١٢٢٦ لتحقيق هذا الغرض ولكن البابا جريجون ألب المقاطعات الايطالية ضد هذا الاجتماع فلم ينعقد قط.

وقف البابا جريجون ضد سياسة التوسع التي ينتهجها الملك فريدريك بهدف حفظ سلطة البابوية من الانهيار، فاصدر منشورا اتهم فيه فريدريك بالكفر والتجديق والرغبة الكامنة بإسقاط الكنيسة، وفي العام ١٢٣١ اصدر قرارا بحرمانه يمين الولاء للبابا، فرد عليه فريدريك بأنه يريد أن يخضع الملوك لسلطة البابا.

في العام ١٢٤١ هاجم فريدريك الكنيسة فصادر أموالها وممتلكاتها وقلع أعين خصومه وبتر أعضائهم وقتلهم، وكان يقطع أيدي رسل البابا وأرجلهم أينما وجدهم، في عام ١٢٥٠م مات فريدريك ولم يستطع تحقيق حلمه في القضاء على سلطة الكنيسة.

استمر الاقتتال بعد موت فريدريك فاستعان البابا اربان الرابع بـ «لويس التاسع عشر» ملك فرنسا فانتقلت زعامة أوربا إلى فرنسا بمباركة الكنيسة.

في عام ١٢٩٤م ظهرت أول علامات الانقسام بين السلطة السياسية والدينية إذ نشى خلاف حول مسالة فرض الضرائب على الكنيسة لاستخدامها في الحرب المستعرة بين فرنسا وبريطانيا، عارض رجال الدين رغبة الملك واستعانوا بالبابا إلا انه استجاب لرغبة الملك ولكن سرعان ما نشى خلاف جديد وكان سببه كما يقول معظم المؤرخين أن أن ملك فرنسا حاكم مندوب البابوية في فرنسا عام ١٣٠١، فطلب منه البابا أن يطلق سراحه وإلا امتنع عن تسليم إيرادات الكنيسة للدولة فلم يستجب له الملك فيلب فأفتى البابا بان عليه أن يطلعه على كافة شئون السلطة والحكم سواء كانت دينية أو زمنية فاتهمه الملك فيلب بالخيانة.

وفي العام ١٣٠٢م احرق الملك فيلب رسول البابا فدعا الأخير إلى اجتماع للسلطة الدينية واصدر المجتمعون بيانا أكدوا فيه على سلطة البابا الممثلة للمسيح، فرد عليه فيلب بإصدار وثيقة اتم فيها البابا بنيافيس بأنه ظالم وساحر وكافر.

لم يكن تحول الغرب من حكم الكنيسة المسيحية إلى النظام العلماني ومن الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية والجمهورية الانتخابية التعددية، ومن حكم الرمز إلى حكم القانون والدستور نتيجة لتطور الفكر السياسي والصناعي والتقني والعلمي فقط وإنما كان للفلسفة دورا مهما، فقد ظهر العديد من الفلاسفة والمفكرين الذين ساهموا في التأسيس للنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الغربي المعاصر منهم «وليم الاد كهابي» الفيلسوف الاسباني (توفي عام ١٣٤٩م) الذي لم يسلم إلا بسلطان العقل والتجربة ورأى أن المسيحية يجب أن تعود من الكنيسة للمسيح ومن الثروة والسلطان إلى البساطة في الحياة ويجب أن لا تكون الكنيسة مقتصرة على رجال الدين وحدهم بل كافة شرائح المجتمع المسيحي وكذلك الحكومة لا بد لها من أن تكون خاضعة لإرادة الشعب لأنه هو الوحيد الذي يملك زمام السلطة الشاملة.

في النصف الأول من القرن الرابع عشر ظهر عددا من الفلاسفة الذين مهدوا لحركة الإصلاح الديني منهم «بيير ديبو» الذي دعا إلى تجريد البابا من كافة سلطاته الدينية والدنيوية ودعا حكام أوربا إلى عدم الخضوع للكنيسة ثم دعا إلى خضوع الكنيسة لحكم القانون.

في عام ١٣٢٤ اصدر المفكر والفيلسوف «مارسيليوس» رسالة عنوانا (المدافع عن السلام) يدعوا فيها إلى وضع الكنيسة مع كافة مؤسساتا تحت سلطة الدولة.

وهناك عشرات العوامل إن لم يكن المئات والتي كانت سببا في اندحار سلطة الكنيسة والتمهيد لقيام النظام الحالي في أوربا وأمريكا منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ انتصار الإسلام على العالم المسيحي في الحروب الصليبية.

٢ ـ تدفق العلم العربي والفلسفة العربية الإسلامية.
٣ ـ الشك الذي مارسه عدد كبير من الفلاسفة.
٤ ـ اختراع الطباعة وانتشار الكتابة والقراءة.
٥ ـ ثراء ألمانيا وانجلترا واستقلالهما الاقتصادي ونمو طبقة متوسطة ترفض التسليم بسلطة رجال الدين.
٦ ـ التأثير القومي للغات والآداب والآداب الشعبية وبروز المسالة القومية.
٧ ـ انقسام الكنيسة وشيوع الترف بين البطاركة والبيع العشوائي واللامنطقي لصكوك الغفران[1]..

وبعد أن بدأت الثورة الاقتصادية في أوربا في القرن الخامس عشر أصبح الناس يتجاهلون أوامر الكنيسة القاضية بتحريم الربا وتبوء المحامون ورجال الأعمال مكانة موازية لرجال الدين وزاد نفوذ المحاكم المدنية على حساب محاكم الكنيسة.

وخلال القرن الخامس عشر شهد رجال الدين تحولا في دهنياتم العامة فكانوا على استعداد لان يتقبلوا النقد الموجه للكنيسة دون إحداث ردود فعل عنيفة وذلك بعد بروز متصوفة أنكروا دور القسيس كوسيط بين الله والإنسان وأكدوا على أهمية التجربة الدينية الباطنية كبديل للشعائر والقربان المقدس وظهور مجموعة من المفكرين والأدباء ينكرون التفرقة بين القسيس والعامة بل وينكر البعض منهم صكوك الغفران التي تصدر عن الكنيسة.

إن ملامح النهضة الأوربية وانحسار سلطة الكنيسة بدأت منذ القرن الـ ١٣ عشر الميلادي عندما تقدمت وسائل النقل واتسعت حركة التجارة لتطال بلدان بعيدة عن أوربا لتفتح أسواق جديدة ولتدور عجلة التنمية بسرعة.

سرعان ما دب الصراع جراء التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية الأوربية، بين ملاك الأرض وعبيدهم، بين

---

(١) الردة في الإسلام ص ٣٣٨.

النبلاء ورجال الأعمال، بين الغرف التجارية ونقابات العمال، بين أصحاب رؤؤس الأموال والصناع، بين رجال الدين والعلمانيين، بين الكنيسة والدولة.

ويعد القرن الـ ١٣ عشر الميلادي العصر الأول للجامعات والمعاهد والمدارس البعيدة عن سلطة الكنيسة في شتى أنحاء أوربا.

في القرن ١٤ الرابع عشر ظهرت الطباعة فازداد الطلب على الكتاب بعد أن كان محتكرا من رجال الدين، فأصبح الكتاب المقدس ملكا شائعا كما انتشرت الكتب في كل ايرة وأمكنة ولم يعد بإمكان الكنيسة منع الأفكار المعادية لسلطتها فظهرت دعوات للاحتكام للإنجيل مباشرة دون واسطة ثم برزت دعوات للاحتكام إلى العقل دون الإنجيل

وقد رافق تأسيس الجامعات واختراع الطباعة حركة ترجمة واسعة شملت مختلف الحضارات منها الحضارة العربية فكان تدرس وتقتنى كتب ابن سينا وابن الهيثم والكندي والفارابي والغزالي وشروحات ابن رشد لفلسفة أرسطو.

ولعبت بريطانيا دورا مؤثرا على ساحة التأسيس للحضارة المعاصرة في أوربا والعالم وذلك قبل الثورة الفرنسية بـ ١٤٧ سنة على الأقل، يقول احد أعضاء مجلس اللوردات البريطاني عام ١٧١٨م «إن خرافة المسيحية هذه نسفت إلا ن في انجلترا حتى يكاد أي رجل عصري يخجل من الاعتراف بمسيحيته وحتى النساء كن يفخرن... على أن يفهمن الناس أن الميول المسيحية هي ما يحتقرن الالتزام به»[1].

يصف فولتير المشهد الديني في انجلترا قائلا «انظر إلى بورصة الأوراق المالية في لندن هناك يجري اليهودي والمسلم والمسيحي معاملاتهم معا وكأنهم من دين واحد ولا ينعتون بالكفر غير المفلسين»[2].

إن الاتصال بالعالم حول النظرة الأوربية إلى ما يمكن تسميته «بالنظرة العالمية للأفكار» مما أدى إلى الإلمام المتزايد بالأديان غير المسيحية وتطور العلوم

(١) الردة في الإسلام ص ٣٧٣.

(٢) نفس المصدر ص ٣٧٣.

الطبيعية وعمق الدراسات التاريخية والتحليل الأكثر منطقية للكتاب المقدس.

إن كف يد الدولة عن رقابة المطبوعات ساهمت في احتلال العقل المكانة الأولى في التشريع وتراجع سلطة الكنيسة إلى نقطة الصفر في نهاية المطاف.

في فرنسا وتحديدا في النصف الثاني من القرن ١٨ عشر أصبح بمقدور أي إنسان أن يحرر نفسه من معتقدات القرون الوسيطة وان يهزئ باللاهوت وله الحق في أن يفكر ويدقق وله الحرية المطلقة في أن يعتنق أي دين يشاء أو أن يكون بلا دين أو يؤسس لدين جديد.

يقول الفيلسوف فولتير داعيا أنصاره لمحاربة الكنيسة « وحدوا أنفسكم واهجروا التعصب والأوغاد واقضوا على الخطب المضللة والسفسطة المخزية والتاريخ الكاذب.. لا تتركوا الجهل يخضع للعلم، سيدين لنا الجيل الجديد بعقله وحريته»[1].

وقال أيضا في رسالة تحث على التسامح الديني «انه ما كان ليهم لو اقتصر رجال الدين على إقامة شعائرهم وتسامحوا مع الذين يختلفون عنهم في المذهب وان موقفهم المتعصب الذي لا نجد له أثرا في الإنجيل هو مصدر الـ اع الدامي في التاريخ المسيحي.. إن الإنسان الذي يقول لي آمن كما أؤمن أنا وإلا فان الله سيعاقبك سيقول لي ألان آمن كما أؤمن وإلا سأغتالك»[2].

سقطت الكنيسة ثم سقطت الملكية المطلقة وانار معهما حكم الإقطاع والبرجوازية المستبدة وقامت على الأنقاض الملكيات الدستورية والجمهورية الديمقراطية في أوربا،وأصبح التشريع بيد ممثلي الشعب بعد أن كان مقتصرا على رجال الدين والطبقة السياسية الحاكمة، دخلت أوربا عصر الثورة الصناعية وتوارى الدين وسنت الـتمعات تشريعات مبنية على أطروحات دعاة العقل والتحرير والعدالة فأطلق العنان لحرية الجنس والتعبير والفكر والضمير.

تراجعت ظاهرتي الإرهاب والتعصب من قبل الأنظمة الحاكمة إلا إنا

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٧٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٧٦.

تركزت في الأفراد والجماعات التي سارعت إلى تشكيل منظمات ثورية وإجرامية بغية تحقيق أهدافها الأنانية في معظم الأحيان وانتشرت في أنحاء أوربا والعالم، واجهتها الحكومات الأوربية واتخذت بحقها ٣ إجراءات مهمة الأولى سن التشريعات الوطنية والإقليمية لمواجهة الإرهاب، ثانيا الحوار مع الأجنحة السياسية للمنظمات الثورية في محاولة لإيجاد حلول للقضايا التي تطالب بحلها، وثالثا القيام بالمزيد من الإصلاحات على مختلف الصعد لا سيما في المجالات الاجتماعية والاقتصادية وردم الهوة بين الطبقات مما ساهم في تراجع النشاط المسلح، فالولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال تحتضن العشرات من المنظمات المتطرفة والمتشددة ولكنها في معظم الأحيان غير مؤثرة ومعدومة الفاعلية ولا تستطيع تحقيق أهدافها الآنية والإستراتيجية والتي من أهمها انفصال الولايات التي تنتمي إليها عن اتحاد الولايات الأمريكية، وفي بريطانيا شهد إقليم ايرلندا المتنازع عليه تراجعا ملفتا للنشاط المسلح وانحسار الشغب الطائفي بالتزامن مع التحسن في الأوضاع الاقتصادية والسياسية.

على مستوى العالم تبرز ظاهرة الإرهاب مع مرور العالم بعدة تحولات عالمية جوهرية منها:

١ ـ سقوط الشيوعية وانفراد الولايات المتحدة وحلفائها بأمر العالم.

٢ ـ الموقف المخزي للنظام العالمي الجديد من بعض القضايا الإنسانية والسياسية في الشرق الأوسط وأفريقيا.

٣ ـ ازدواج المعايير والتناقض في المواقف، فدول العالم الغني المعروفة بعراقة مؤسساتها وأنظمتها الحقوقية تقيم علاقات متميزة مع أكثر الأنظمة دكتاتورية وقمعا دون تحقيق أدنى فائدة لشعوب البلدان الرازحة تحت سيطرة تلك النظم الشمولية مما يولد لدى العديد من المجتمعات عدم قناعة بالنظام العالمي والقيم الإنسانية التي يحملها كالديمقراطية وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير والحرية ويساهم هذا التناقض في تكون جماعات ومنظمات ثورية وعنفيه وإرهابية.

٤ ـ شيوع الصراعات العرقية في مناطق مختلفة من العالم وانتقالها للدول

المجاورة لوجود أقليات عرقية مشابهة.

٥ ـ عجز بعض الشعوب والقوميات والأقليات عن بلوغ مرحلة الاستقلال والاعتراف بحقها في تقرير مصيرها والعيش الكريم، من الأسباب تشابك مصالح الدول الكبرى في تلك البلدان والأقاليم مما يؤجل النظر في حل قضاياها من خلال منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الدولية والاقليمة الأخرى وهذا يشكل دافعا للمنظمات الثورية لممارسة العنف والكفاح المسلح.

٦ ـ من أهم عوامل الإرهاب في العالم اليوم هو «الصراع الاقتصادي» خاصة بعد اندحار الشيوعية، فقد برزت العديد من الشركات الضخمة العابرة للقارات التي جابت العالم سيما في البلدان التي تزخر بالثروات ولكنها لا تمتلك الإمكانيات التي تجعلها تستغل ثرواتها في تحقيق تنمية اقتصادية فاعلة فعمدت تلك الشركات إلى استغلال تلك الدول بطرق غير قانونية وغير أخلاقية كإشاعة الحروب الأهلية و تحجيم سلطة الدولة بهدف التحكم بالنشاط التجاري والسيطرة على الشركات المحلية وكانت النتيجة جني الشركات الأجنبية المال الوفير مقابل القليل لصالح المنشات المحلية وخزينة الدولة.

هذا الاستنزاف الغير أخلاقي أنشى ردة فعل عنيفة من قبل شعوب تلك البلدان، فانبثق عنها منظمات ثورية تمارس العنف بغية تحقيق أهدافها المناهضة للرأسمالية الحاكمة في العالم.

في الغرب ما تزال تنشط العديد من المنظمات العنفية والتي توصم بالإرهابية كما في ايرلندا الشمالية واسبانيا إلا إنها تكونت نتيجة لعوامل سياسية أكثر منها عوامل دينية أو اقتصادية إلا أن ظاهرة الإرهاب تداعت في الغرب المتقدم بعد انهيار الشيوعية وتركزت الأنظار للشرق الإسلامي الذي اتهم بأنه يحتضن ظواهر الإرهاب والتعصب والتطرف والتشدد أكثر من أي بقعة أخرى في العالم، لعل هذا الاتهام صحيحا إلى حد بعيد وذلك نتيجة لتراكمات حضارية وتاريخية وأيدلوجية عديدة منها ما يلي:

١ ـ تاريخ الشرق المشوب بالدماء، فمنذ وفاة النبي (ﷺ) حتى يومنا

هذا والأمة الإسلامية تعيش أعاصير من الدماء، ووسط أجواء من القتل والفتك نمت الأفكار وترعرعت العقائد والمذاهب ونشى الفقه والفقهاء، لم تشهد الأمة الإسلامية والعربية فترات حقيقية من الرخاء الذي توجه فيه الطاقات نحو مسار الأعمار والتقدم، أن السلم هو الحياة الطبيعة الموافقة لعقل الإنسان وفطرته وطبيعة خلقته، والحرب وما يصاحبها من سفك للدماء وانتهاك للأعراض وتدمير للإنسان والطبيعة والحياة من المفترض أن تكون أمراً طارئا ومؤقتا، ولكن عندما تتحول إلى الديمومة والاستمرار فان ذلك يحول الإنسان المسالم في أصله وتكوينه إلى مخلوق ذو طبيعة تدميرية.

إن الملايين من شعوب الأمة الإسلامية على مر تاريخها فقدوا أرواحهم جراء صراع عجيب ومحير على السلطة، عدا الـ اعات العقائدية والقبلية والعرقية.

٢ ـ الصراع العقائدي: حيث أن الأمة الإسلامية تحولت إلى عدد كبير من الطوائف والمذاهب المختلفة انقرض اغلبها، فقد سادت أجواء التناحر والبغضاء ما بين أتباع المذاهب، وكانت النتيجة مواجهات دامية سجلتها كتب التراث خاصة تلك المتعلقة بطائفتي الشيعة والسنة، أما السلطة فقد اعتنت بمصالحها وتجاهلت مصالح الأمة العليا، فتفاقمت من جراء ذلك حلبات الصراع واستحلت بعض الفرق دماء أخرى وأطلقت دعاوى التكفير والتفسيق على المنابر والتجمعات العقائدية، لم تطرح السلطات الحاكمة أية مبادرة لجمع الشمل بل سامت في استحكام حالة العداء وغلب بذلك التعصب والإرهاب على الحياة العقائدية والفقهية للأمة بأسرها.

إلا أن ذلك لا يعني أن البعض من رواد المذاهب لم يلتفت لمصالح الأمة بل خرجت ثلة من العلماء من الطائفتين الرئيستين تدعوا إلى الوحدة والتعاون ونبذ التحزب الطائفي والى تحلي علماء المذاهب ومثقفيها وعامتها بالآفاق الواسعة والتخلي عن النظرة الضيقة للآخر، ففي الخمسينات الميلادية من القرن الماضي أسس عددا من علماء الشيعة والسنة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية وأثمرت عن إصدار الشيخ محمد شلتوت احد علماء الأزهر في تلك

الحقبة فتوى أجاز فيه التعبد بالمذهب الجعفري،عدا ذلك كان للدار أنشطة مهمة على هذا الصعيد إلا أن بعض الأنظمة والقوى الدينية المرتبطة بها حاربت أنشطة الدار لا سيما المؤسسات والمراكز الدينية الوهابية وكانت النتيجة انهيار دار التقريب ولم تحقق بعد أهدافها في التقريب وكشف اللبس الذي يعتري العلاقة بين الطائفتين الكبيرتين في عالم الإسلام، وهكذا حاربت الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي مساعي وحدة المذاهب كامتداد طبيعي لأنظمة قرون الإسلام السالفة.

٣ ـ مساهمة القوى العالمية في تأجيج الصراع العقائدي: بعد انهيار الدولة العثمانية استولت القوى الكبرى على البلدان الإسلامية والعربية وعملت على تأجيج الصراع الطائفي بين المسلمين والتدخل في شئونهم الدينية حتى في صميم المذهب الواحد، يقول السيد محمد الحسيني الشيرازي في كتابه: الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي: «نقل لي أحد علمائنا الكبار من المراجع (رحمه الله) قائلاً: «كنت قبل اندلاع ثورة العشرين التي فجرها الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي ألقي على رجال الدين في النجف الأشراف محاضرات دراسية، وكان أحد الطلاب الذين يحضرون الدرس رجلاً يلبس زى أهل العلم، لكنه كان يظهر الإخلاص المتزايد للدين وأهله، وللدرس والطلبة وكان من أنشط الحاضرين ومن الرعيل الأول في التقوى والتدين ظاهراً، وكان يعلوه الفقر والفاقة بدرجة حتى أني كنت أرق له كثيرا وأشاركه أحيانا معاشي القليل إيثارا له على نفسي، ثم لما وقعت الحرب بين العراقيين بقيادة الإمام الشيرازي وبين بريطانيا حيث أرادت استعمار العراق، كنت أنا في زمرة الثوار المجاهدين تحت قيادته الرائدة (رحمه الله تعالى) فلما سم بدسيسة بريطانية، وانتهت الثورة بظفر بريطانيا ألقي القبض علي وعلى جماعة آخرين من زملائي في الثورة من قبل الدولة، وحكم علينا جميعا بالإعدام.

وفوجئت ذات يوم من أيام سجني في زنزانتي الانفرادية أن دخل علي ضابط بريطاني، تصورت أني أعرفه لكني كلما توسمته لم أتذكره.

قال لي الضابط هل عرفتني؟

قلت: لا، من أنت؟

قال: أنا تلميذك فلان.

ولما قال ذلك تذكرته بندامه المتواضع ووجهه الملتحي وظاهره الفقير، لكنه كان الآن حلوق الذقن مرتديا ملابسه العسكرية مما سبب ضياعي لشخصه، قلت: فماذا تريد الآن؟

قال: جئتك أعلمك كيفية التخلص من الإعدام، فإن محاكمتك ستتم على يدي، فإذا جاءوا بك إلى المحكمة، أمام قضاة آخرين، فقل: كذا وكذا لكي لا تثبت عليك الجريمة، وتبرأ من التهمة، وإني سأكتب لك العفو والخلاص لأنك رجل مخلص وشهم كريم كنت قد أحسنت لي مدة طويلة.

واصل العالم رحمه الله حديثه بقوله: وبالفعل هكذا كان ووقع كل ما قال، ونجوت من الإعدام»(1).

ويستعرض قصة أخرى: نقل لي أحد السادة أن وزيرا قاجاريا قبل ثمانين سنة تقريبا، كان قد صادقه أيام زيارته للعراق، فنقل له ذات مرة هذه القصة وهي أنه كان في الجبال بين طهران وخراسان راهب مسيحي متبتل، متعبد، معروف في أوساط الناس بالزهد والتقشف والانقطاع إلى الله، وكان في صومعة في الجبل منذ أكثر من خمسين سنة، ولكن فوجئت ذات مرة بكتاب من الراهب يدعوني فيه لزيارته في يوم كذا.

وحيث كنت أعرف زهده وتقواه وكنت أجله وأحترمه، لبيت الطلب وحضرت في ذلك اليوم عنده وإذا بي أجد عنده، مجموعة تضم زهاء مائة من شخصيات البلاد وكلهم كانوا قد دعوا لزيارته في هذا اليوم، وكان الراهب رجلا كبيرا طاعنا في السن بادية عليه آثار الزهد والورع.

بعد أن استقر المجلس بنا قال الراهب اعلموا أني لم أكن راهبا في يوم من الأيام وإنما كنت من البريطانيين الذين تزيوا بهذا الزي لخدمة وطنهم، وكنت أقوم في هذه المدة الطويلة بدور التجسس عما يحدث في إيران وأفغانستان

(1) الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي ص ١٨ ـ ١٩.

والحصول على معلومات البلدين من طريق العملاء وأرسلها إلى دولة بريطانيا.

والآن حيث أحس باقتراب موتي أتوب إلى الله (سبحانه وتعالى) مما عملته وإني أظهر لكم إسلامي حيث عرفت حقانية دين الإسلام وأرجوا إذا مت أن تجهزوني كما تجهزون المسلمين، قال الراهب هذا الكلام وانمرت عيناه بالدموع مما أثار فينا أكبر قدر ممكن من العطف والحنان، وبعد أن رجعت إلى طهران لم يمضِ زمان طويل إلا وأُخبرت بموت الراهب وعمل حسب وصيته.

وظني أن هذه الخطوة منه كانت سياسية أيضاً حتى يبين لنا قوة دولته وأنه كيف يجب أن يخشى الناس منها على طريق الدعاية السوداء.

وسواء صدق الراهب في إسلامه أو كذب فالقصة ترينا كيف أن دولة أجنبية تتغلغل في بلاد الإسلام هذه المدة المديدة بدون دراية ولا رقابة من المسلمين وذلك من جراء عدم معرفتهم الكاملة بالسياسة»[1].

في أواخر القرن الماضي دعمت أجهزة المخابرات الأمريكية والعربية والغربية الجماعات الجهادية العربية في أفغانستان رغم تركيبتها العقائدية المتصلبة، وبعد عودة أفرادها من حرب أفغانستان سارعوا إلى جهاد حكوماتهم وبث قيم التحجر والانغلاق في صفوف شعوبهم والى يومنا هذا ما تزال الحركات الإسلامية تمارس الإرهاب والإرهاب المضاد وتعيش صراعا دمويا على السلطة مع أنظمتها الحاكمة.

ودعمت المخابرات الأمريكية حركة طالبان عبر المخابرات الباكستانية إلا أن الحركة انقلبت على داعميها واحتضنت تنظيم القاعدة الذي جاهر بمعاداته للولايات المتحدة والأنظمة العربية حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر حين أطاحت الولايات المتحدة بحركة طالبان وطاردت فلول القاعدة.

٤ ـ سياسة القمع والقهر في أيطار الدولة الإسلامية والعربية القطرية:

إن عالم اليوم يتجه نحو الديمقراطية وإقرار حقوق الإنسان المتفق عليها

---

(١) نفس المصدر ص ١٨ ـ ١٩.

عالميا، وتوسيع هامش حرية الفكر والتعبير والرأي والضمير وفقا لشرائع الأمم المتحدة باعتبارها خلاصة الناتج الحضاري للبشرية، إلا أن الشعوب العربية والإسلامية لم تحظى إلى يومنا بأي نصيب يذكر من الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فحكومات الشرق الإسلامي تمارس كافة ألوان القمع والإرهاب والتعصب ضد مواطنيها، ويستشري الفساد المالي والإداري والأخلاقي في أجهزتنا ومؤسساتنا، وتوصم تلك الحكومات بالتبعية المطلقة للقوى الكبرى.

إن الهامش الضيق والمحدود لحرية التعبير وضعف مؤسسات المجتمع المدني، وقلة فرص النشاط والحركة الفردية والجماعية يساهم في نشوء تيارات متشددة وبالتالي تنظيمات وحركات عنفيه وإرهابية ذات ذهنية متعصبة وعقلية متحجرة، إن الحكومات الغربية تكونت نتيجة لانتخابات شعبية حرة ونزيهة خاضتها جماهير الشعب، لذلك فان هذه الحكومات تتعاط مع مشاكلها الداخلية والخارجية ومن ضمن ذلك المنظمات الإرهابية والثورية وفقا لمصالح الشعب لا مصالح الحزب الحاكم فكان أن استطاعت تقليص خطر الإرهاب في بلدانا لكن العكس سيد الموقف في الدول الإسلامية فالجماعات الإرهابية والعنفيه في العديد من الأحيان ليست سوى وليدة لبيئة سياسية واجتماعية واقتصادية متخلفة بل وساهم النظام الحاكم في تكوينها بناء على مصالحه الأنانية التي تتصل بالعائلة المالكة أو الحزب الحاكم أو الشريحة الممسكة بزمام الأمور، وعندما تلجا الدولة إلى محاربة الجماعات الممارسة للعنف أو الإرهاب فإنا تستخدم الجهاز الأمني لهذا الغرض دون اللجوء لوضع خطة عمل محكمة وواسعة تتضمن إقامة ورش بحث ونشاط وإصلاح سياسي واجتماعي وثقافي لان الحكم يعتقد في قرارة شانه أن إقامة خطة عمل حقيقة لاستئصال الإرهاب يمثل خطرا حقيقا على امتيازاته بل وتديدا لسلطته ووجوده بأكمله.

عندما يتم استئصال الخلايا الإرهابية سرعان ما تنشئ خلايا جديدة ذلك أن القضاء على ظاهرة الإرهاب أو على الأقل تجريدها من قدرتا على الإنتاج والتكاثر والتأثير لا يمكن بلوغه دون استحداث خطط إصلاح شامل

وعميق ولعل خير شاهد على ذلك البلدان العربية التي نشئت ككيانات سياسية حديثة في القرن العشرين فقد نشئت بعض هذه الدول على فريضة جهاد المسلمين وتكفيرهم وقتل المعارضين منهم لعقيدتهم حتى أصبح الجيش الذي ساهم في نشوء واستقرار الدولة خطرا على النظام الحاكم إلا أن البيئة المحلية المتخلفة التي تقتات على عداء المجتمعات الأخرى والمذاهب والأديان المخالفة وتعيش الانغلاق والتقوقع والحرمان والرتابة سرعان ما أنتجت خلايا جديدة وأمدت التيارات الانشقاقية بإرهابيين جدد.

ولم تتعظ الأنظمة الحاكمة بكل ما مرت به من تجارب في هذا المضمار فقد ساهم بالتعاون مع وكالة الاستخبارات الأمريكية في إرسال المقاتلين الشبان لحرب أفغانستان تحت شعارات الجهاد ودحض الشيوعية وعندما عاد هؤلاء إلى بلدانهم، انقلبت عليهم حكومتهم وانقلبوا عليها فبدأت المواجهات في الخفاء والعلن واستيقظت خلايا نائمة ونشئت أخرى وأعلن عن قيام تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية والخليج واليمن ومصر والشام وفي هذه السنوات ما تزال تلك الحكومة تعتمد الحل الأمني والعسكري كخيار وحيد لإنهاء المواجهات متجاهلة الإصلاح بكل حيثياته وسبله خوفا من تقلص امتيازات الأحزاب الحاكمة وتداعي نفوذها وفقدانها السلطة في نهاية الأمر.

٥ ـ سياسية التمييز الطائفي والعرقي: تتبع العديد من دول الشرق الإسلامي سياسية التهميش والحصار الثقافي والاقتصادي والديني والتمييز الطائفي ضد الأقليات من مواطنيها مما ساعد في نشوء منظمات ثورية على نمط السياسات الحكومية أي أنها منظمات ذات توجهات طائفية فإذا ما كانت تسعى للإلغاء التمييز الطائفي ضد مواطنيها فإنها لن تتورع عن ممارسته ضد المواطنين الآخرين إذا ما امتلكت زمام السلطة.

إن هذه التركيبة المتناقضة والمعقدة في ثقافة السلطة والمعارضة هي التي تنشئ الإرهاب والإرهاب المضاد وتجعل في المقدمة المفاهيم المنغلقة والمتعصبة في التفكير العام، فعدم الاعتراف بالآخر والقول بالحق المطلق والرغبة في الانتقام من الآخرين سمة سائدة يصعب القضاء عليها في الواقع الطائفي المعمول به

والذي تقوم عليه سياسات النظامين الحكومي والشعبي.

لعل هجرة اليهود من الدول العربية إلى إسرائيل لم تكن سوى نتيجة لسياسة التمييز والاضطهاد، ولعل ثورة الأكراد الإيرانيين ضد الحكومة الدينية بزعامة الإمام الخميني (قدس سره) جاءت لنفس السبب، والأكراد العراقيين يلمحون بين الحينة والأخرى الرغبة بالانفصال عن كيان الدولة العراقية لما عانوه من قمع وعمليات إبادة رهيبة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة، وتعاني العديد من الأقليات المذهبية من تمييز، فالشيعة في المملكة السعودية يعانون من تمييز وتهميش واضطهاد شديد حتى أنهم ممنوعون من بناء مقبرة لدفن موتاهم في مدن المنطقة الشرقية ! وكذلك الأغلبية الشيعية في البحرين تعاني من تمييز واضطهاد الأقلية الحاكمة في الجزيرة، وهكذا هو ديدن الأقليات في معظم دول العالمين الإسلامي والعربي.

٦ ـ الواقع السياسي المتخلف في الشرق الإسلامي: فالدول الإسلامية شهدت وتشهد بين الفينة والأخرى صراعا سافرا على السلطة أما الإقرار بالتداول السلمي على الحكم وتجريد السياسة من الدماء والضحايا فبعيد المنال على ما يبدوا مما يؤدي إلى العزوف عن السياسة وتكون بالمقابل جماعات سياسية وثورية وإرهابية تأخذ على عاتقها بلوغ السلطة وتطبيق مآربها الخاصة بها وحدها دون غيرها من مكونات الشعب.

وكذلك فان غياب الحريات في الدولة الإسلامية والعربية القطرية والتي تقوم بدور مهم جدا في تحجيم الإرهاب، فشيوع الحرية السياسية بما في ذلك طرح المشاريع والبرامج في شتى حقول النشاط السياسي والثقافي والاجتماعي وتحويل الأفكار إلى برامج عمل وبرامج العمل إلى قوانين نافذة عبر المؤسسات الشعبية المنتخبة وتحول الدولة في الواقع والوجدان إلى مؤسسة حق عام يشارك الجميع في إدارتها، يساهم في امتصاص أكثر من٩٠% من الإرهاب وظواهره، إلا أن غياب الحريات كان عاملا جوهريا في نشوء الحركات الإرهابية المتميزة بالتعصب والانغلاق.

إن شيوع الإرهاب على مستوى النظام الحاكم وبالتالي في النظام

الاجتماعي والثقافي والاقتصادي يلغي تماما أي إمكانية لقيام مشروع حضاري يمكن توقعه والتعويل عليه لبناء دولة متقدمة وشعب متمدن.

الإرهاب من منظور علم النفس

تتجه الشخصية الإرهابية إلى الارتكاز على قاعدة أيدلوجية غالبا ما تكون دينية لتبرير النشاط الإرهابي وإضفاء صبغة الرضا والاقتناع على جرائم القتل المروعة التي غالبا ما ترتكبها الشخصية الإرهابية، إن الرجوع إلى الدين في تبرير الأنشطة الإرهابية هو في جوهره مجاراة للضمير والشعور العميق بالإثم والتأنيب المستمر من جانب قوى الخير والفضيلة التي ما تزال فاعلة في الأنا الإنسانية.

عندما تشعر الذات بالراحة والتسليم بالرضا لنشاط مناوئ للفطرة وقوى الخير في الأنا فإنا ترتكب حماقاتنا دون رادع، وغالبا ما تتصف الشخصية الإرهابية بالعدوانية والاضطراب النفسي والانغلاق الفكري والتعصب العقائدي وجميعها ظواهر تساهم في كسر الحواجز الفطرية والمكتسبة لارتكاب الجريمة، وتقول بعض الدراسات أن السمات العمرية للمنشغلين بالإرهاب تتراوح ما بين ال٢٠ العشرين و٣٠ الثلاثين ويقول بعض الباحثين في الأنشطة الإرهابية أن هناك جين معين تم اكتشافه في الإرهابيين الذين قاموا بعمليات إرهابية ذات طابع انتحاري وان هذا الجين هو المسئول عن عملية الانتحار إلا أن هذه المسالة بطبيعة الحال ما تزال غامضة، بيد أن علماء النفس يتفقون على أن العدوانية المحور الأول للسلوك الإرهابي.

تعرف العدوانية على أنا: «هي سلوك يتوجه إلى الغير غالبا ويقصد به أن يعانوا منه نفسيا أو ماديا وقد يتحول به الشخص إلى نفسه فيلحقه منه الضرر وقد يصيبه الدمار»[1].

قام بعض العلماء والباحثين في هذا الـال ببناء اختبار من ٨٣ ثلاثة

---

(١) الإرهاب من منظور نفسي.مقال. شبكة الحوار المتمدن (الشبكة العالمية للمعلومات ـ حافظ سيف إبراهيم).

وثمانين نقطة اختبار على ١٠ عشرة مستويات لملامح متلازمة «العدوانية».

المستوى (١) ـ ذاتية العدوانية العاطفية.

المستوى (٢) ـ ذاتية العدوانية الفيزيائية.

المستوى(٣) ـ عدائية نحوالاخرين.

المستوى(٤) ـ ميول عدائية غير إدراكية.

المستوى(٥) ـ عدوانية منتقلة.

المستوى(٦) ـ عدوانية غير مباشرة.

المستوى(٧) ـ عدوانية لفظية.

المستوى(٨) ـ عدوانية فيزيائية.

المستوى(٩) ـ التحكم بالسلوك العدواني.

المستوى(١٠) ـ ميول للأعمال الانتقامية.

ولقياس نسبة العدوانية من خلال هذا الاختبار تستخدم مجموع المواقف والسلوك الذي يقصد به الإضرار بالمباشرة وغير المباشرة بالآخرين أو إلحاق الفرد الأذى بنفسه.

وقد وجدوا أن غالبية الأفراد الذين أضحوا إرهابيين أو منفذين لعمليات انتحارية بغض النظر عن أجندتا السياسية والعقائدية تتشكل في اغلبها من الفئة العمرية (١٥ ـ ٢٢) وتتميز هذه الفئة بميلها إلى الحركة والمغامرة وحب الاستطلاع لما تحتويه من طموح وجسارة نفسية وعقلية وطاقات في أوج توهجها، وتعرف لدى علماء الاجتماع بالفئة الغير ناضجة والتي لم تصل بعد لسن النضوج، ويتفق معظم العلماء النفسانيون أن الجانب النظري[١] في حركة اليافع الذي يعاني من العدوانية من المستوى الثالثة والثامن لا يكفي لإطفاء حماس المغامرة لا سيما مع تدفق مادة الأدرينالين وهرمونات أخرى في مجرى الدم وذلك لتعزيز تحركه نحو تلبية مطالب الدوافع الفطرية الأولية.

إن المرحلة الثانية لخروج العدوانية من بوتقتها النظرية إلى مرحلة الفعل

(١) كأداء الواجبات والشعائر الدينية والعبادية المحضة.

هو تفسير النصوص الدينية والتاريخية ذاتيا أو من خلال مراجع عقائدية متوافقة حتى تتمكن الأنا من مواجهة الالتباس الفكري والثقافي وإغلاق منافذ تأثير قوى الفطرة على عملية البناء العقائدي، يعرف ذلك في الموسوعات النفسية على انه تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط الخبرات والمشاعر عليها والنظر إليها من خلال عملية انعكاس لما يدور في داخل النفس.

إن هناك ٣ ثلاثة أنماط من السلوك العصابي في الأنا، الخضوع والعدوان والابتعاد، فالطفل يميل إلى الخضوع لأنه يعتمد إلى درجة كبيرة على الآخرين في حياته، أما المراهق فيميل إلى العدوان لأنه في هذه المرحلة لم يعد طفلا ولكنه غير مؤهل في نفس الوقت ليتبوء مكانه في المجتمع لصغر سنه، والراشد يميل إلى الابتعاد لأنه لم يعد بحاجة إلى الآخرين ولتبوءه مكانة ما في المجتمع لذلك فهو يفضل الابتعاد عن مواجهة الآخرين والاتصال بهم والاكتفاء بعدد محدود من الأصدقاء.

عندما يفشل المراهق في لعب دور على الساحة الاجتماعية نتيجة لإرهاصات المجتمع والاقتصاد والسياسة والضغوط الأمنية فانه يتجه إلى تبرير الإحباط الذي يعاني منه وذلك بإسقاط ثقافته ومرئياته الذاتية على الواقع ويتجه إلى تحقيق أهدافه بالقوة حتى لو أذى ذلك إلى الأضرار بالآخرين وهذا ما يمكن تسميته بالعدوانية ونتيجتها «الإرهاب».

يعرف الإحباط على «انه إعاقة المرء من بلوغ هدف ما وسد الطريق التي يسلكها نحو الوصول إلى هدفه سواء كان سعيا واعيا أو غير واعي»، لذلك نستطيع إضافة الإحباط كعامل أيضا من عوامل الإرهاب من المنظور النفسي إلى جانب العدوانية.

في عام ١٩٩٣م أجريت دراسة على عينة من المواطنين المصريين بلغت ٦٤٨، منهم ٣٧٥ من الذكور بنسبة ٥٧،٥٧% ومن الإناث ٢٧٣ بنسبة ٤٢،١٣ من الفئة العمرية ١٨ ـ ٣٠ نسبة التعليم المتوسط في الفئتين ٤٣،٩٨، نسبة التعليم الجامعي ٤٤،٩١ و ١١و١١ ما فوق الجامعي وكانت النتائج ما يلي:

١ ـ أهم أسباب ظاهرة الإرهاب في الـتمع المصري.
* البطالة ٧٣،٧٧%.
* الجهل بالدين ٦٦،٨٢.
* الإحباط النفسي ٥٨،٢.
* ارتفاع سن الزواج ٥٤،١٤%.
* أما الحلول المقترحة فكانت .
* توفير فرص عمل ٨٠،٢٥.
* تحسين ظروف المعيشة ٨٦،٨٣.
* الاهتمام بمشاكل الشباب ٧٥،٨٣.
* التوعية الدينية ٧٠،٨٣.
* المزيد من الديمقراطية ٦٣،٥٨.
* القضاء على الفساد الحكومي ٥٧،٤١%.

أهم أهداف العمليات الإرهابية:

١ ـ تطبيق الشريعة.

٢ ـ إسقاط نظام الحكم.

التعصب من منظور علم النفس

يعرف علم النفس التعصب على انه «اتجاه نفسي لدى الفرد يجعله يدرك فردا معينا أو جماعة معينة أو موضوعا معينا إدراكا ايجابيا أو سلبيا دون أن يكون لذلك ما يبرره من المنطق أو الشواهد التجريبية».

يعتبر بعض علماء النفس أن التعصب مرضا نفسيا وعقليا، ويعتقد د. مصطفى زبور عالم النفس المصري أن التعصب ظاهرة اجتماعية ذات بواعث نفسية لا علاقة لها في الأصل بالعقيدة الدينية، وير بعض الباحثين أن مسيرة التعصب في الأنا كما يلي:

طاقة انفعالية لا بد لها من متنفس فمثلا القهر الذي يمارس على الفرد من قبل قوى مستحكمة ولا يمكنه مجابته ولا يمكنه رده على نحو ايجابي فإنا الأنا في

هذه الحالة تبحث عن هدف آخر لتفريغ الشحنة النفسية المتمثلة بالعداوة كرد فعل لتصبح الزوجة أو الأبناء أو كلاهما أو كل فرد يقع في دائرة سيطرة الأنا كليا أو جزئيا هدفا للتفريغ.

عندما تمارس الأنا التعصب سواء كان تعصبا فكريا أو مذهبيا فإنا بذلك تلتمس لذاتا الأمان من الإخطار سواء كانت أخطار مادية أو معنوية لأنا بممارستها التعصب تغلق على نفسها أي محاولة من جانب الأطراف الأخرى لعكس المفاهيم التي تعمل على تطبيقها في المتمع أو لتصدها عن سلوك معين.

ولعل هذا بيناً على مستوى المذاهب، والمذاهب الإسلامية تحديدا فالعديد منها تتجنب الحوار الايجابي مع غيرها بدعوى بطلان الآخرين جملة وتفصيلا وبالتالي عدم جدوى الحوار، إن هذا الموقف المتصف بالتعصب الشديد هدفه الحقيقي عدم قيام حركة تصحيح ومناوئة داخل المذهب وبالتالي فقدان أربابه ما يمتلكون من سلطة ومنعة.

وتختلف المتمعات الإنسانية في كيفية تكون ظاهرة التعصب في الفرد، ففي البلاد الإسلامية تكون الظاهرة في الفرد منذ طفولته في اغلب الأحيان، فالأسر في المتمعات السلفية على سبيل المثال تربي أبنائها مند نعومة أظفارهم على كره الأديان وأتباع المذاهب الأخرى لا سيما من الشيعة وفي نفس الوقت يحرمونم في صغرهم و رشدهم من المطالعة الحرة في عقائد المخالفين ومناهجهم الفقهية، كما تخلو الحياة الاجتماعية والثقافية من أي حركة باتجاه البحث الايجابي والموضوعي في الأديان والمذاهب المخالفة وتنعدم ثقافة التسامح ودعاوى الوحدة والانسجام، كما وتحظر السلطات المختصة أي وسيلة إعلامية من خلالها يتعرف الفرد على العقائد المخالفة، وهكذا ينشى على قناعة تامة ببطلان المذاهب الأخرى، وعندما يواجه حقائق عن الآخرين تختلف جزئيا أو كليا عن قناعاته فانه يتعصب لأرائه حتى يحمي ذاته من قبول الرأي الآخر وما يصاحبها من حقيقة بطلان الاتامات الموجة للآخرين وعدم صحتها وكون محيطه الاجتماعي والعقائدي والفقهي مشوب بأخطاء فادحة لا بد له من مواجهتها وتصحيحها وإعادة صياغتها بما يتوافق مع الحقائق الجديدة، وهذا

يؤدي لا محال إلى الاصطدام مباشرة مع المحيط السياسي والاجتماعي والثقافي وفقده جزئيا أو كليا مكتسباته وانجازاته على مختلف الصعد.

لعل قضية فرعون مصر مع النبي موسى (عليه السلام) مرادفة لهذا المعنى فعندما ألقى موسى(عليه السلام) عصاه وتحولت إلى ثعبان تبين للسحرة أن موسى ليس بساحر وإنما أتى بمعجزة مبينة، فأذعنوا للحق الذي وجدوه في موسى وعصوا فرعون، فكان أن اصطدموا بالواقع السياسي المتمثل بسلطة الفرعون وأمر بتقطيع أيديهم وأرجلهم وقتلهم، يقول القرآن الكريم ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۞قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[1].

وقد أجريت دراسة في الولايات المتحدة عن كيفية نشوء ظاهرة التعصب في التمع الأمريكي، تم جمع ٣ عينات لأطفال صغار يمثلون مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة من عدة ولايات أمريكية ومن خلال البيانات الإحصائية تبين ما يلي:

---

(١) الأعراف أية ١١٣ ـ ١٣٥.

١ ـ الكشف عن كيفية تكوين الاتجاهات الاجتماعية لدى الأطفال والتي وجد أن الأطفال يوجهون من داخل أسرهم نحو التعصب.

٢ ـ إن درجة التعصب لدى الأولاد البيض موجهة نحو السود والزنوج.

٣ ـ الاتجاهات المتعصبة غير المرغوبة تلقى دعما من الكبار.

٤ ـ التعصب الديني والعنصري يحدث في فترات العمر المبكرة ابتداء من سن ١٤ ـ ١٦.

٥ ـ يعتبر تأثير الوالدين على الطفل عامل أساسيا في تشكيل ذهنية الطفل المتعصبة ويساهمان في بناء شخصية متسمة بالتعصب.

الإرهاب في القرن العشرين والحادي والعشرين

شهد القرن المنصرم ومطلع هذا القرن حوادث إرهابية عديدة، على مستوى العالم والعالمين العربي والإسلامي، نستعرض أبرزها في ما يلي:

١ ـ تفجير مبنى إدارة اتحادية في مدينة «أوكلاهوما» على يد مواطن أمريكي اعترف بانتمائه لتيار متطرف مناوئ لنظام الولايات المتحدة الأمريكية ويطالب بانفصال الولاية التي ينتمي إليها عن الاتحاد.

٢ ـ حرب البوسنة بين المسلمين والصرب المسيحيين وقد ارتكب الصرب مجازر مروعة بحق المسلمين.

٣ ـ حرب دارفور، بين الحكومة السودانية والميلشيات التابعة لها المعروفة باسم «الجنجدويد» ضد الميلشيات المسلحة المنتمية للقبائل الإفريقية، وقد ارتكبت القوات الحكومية وميلشياتا جرائم قتل عديدة واغتصاب وإرهاب وتجير قسري بحق السكان المدنيين العزل.

٤ ـ الإرهاب في العراق: بعد سقوط النظام ألبعثي السابق أصبح العراق شعب بلا دولة، ودولة بلا جيش وقوات أمنية تحمي الحدود وتحفظ الأمن داخل المدن وخارجها، بعد أكثر من ٦٠ عاما من الحكم الشمولي المقيت أضحى العراق أرضا ودولة وشعبا محطما على مختلف الأصعدة والميادين والمحاور ويعاني الإنسان العراقي من آثار مشاكل اجتماعية واقتصادية ونفسية وسياسية

عميقة، مما ساعد في نشوء عصابات إجرامية تمارس مختلف أنواع الإجرام، فسجلت حوادث الاغتصاب والقتل والسرقة معدلات مرتفعة وأصبح الناس يعيشون في رعب شديد، واستطاعت المنظمات الإرهابية من دخول العراق وتأسيس قواعد محكمة لتبدأ بمهاجمة القوات الأمريكية وقوات النظام العراقي الجديد، ولتقوم بعمليات قتل جماعية واغتيال لشخصيات بارزة للغالبية الشيعية أو الأقليات المسيحية والآشورية واليزيدية والكردية، وكان من ضحاياها الإمام الشهيد السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) على يد منظمة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بقيادة الإرهابي أبو مصعب ألزرقاوي، وقتل العشرات من المنتسبين للأحزاب العراقية المختلفة.

سادت أعمال الإرهاب والقتل أنحاء العراق، وطغت العصبيات الدينية والقبلية والحزبية على حياة الشعب وبلغ عدد الضحايا وفقا لآخر الإحصائيات أكثر من ١٠٠٠٠٠ مئة ألف قتيل منذ الغزو الأمريكي في عام ٢٠٠٣م.

٥ ـ مجازر رواندا وبورندي في أفريقا لدوافع من التعصب الأعمى عرقيا ودينيا، ممزوج بالصراع على السلطة في منتصف تسعينيات القرن الماضي مما أذى إلى مقتل أكثر من مليوني إنسان.

٦ ـ المصادمات الطائفية في باكستان: وقد أصبحت أشهر من أن تعرف، فما بين الحينة والأخرى يعلن التلفاز عن مقتل عالم دين من الشيعة أو السنة أو تفجير مسجد بينما كان أهله يؤدون إحدى الفرائض وغالبا ما يكونوا من الشيعة، أو تفجير انتحاري وسط مجموعة من الشيعة يؤدن إحدى شعائرهم الدينية، ولم تستطع الحكومة الباكستانية إيجاد حل جذري لهذه الـ اعات الطائفية البغيضة نظرا لافتقادها السيطرة على المسار الأيدلوجي لـ عات الإرهابية لكلا الطائفتين لا سيما المذهب السلفي الوهابي الذي يستمد قوته من الكوادر المرتبطة بتنظيم القاعد القوي في أفغانستان وباكستان.

٧ ـ هجمات الحادي عشر من سبتمبر بواسطة طائرات مدنية ضربت مدينتي نيويورك وواشنطن، اثنتان منها دكتا برجي التجارة العالمي، والثالثة جزء من مبنى وزارة الدفاع الأمريكية المعروفة بـ« البنتاجون» وقد قتل جراء هذه

الهجمات أكثر من ٣٠٠٠ ثلاث آلاف شخص من المدنيين من مختلف الجنسيات.

الإرهاب في القرن الحادي والعشرين

تدين الفطرة البشرية الإرهاب بكافة أبعاده وأهدافه وحيثياته وبنيت الشرائع السماوية والأرضية على هذا الأساس وان كان ذلك في اطر نسبية ومحددة بجنس أو دين أو طائفة في بعض الأحيان، فالإنسان بفطرته وطبيعته مناوئ للقتل وسفك الدماء وانتهاك الأعراض، والهلع والخوف والارتباك نتيجة مدمرة للإرهاب تهدد عمران الأرض وتشل الحياة السوية التي ترتكز على قيم المحبة والعطف والرحمة بين بني البشر.

الإنسان مخلوق لكي يعيش حياة يحكمها العقل ومن أهم ركائزها السلم الاجتماعي وبالتالي تتميز المجتمعات السوية بانخفاض نسبة الجريمة التي عادة ما تنشى نتيجة لملابسات شاذة غير مرتبطة بالأجواء الصحية التي تتحكم بمسار حياة الأفراد.

ومن الأخذ بحقيقة اختلاف البنى الدينية والعقائدية بين الأمم كان ولا بد من اتخاذ القانون الدولي مرجعا تشترك في صياغته كافة الأمم عبر الأمم المتحدة، ليأخذ المشرع الدولي كافة الملابسات والتعقيدات التي من الممكن أن تنشا تبعا لاختلاف مكونات الأزمات المنتشرة في بقاع العالم المتعددة الأديان والثقافات.

إن القانون الدولي لا بد أن يكون معيارا موضوعيا حتى يحقق أهدافه في نشر السلم الدولي والمحافظة على كرامة البشر في كافة أنحاء المعمورة.

من هذا المسعى الذي اتفقت عليه معظم دول العالم قامت منظمة الأمم المتحدة وكان هدف إنشائها نشر السلم والعدالة والتنمية وتجنيب العالم مخاطر حرب عالمية ثالثة، إلا أن الصراع بين القوى الكبرى حال دون تحقيق هذا الهدف، فتعارض المصالح وسباق التسلح وصراع النفوذ سواء كان سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا انعكس سلبا على صناعة القوانين الدولية، صياغة وتطبيقا

وتفسيرا لتكيل بمكيالين ولتتحول الضحية إلى جزار في بعض مناطق العالم الساخنة، والجزار إلى ضحية في مناطق أخرى ملتهبة، والمنظمة الدولية بدلا من أن تكون داعمة للمنظمات الثورية التي تقاتل عدولا محتلا توجه إليها الاتام بالإرهاب، أما الاحتلال الذي قتل الآلاف من شعب اعزل يحتل أرضه ويفتك بنسائه وأطفاله فيقال عنه بأنه يدافع عن نفسه!

أوقعت الحرب العالمية الثانية أكثر من ٣٠ مليون قتيل جرت بعدها محاكمة للجنرالات الذين اتموا بارتكاب جرائم حرب ولكن جنرالات الدول المنتصرة استثنوا من المحاكمات، وبين عامي ١٩٣٧م و١٩٧٢م حدث المئات من جرائم الإرهاب، وبالتوازي بقى العديد من شعوب العالم بانتظار ساعة الخلاص من جرائم الفصل العنصري والتمييز الديني والعرقي واستخدام الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية بحق مناضليها ومدنييها العزل ولم تحرك الأمم المتحدة ساكنا إلا أن حادثة واحدة فقط أيقظت العالم وحدت به التفكير بإصدار التشريعات المناهضة للإرهاب، ففي عام ١٩٧٢م قتلت أكثر من ١١ رياضيا إسرائيلياً في ميونخ وجرح أكثر من ٢٨٠ شخص آخرين مما دفع الأمين العام للأمم المتحدة أنداك «كورت فالدهايم«بان يطلب إدراج فقرة في جدول أعمال الدورة الـ ٢٧ السابعة والعشرين للجمعية العامة حول تدابير منع الإرهاب وأشكال العنف الأخرى التي تعرض للخطر أو تقضي على حياة الأشخاص الأبرياء أو تمس الحريات العامة».

وبالنظر إلى الاتفاقيات الدولية الموقعة من قبل معظم دول العالم كالاتفاقية الدولية بشان قمع ومعاقبة جريمة الفصل أو التمييز العنصري المقرة في عام ١٩٧٣م نلاحظ أن إسرائيل ما تزال على رأس الدول التي تتخذ سياسة عنصرية ضد مواطنيها العرب في عام ١٩٤٨م أو من خلال احتلالها لأراضي عام ١٩٦٧م ومن أعظم الشواهد على ذلك جدار الفصل العنصري بين أراضي ٤٨م و٦٧م، تقول د. أمل يازجه «وليس بمقدور المرء إلا أن يصاب بالحيرة حينما يقارن الحماس الذي يلون الحملة المضادة لخطف الطائرات واخذ الرهائن وخطف الأشخاص وغيرها من أشكال عنف الترهيب الفردي مع ما يتسم به

موقف (صليبيي) الإرهاب المضاد أنفسهم من صمت مطبق وغلظة قلب إزاء النكبة التي تعانيها الضحايا البريئة لسياسات السيطرة والميز العنصري التي تمارس على نحو منتظم مع سبق التصور والتصميم. والنتيجة المنطقية الوحيدة التي يمكن للمرء أن يتوصل إليها هي أن مكافحة الإرهاب إنما تستعمل كصيغة سياسية، أداة من أدوات السياسة الخارجية فحسب، ولا تستعمل أبدا جزء من مذهب قانوني»[1].

في عام ١٩٨٠ خرجت لجنة الإرهاب الدولي التابعة لجمعية القانون الدولي بمشروع اتفاقية موحدة بشان الرقابة القانونية للإرهاب الدولي في عام ١٩٨٠م، اعترفت اللجنة على أن الإرهاب لا يعد (الآن) جريمة بحد ذاتا طبقا للقانون الدولي إلا أن المادة الأولى حددت مفهوم الجرائم الإرهابية بصورة عامة وحاولت إيجاد جريمة إرهاب دولي مكتملة العناصر والمفردات يحظرها القانون الدولي، جاء في هذه المادة «جريمة الإرهاب الدولي هي أي عمل عنف خطير أو التهديد به يصدر عن فرد سواء كان يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع أفراد آخرين، ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو الأمكنة، وأنظمة النقل أو المواصلات، أو ضد أفراد الجمهور العام بقصد تديد هؤلاء الأشخاص، أو التسبب بجرح أو موت هؤلاء الأشخاص أو تعطيل فاعليات هذه المنظمات الدولية أو التسبب في إلحاق الخسارة أو الضرر أو الأذى بذه الأمكنة أو الممتلكات أو بالعبث بأنظمة النقل والمواصلات هذه بدف تقويض علاقة الصداقة بين الدول أو بين مواطني الدول المختلفة أو ابتزاز تنازلات من الدول كما أن التآمر على ارتكاب أو محاولة ارتكاب أو الاشتراك في ارتكاب أو التحريض العام على ارتكاب الجرائم كما في الفقرة السابقة يشكل جريمة إرهاب دولي»[2].

يبدوا من هذا التعريف أن المقصود بالأشخاص فئة معينة من البشر تنتمي

---

(١) الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن ص ١١٤.

(٢) المصدر السابق ص ١١٥.

إلى المنظمات الدولية أو الدول التي تنتمي إلى منظمة الأمم المتحدة، أما الأماكن فتلك الخاصة بالمنظمات والحكومات بينما يتجاهل المجتمع البشري باعتباره كتلة واحدة في جميع أرجاء العالم، فالضحايا التي سقطت في لبنان والبوسنة والهرسك وتسقط في فلسطين والشيشان وأخيرا في العراق حيث ارتكب جنود أمريكيون وبريطانيون ينحدرون على ما يبدوا من الطبقات السفلى من المجتمع الأمريكي والذين يعانون في اغلب الأحيان من أمراض نفسية وعصابية دفعتهم لارتكاب جرائم بحق الأسرى والمواطنين العراقيين، وكذلك فضيحة معتقل غوانتنامو حين عمد المحققون والجنود إلى أهانة القران الكريم بأبشع الصور والممارسات التي تنم عن فقدان للحس الإنساني السوي.

في عام ١٩٨٤م وضعت لجنة الإرهاب الدولي قائمة بيانات مبادئ مع مذكرات إيضاح جاء فيها «أفعال معينة تستحق الشجب لدرجة أنها موضع اهتمام المجتمع الدولي سواء ارتكبت زمن السلم أم زمن الحرب بغض النظر عن عدالة القضية التي يؤمن بها مرتكبوها وبغض النظر عن الباعث السياسي، جميع هذه الأفعال يجب قمعها»[١]. ومن ضمن أعضاء الجنة كان السيد «ليدر« الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية وقد تجاهل الجرائم الإرهابية التي تركبها قوات الاحتلال الاسرائلي في جنوب لبنان وفلسطين المحتلة وكأنه اعتبرها من غير اختصاص اللجنة التي ينتمي إليها جاء في فقرة التعريف لصالح العمل «إن الأفعال المشار إليها في بيان المبدأ تشمل الأفعال المعرفة كجرائم ذات اهتمام دولي في المعاهدات بالإضافة إلى أفعال الإرهاب الدولي وتشمل أعمال الإرهاب ولكن دون أن تقتصر على ارتكاب أو التهديد بارتكاب الفظائع أو القتل عمدا أو أخذ الرهائن أو خطف الطائرات أو الابتزاز أو التعذيب سواء كان ذلك في زمن السلم أو زمن الحرب لإغراض سياسية شريطة أن تنطوي على عنصر دولي ويعد عمل الإرهاب منطويا على عنصر دولي حينما ترتكب الجريمة ضمن ولاية دولة من الدول»:

---

(١) المصدر السابق ص ١١٧.

أ ـ ضد أية حكومة أجنبية أو منظمة دولية أو أي ممثل لهما.
ب ـ ضد أي مواطن دولة أجنبية بسبب كونه مواطن دولة أجنبية.
ت ـ من قبل شخص يعبر حدودا دولية إلى دول أخرى يطلب منها تسليمه»[1].

ويبقى السؤال الأكثر أهمية «من هي الجهة التي سوف تحدد أن هذا الفعل الإرهابي مستحقا للشجب أو الإدانة أو للرفع لمجلس الأمن الدولي في ظل حق النقض (الفيتو) الذي من الممكن أن يستخدم لمجرد تعارضه مع مصالح هذه الدولة أو تلك ؟ ولعل اصدق مثال الولايات المتحدة وحليفتها دولة إسرائيل.

لقد ظهرت عدة دعاوى لإصلاح الأمم المتحدة واقترحت زيادة الأعضاء الدائمين في المجلس وإصلاحات تنظيمية وإدارية ومالية إلا أن ذلك لن يكون كافيا في ظل المعايير المزدوجة وسياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها الدول النافذة في مجلس الأمن.

في عام ٢٠٠٣م شنت الولايات المتحدة الحرب على النظام العراقي السابق دون الرجوع لمجلس الأمن وبالتالي خرجت هذه الحرب عن نطاق الشرعية المطلوب سواء من خلال القانون الدولي وتفويض مجلس الأمن المطلوب للإقرار بنظامية خوض الحرب، لقد تجاهلت الولايات المتحدة منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والقانون الدولي والرأي العام العالمي واعتبرت نفسها في حربا مفتوحة مع «الإرهاب» دون تحديد واضح لمفهومه ودون الاتفاق الدولي على ذلك، مما يهدد العالم بالدخول في فوضى لربما تؤدي إلى حرب عالمية جديدة، فقد أعلنت روسيا أنها قد توجه ضربات لقواعد الإرهاب التي تستهدفها في أي مكان من العالم على غرار الولايات المتحدة، واعتبرت العديد من الدول أن أعدائها من المنظمات الثورية منظمات إرهابية وان لها الحق الكامل في استئصالها بكافة الطرق والإمكانيات المتاحة، وهكذا خرج العالم من القرن العشرين إلى القرن الجديد بمفاهيم ملتبسة وتعريفات مبهمة

---

(١) المصدر السابق ص ١١٨.

لظاهرة الإرهاب التي تخضع للمصالح دون العمل ببعدها القانوني والواقعي.

إن هذه الفوضى السياسية والقانونية والعسكرية لربما تكون بداية دخول العالم في دوامة من الفوضى الشاملة التي لا تحمد عقباها، لذلك لا بد من إصلاح هيكلية الأمم المتحدة بما يكفل لكافة المشرعين على مستوى العالم من استصدار القوانين والأنظمة التي تساهم في السلم الدولي وإلا فان العالم سيقبل على مرحلة خطيرة جدا على صعيد العلاقات الدولية لعل من نتائجها سحق شعوب وتدمير دول وإسقاط أنظمة تقوم على الشرعية والقضاء على منجزات الأمم الإنسانية خلال الألفين سنة الماضية.

العنف والإرهاب

العنف ظاهرة كونية ملازمة للوجود وسلوك فطري للمخلوق البشري فضلا عن معظم المخلوقات الغير عاقلة التي تعيش إلى جانب الإنسان على سطح كوكب الأرض وقد عرفته جميع المجتمعات الإنسانية ومورس في مناهل مختلفة من نشاط الكون والإنسان.

يعرف العنف في المعاجم العربية: عَنُف: عُنْفاً وعَنَاقَةً بالرجُل وعلِيهِ : لم يرفق به وعامله بشدة، فهو عَنيف (جمعه) عُنُف. أعْنَفَ الأمر: أخذه بشدة ـ وعامله بشده. العُنْف و العَنْف والعِنف: ضد الرفق، الشدة والقساوة. الأعْنَف: العَنيف: خلاف الرفق.

العنف سلوك كوني يشمل الكائن البشري، لذلك جاءت الأديان السماوية والأرضية لتنظيمه من اجل تحقيق الغرض منه، لكي لا يتحول المجتمع الإنساني إلى ما يشبه حياة الحيوانات التي تمارس العنف بدافع الغريزة، بينما يمارسه الإنسان لطموحات متعلقة بملكتي العقل والنفس.

إن الحروب والصراعات على مر التاريخ ليست سوى تجسيد لهذا السلوك، فالقوى الجسمانية اتجاه استخدامها في عمليات عنفيه، اضطرابية، تؤدي إلى تحقيق أهداف موازية لمقدار العنف الممارس.

نماذج من العنف الإلهي

كان بإمكان الخالق عز وجل إهلاك الأقوام المتمردة التي ذكرت في القرآن الكريم والكتب المقدسة الأخرى بالموت في لحظة واحدة إلا أن حكمة الخالق تبارك وتعالى قضت بان يموتوا بواسطة «العنف» النازل من السماء، يقول القرآن الكريم عن قوم أبرهة وجيشه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1]، وعن قوم عاد ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[2].

وعن قوم ثمود ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[3]، وعن قوم لوط ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[4].

يعرف العنف لغويا بـ «بالشدة والقسوة»، عرفه قاموس (وبستر) على انه «القوة الجسدية التي تستخدم للايداء أو الإضرار وعمل طاقة أو قوة طبيعية أو جسدية أو استخدام غير عادل للقوة أو السلطة وعرف اصطلاحا على انه «إكراه يستهدف إرغام الخصم على تنفيذ إرادة شخص آخر» وعرف أيضا على انه «قوة آتية من خارج الإنسان، منظمة تنظيما معينا ترمى إلى هدف معين هو فرض إرادة طرف على طرف».

وتبرز مشكلة عويصة بشان علاقة الإرهاب بالعنف فمتى يمكن إطلاق عمل العنف على انه إرهاب لا سيما أن الإرهاب هو بحد ذاته عمل عنف؟! هل الإرهاب درجة معينة من العنف؟ أم هو ارتكاب للعنف في ظروف معينة

---

(١) سورة الفيل.
(٢) سورة الداريات ٤١ ـ ٤٢.
(٣) سورة الداريات آية ٤٤.
(٤) سورة القمر آية ٣٤.

أو لأهداف محددة؟

يرى البعض أن الانخراط في العنف احد أركان العمل الإرهابي إلا أن كافة أعمال الإرهاب تتضمن ممارسة العنف، في حين يرى البعض أن الإرهاب هو عنف بدرجة جسدية تخرج عن نطاق التجريم العام لان الإرهاب في ماهيته استخدام للعنف بقصد الإكراه بواسطة إحداث حالة من الرعب في نفس المجني عليه أو المجني عليهم وأحداث الرعب هو وسيلة الجاني للوصول إلى هدفه في حين من الممكن أن يخلو العنف من أهداف بث الرعب وقد يمارس لتحقيق هدف ايجابي أو سلبي أو للدفاع عن الذات سواء ذات الأنا أو الجماعة وكذلك من الممكن أن يخلو الإرهاب من العنف المباشر فالإرهاب الفكري والثقافي والديني من الممكن أن يكون خاليا تماما من العنف، فممارسة هذا اللون من الإرهاب تعتمد على المؤثرات الإنسانية والمعنوية المؤدية لتحقيق الغرض منها في الفرد أو الجماعة.

يطرح البعض معيارين للتفريق بين الإرهاب والعنف:

المعيار الأول:الغاية الأيدلوجية: فإذا كان نشاط الفرد أو التنظيم السياسي يمارس العنف المؤدي إلى الرعب ويتخذه كأداة وحيدة من وسائل التغيير فانه بذلك يعتبر إرهابا.

المعيار الثاني: عدم مشروعية العنف: فالدولة كنظام شرعي تحتكر سلطة العنف، فالإرهاب إذن هو استخدام العنف من قبل الأفراد أو الجماعات أو التنظيمات التي لا يخول لها القانون ذلك، وهذا المعيار غير دقيقي لان القانون الذي يخول السلطة فقط لممارسة العنف قد يكون قانون غير شرعي وضعه الخبراء الذين يوالون السلطة دون الرجوع لممثلي الشعب وبالتالي يفتقد للشرعية الدستورية المعبرة عن إرادة الجماهير وثقافتها، ثم أن أعمال العنف من جانب الدولة حتى لو كانت مبررة من قبل قانونا الوضعي فإنا قد لا تكون مبررة وفقا للنظام الأخلاقي الأوسع نطاقا ونفوذا، فإذا ما كانت أعمال العنف تدف إلى تحقيق مصالح اجتماعية يتعذر تحقيقها بالطرق السلمية فإنا تكتسب شرعية اجتماعية وأخلاقية وقانونية أيضا حتى لو لم تكن مشروعة في أيطار

القانون الوضعي الذي تعترف به السلطة بمفردها.

إذن يبدوا أن المعيار الواقعي المبني على منطق العقل المرتكز على حيثيات واسعة قائمة على قاعدة فكرية ومفاهيم ثقافية مشتركة بين مختلف الثقافات يقوم على اعتبار أن التفرقة بين العنف المشروع والإرهاب هو تحقيق للغايات والمصالح وإرساء للعدالة التي تنشدها جميع الشعوب، فإذا ما كانت أعمال العنف يقصد منها بث الرعب في النفوس لتحقيق أهداف أنانية أو لإنشاء أوضاع ضد الرغبة الشعبية فإنا بدلك إرهابا وإذا ما كان العنف يستخدم في أدنى مستوياته وفي حالات الدفاع عن النفس سواء نفس الفرد أو الجماعة والرد على هجمات ويستثني الأفراد والجماعات الغير مرتبطة بأي جهة من أطراف الصراع سواء كان ارتباط مباشر أو غير مباشر فانه ذلك يعتبر ردا على الإرهاب وليس بإرهاب.

إن العنف المصاحب للرعب هو وسيلة الإرهابي الوحيدة لتحقيق الهدف بينما في المنظمات الثورية سواء كان عبر جناحها السياسي أو العسكري يعتبر العنف إحدى وسائل الدفاع وإدارة الصراع وفقا لمعطيات المرحلة وحدودها السياسية والجغرافية.

ولعل من اضرب الأمثلة غزوات النبي (ﷺ) فالنبي الكريم (ﷺ) نشر دعوته في البداية دون اللجوء للعنف ضد المشركين إلا أن القيم المتداولة والذهنية السائدة والبيئة الاجتماعية المتخلفة لم توفر بيئة ملائمة لانتشار الدعوة الجديدة سليما، فالعرب لم تكن تعرف السلم كقيمة هدفية في تركيبتها النفسية والاجتماعية بل كان يغلب عليها الغزو والحرب وسفك الدماء والتعصب للقبيلة إذ لم يكن المتمع العربي في ذلك الوقت بقادر على تقبل الأفكار الجديدة بحيث يكون التغيير تدرجيا وفقا لمبدأ اللاعنف، فالطبقات البرجوازية الحاكمة لن تقبل بأي تغيير يفقدها مكتسباتا ومميزاتا لصالح طبقة جديدة ستتولى مقاليد إدارة القبائل العربية وفقا لتنظيم شامل يتخطى مرحلة الحكم اللامركزي ويتجه إلى إقامة دولة تيوقراطية تتبوأ فيه الشرائح التي جاهدت مع النبي (ﷺ) المكانة القيادية في السلطة الجديدة.

وقد قابلت قريش الدعوة المحمدية بالعنف والإرهاب فقد عذب سادة قريش العبيد من الرجال والنساء وكذلك قاموا بتعذيب أبنائهم ونسائهم الذين امنوا برسالة التوحيد، وضيقوا الخناق على المسلمين في التجارة وسبل العيش حتى وصل بهم الأمر لمحاولة قتله (ﷺ)، وبعد الهجرة للمدينة المنورة استمرت قريش في عداوتها للمسلمين وكذا باقي القبائل المتحالفة معها، فكان من المحال عمليا وواقعيا أن تنتشر الدعوة دون بروز عنصر القوة بما يحمله من عنف موجها ضد الخصوم.

ونتلمس الاتجاه إلى العنف في شخصية النبي سليمان (عليه السلام) الذي حكم جزء واسعا من الكرة الأرضية قبل الميلاد كما تشير إلى ذلك المصادر الدينية، وذلك في قضية الهدهد المشهورة، يقول القرآن الكريم ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۞ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[1]، وأثناء دعوته ملكة سبا السيدة بلقيس إلى ترك عبادة الشمس وعبادة الله سبحانه وتعالى ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2].

الخلاصة إن العنف سلوك لا بد منه لإحقاق الحق ونصرة المظلوم وردع المعتدين وذلك إذا ما كان في أيطار قانون منظم يحقق للمجتمع الإنساني الأمن والاستقرار، لذلك عملت الشرائع السماوية والأرضية على تنظيمه ليبقى في دائرة مفهومه العام المؤدي إلى تحقيق الهدف المتوخى منه، يقول القران الكريم «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب».

وفي عصرنا الراهن إذا ما كانت القوانين الدولية تعمل على تنظيم دائرة العنف لتبقى في إطارها المؤدي إلى تحقيق العدالة إلا أن جهود فقهاء القانون ودعاة السلم تذهب أدراج الرياح في مقابل استحكام قوى الأنانية على مصير الشعوب واستفراد القوى الكبرى بمقدرات العالم وتحكمها بموارده وخزائنه

---

(١) سورة النمل آية ٢١.

(٢) سورة النمل آية ٣٧.

الضخمة بما في ذلك هيئاته التشريعية العليا بما تضمه من الدوائر المتخصصة في تفسير وتأويل بنود القوانين والتشريعات الدولية ودعمها للدكتاتوريات البشعة التي تقوم بارتكاب أبشع جرائم الإرهاب لتبقى في السلطة على حساب شعوبها المقهورة المستضعفة.

الإرهاب والتطرف

يمكن رصد مظاهر التطرف فيما يلي:

١ ـ التعصب للرأي بحيث لا يتم الاعتراف للآخرين بحق أبداء الرأي.

٢ ـ التشدد في القيام بالواجبات الدينية سواء عبر الفرد أو من خلال الأجواء الدينية العامة.

٣ ـ العنف في التعامل والخشونة والغلظة وإطلاق أحكام التكفير والمروق عن الدين.

٤ ـ سيطرة النظرة التشاؤمية على الأحداث والتقليل من نشاطات وانجازات الآخرين في العمل والتغيير.

٥ ـ الاندفاع وعدم ضبط النفس.

٦ ـ إصدار الفتاوى التي تستحل دماء الناس وأموالهم وأعراضهم.

أما عوامله فكثيرة ومتعددة منها ما يلي

١ ـ الفهم السلبي للدين.

٢ ـ شيوع القهر والقمع في المجتمع.

٣ ـ غياب ثقافة الحوار والاطلاع.

٤ ـ بؤس الحياة الثقافية وانحطاطها بسبب سيطرة الأفكار المتخلفة والرقابة الحكومية الصارمة على المواد الثقافية.

٥ ـ التفاوت الطبقي حيث مظاهر الترف والغناء عند القلة وشويع الفقر والحرمان عند الكثرة.

علاقة التطرف بالإرهاب

كلا التطرف والإرهاب وجهين لعملة واحدة فلا يكاد يذكر التطرف

حتى يصاحبه ذكر الإرهاب إلا أن هناك بعض الملاحظات المهمة في هذا المضمار فالإرهاب تطبيق عملي لقناعة ذاتية في العديد من الأحيان ويحتاج مظهرا خارجيا ليشكل فيه السلوك الإرهابي، في حين أن التطرف مسألة مرتبطة بفكر شخصي أو مظهر من مظاهر التفكير في اغلب الأحيان لا تشكل عادة انتهاك لقاعدة اجتماعية.

التطرف مفهوم نسبي فلربما يتهم نظام اجتماعي ما بأنه متطرف إلا أن مجموع الأفراد لا يرون أنفسهم متطرفون ولكن إذا خرجت جماعة وتجاوزت القاعدة الأيدلوجية والثقافية في المجتمع في أيطار جهود تبذل لتغيير أو تعديل النسق الاجتماعي ذاته، اتهمت من قبل معظم الأفراد الآخرين بأنهم جماعة متطرفة، فالعديد من أهل السنة قديما وحديثا يتهمون أهل الشيعة بالغلو في أئمتهم في حين لا يرى علماء الشيعة وعامتهم أنهم يغالون في الأئمة (عليهم السلام) ولكن في أيطار المذهب الشيعي خرجت طائفة تقول في الأئمة أقوال لم يعتقدها أحدا من قبل فاتهموا بالغلو والتطرف من قبل العديد من علماء الطائفة، وعلى هذا تظل معايير التطرف غامضة ونسبية.

يرى البعض أن علاج التطرف يكون بالحوار، أما إذا حاول المتطرف فرض أفكاره بالقوة المقترنة بالعنف المؤدية إلى إثارة الرعب فانه بذلك يتحول إلى إرهابي.

في حين يرى البعض الآخر أن هناك علاقة قوية بين التطرف والإرهاب ولكن قد يكون هناك إرهابيين غير متطرفين وبالعكس، دون أن تكون هناك تلازمية مطلقة، فالتطرف قد يحدث أحيانا دون إرهاب والإرهاب قد يحدث أحيانا دن تطرف.

الإرهاب والحرب

الحرب نظام صراع قديم بقدم الإنسانية وقد وضع بعض الفلاسفة القدماء معايير للتفريق بين ما أسموه بالحرب العادلة والحرب الغير عادلة، وفي القرن التاسع عشر اعتبر العديد من المفكرين أن الحرب الضرورية تعتبر حرب

عادلة إلا أنم على ما يبدوا تناسوا أن الضرورة مفهوم نسبي فلربما تكون الحرب ضرورية عند الطرف الأول من الصراع ولكنها ليست كذلك عند الطرف الثاني.

في ميثاق الأمم المتحدة حظرت المادة ألـ ٤١ الحادية والأربعين استخدام القوة أو التهديد بها في في العلاقات الدولية وأباح في فقرة أخرى استخدام القوة للدفاع عن النفس حال التعرض لأي عدوان على أن يكون ذلك تحت سلطة الأمم المتحدة.

يوجد نوعان من الحروب، الأولى حرب أهلية وهي الحرب التي تقع بين قوى مؤثرة داخل دولة ما، والثانية حروب دولية ونظامية وهي التي تشنها دولة على أخرى كالحروب الإقليمية أو الدولية.

يمكن اللجوء إلى الإرهاب في كلا النوعين من الحرب، سواء كانت الحرب أهلية أو دولية، بين طرفين أو أكثر، إلا أن ممارسة الإرهاب في الحروب النظامية اقل باعتبار أن معظم دول العالم منضوية تحت لواء الأمم المتحدة التي وضعت قوانين صارمة من أهمها تحريم اللجوء إلى ممارسة الإرهاب في سبيل تحقيق النصر، ويمكنها فرض عقوبات عسكرية واقتصادية وسياسة ودبلوماسية لأي طرف تبث ممارسته الإرهاب أثناء الصراع، في حين تمارس العمليات الإرهابية بكثرة في الحروب الأهلية لأنا قد تكون بين طرفي صراع لا يحضا كلاهما أو احدهما بالاعتراف الدولي وعلى هذا تصعب مراقبة سير الصراع المسلح، وبالتالي صعوبة معرفة الطرف الممارس للجريمة الإرهابية.

ومن أسباب شيوع العمليات الإرهابية في الحروب الأهلية:

١ ـ العديد من المنظمات الثورية المسلحة المشاركة في الحرب تفتقد إلى الأسس القانونية الواضحة والخبرة اللازمة لوضع قواعد قانونية معتبرة لأنا تتكون من خلايا صغيرة في اغلب الأحيان.

٢ ـ في معظم الأحيان لا تعترف دول العالم ومنظمة الأمم المتحدة بالمنظمات الثورية والمسلحة.

٣ ـ عدم اعتراف المنظمات الثورية في العديد من الأحيان بالقوانين

الوطنية والدولية في إدارة الصراع.

وثمة فرق بين الإرهاب والحرب، فالعملية الإرهابية تقع بين طرفين أولهما مسلح والآخر غير مسلح، على الأقل في الوقت الذي تنفد أثناءه العملية الإرهابية، كما أن العملية الإرهابية تحقق أهداف أصيلة في جوهرها كبث الرعب والفزع في صفوف الأبرياء حتى لو تسببت في مقتل منفذها بعكس الحرب تماما.

الإرهاب وحرب العصابات

تعرف حرب العصابات على أنا مرحلة من الحروب التقليدية يجب أن تسير بكل قوانينها ولكن باعتبار وجهها الخاص فإنا تتضمن قوانين إضافية من الواجب أن تخضع لها «وفي تعريف آخر» نمط واضح ومحدد من أعمال الحرب والمقاومة يمارس بصفة أساسية في الغابات والأحراش والمناطق الريفية« وفي آخر «أسلوب للقتال المحدد في ظروف مختلفة عن الظروف المعتادة للحروب» تعريف منظمة الصليب الأحمر الدولي«معارك مسلحة يقوم با أنصار حركة ضد جهاز من أجهزة الدولة يعارض أفراد العصابة».

يصور المفكر الانجليزي «ماوتس توبخ» في إحدى نظرياته ٣ ثلاثة مراحل لحرب العصابات،الأولى المرحلة الابتدائية وهي مرحلة الإعداد والتجهيز عن طريق بث العقيدة وتنمية الروح الثورية، الثانية نشر حركة العصابات وبسط سيطرتا على مساحات واسعة من الأراضي، الثالثة تحول العصابات إلى جيش منظم بغرض محاربة القوات الحكومية.

وتحتاج حرب العصابات إلى التخطيط الدقيق ومرونة التنفيذ حتى يمكن بسهولة تغيير المواقف والتكتيكات العسكرية، وتشن حرب العصابات عادة خلف خطوط القتال (الجبهة) وتستخدم الـموعات المسلحة في العديد من الأحيان الجبال والغابات الكثيفة والأماكن الوعرة كملاذ آمن لمقاتليها.

يطلق على أفراد العصابات المسلحة مسمى «رجال العصابات» أو أعضاء حركة المقاومة أو الثوار، إذ أنم ينضمون أنفسهم في أيطار جماعة تتسم

بالشدة والصرامة، ولها قائد وموقع معين ويرتدي أفرادها عادة زيا معين ويحملون إشارة معينة وعملياتهم في العادة محكومة بقواعد دولية في الـ اع المسلح ويتمتعون بدعم شعبي، ولعل الجناح العسكري لحزب الله اللبناني من اصدق الأمثلة على حرب العصابات، فالمقاومة الإسلامية شنت حرب عصابات مركزة على قوات الاحتلال الإسرائيلي على مدى عشرين عاما ونالت طوال تلك السنوات الطويلة بدعم شعبي ورسمي وإقليمي واسع النطاق، كان نشاط المقاومة ضد الاحتلال وبالتالي كان ملتزما بقواعد القانون الدولي الذي يؤكد على مشروعية مقاومة الاحتلال، وعدم استهداف المدنيين أو استخدام أسلحة محرمة دوليا، إلى جانب ذلك كان حزب الله حركة سياسية واجتماعية وثقافية استطاعت أن تفرض وجودها واحترامها داخل لبنان وخارجه، وتوجت حرب العصابات التي كانت تعني في أدبيات الحزب والقانون الدولي بـ «المقاومة باندحار الاحتلال الإسرائيلي وانسحاب إسرائيل من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م».

الفرق بين حرب العصابات والإرهاب

ثمة تمايزات بين الإرهاب وحرب العصابات، فحرب العصابات تتم عادة في البقع الجغرافية البعيدة عن التجمعات المدنية كالأرياف والبراري ومحيط الغابات، في حين تتركز العمليات الإرهابية في المدن والتجمعات الحضرية، تستهدف حرب العصابات القوى العسكرية والأمنية في المقاوم الأول بينما تستهدف العمليات الإرهابية في العديد من الأحيان مدنيين أبرياء تتهمهم أدبيات المنظمة الإرهابية بالعمالة والخيانة وموالاة السلطة والتدين بمذهب غير شرعي في أيطار الديانة الواحدة أو أتباع دين فاسد كما حدث في عام ٢٠٠٢م عندما هاجم انتحاري من القاعدة معبد يهودي في إحدى الجزر التونسية التي يقطنها يهود تونسيين، وقال في شريط مصور انه لم يعد يحتمل ما يقوم به اليهود في فلسطين من قتل واعتداء على أخوته المسلمين الفلسطينيين فقام بعمله هذا انتقاما من اليهود، بينما يعد هؤلاء مواطنين تونسيين ليس لهم

علاقة بإسرائيل وان كانوا من أتباع الديانة اليهودية.

وتستهدف حرب العصابات مقرات الحكومة الأمنية والعسكرية ابتداء بينما من الممكن أن تستهدف العمليات الإرهابية المراكز الخدمية والإنسانية وكذلك المنشات الدينية لدوافع طائفية ليس لها علاقة مباشرة بمعطيات الصراع.

الحركة الثورية تأخذ في حسبانا الدعم الشعبي وتسعى إليه بكل الطرق والوسائل بينما يكون من نتائج العلميات الإرهابية بث الرعب في العديد من الفئات والشرائح الاجتماعية بغية تحييدهم لتصبح الدولة أو المنظمات المنافسة بعيدة عن قواعدها الشعبية ووحيدة في حلبة الصراع.

من أهم الفرو قات أن المنظمة الثورية تتخذ من حرب العصابات شكلا رئيسا للنضال وتتخذ من إقليم معين في الدولة مقرا لنضالها وفي اغلب الأحيان يكون الإقليم الذي تحظى فيه بدعم شعبي واسع نسبيا، على عكس المنظمات الإرهابية التي تعمل في الخفاء ولا يعرف لأعضائها مكان معين، فحركة حزب الله مقرها الرئيسي في الضاحية الجنوبية من بيروت ولها مراكز ومنشئات تعمل في أيطار قانون الدولة اللبنانية وتحظى بدعم شعبي كما أطلقت الحركة قناتا الفضائية في أواخر التسعينات، وللحركة جناحها السياسي الممثل بكتلة الوفاء في المجلس النيابي اللبناني كما وتشارك في الانتخابات والأنشطة الشعبية والرسمية الأخرى، وأهداف حرب العصابات التي شنتها على إسرائيل واضحة تماما، بينما في المقابل ليس لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين الذي يتزعمه أبي مصعب ألزرقاوي أي تشكيل سياسي واجتماعي واضح ومعروف وخلاياه المسلحة تقاتل في الظلام ولأهداف بعيدة عن واقع المعادلات السياسية والعسكرية إقليما ودوليا.

الإرهاب والإعلام

للإعلام دور مهم في الصراع بين القوى المؤثرة في المجتمع الإنساني لأنه يستطيع قلب الحقائق الأيدلوجية والسياسية لصالح قوة ضد أخرى فيصور

الضحية على انه الجلاد والجلاد ليس سوى الضحية التي يجب مناصرتنا، تماما كما يحدث اليوم في فلسطين المحتلة، فالإعلام الصهيوني العالمي يتجاهل تماما المجازر الرهيبة التي ترتكبها قوات الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني، وفي أحيان عديدة يضع المبررات لهذه المجازر مهما كانت بشعة، فالطفل محمد الدرة ليس سوى ضحية قتل إرهابية أقدم عليها جنود الاحتلال دونما وازع من ضمير أو قانون ولكن ماكينة الإعلام الضخمة الموالية لإسرائيل والصهيونية العالمية والتي تنتشر حول العالم أقنعت جمهور عريض من المثقفين والسياسيين والعامة انه وقع ضحية اشتباكات بين مسلحين فلسطينيين وجيش الدفاع الإسرائيلي!

يتحرك الإعلام الصهيوني عبر منافذ مالية ضخمة وقواعد عقائدية وثقافية عالمية تعمل بصورة مركزة وبمختلف اللغات وتسيطر على مراكز المال العالمية والشركات العملاقة، لذلك أصبح هذا الإعلام قادر وبكل سهولة على تقديم مفاهيمه وأفكاره وتصوراته ونظرياته للعالم[1].

بينما لا يمتلك الإعلام الإسلامي والعربي أية قدرة على المنافسة وحتى هذا اليوم لم تطلق أية قناة عربية تخاطب الرأي العام العالمي لا سيما الأمريكي والأوربي لشرح مواقف الأمة الإسلامية من القضايا الحيوية حول العالم مما هيأ الرأي العام العالمي للنظر إلى المسلمين باعتبارهم مجتمعات تدين بالإرهاب وإلى الإسلام على انه دين تحتل ثقافة الإرهاب جزء من تعاليمه وقيمه وعلى انه دين تطرف وغلو، وتبقى هذه النظرة مترسخة في الوجدان العالمي ليس بسبب قوة الإعلام المعادي للإسلام والإعلام الذي يقرأ الإسلام بأيدلوجيته ومصالحه وثقافته المكتسبة فقط بل لكون الأمة الإسلامية تعاني من إشكاليات خطيرة

---

(١) برغم ضخامة المجهود الإعلامي الموالي للصهيونية وإسرائيل إلا أن انفتاح العالم فيما يعرف ب«العولمة» أتاح للعديد من شرائح المجتمع الأوربي الاطلاع على أعماق القضايا وأدق تفاصيلها إضافة إلى قراءته واستماعه لوجهات النظر المختلفة بدون قيود أو مؤثرات ففي استفتاء جريء قامت به إحدى الصحف الأوربية عن الدولة التي تشكل خطرا حقيقا على السلام العالمي كانت النتيجة أن نسبة لا تقل عن ٨٥٪ من المشاركين كان رأيهم أن إسرائيل تمثل الخطر الأكبر على السلم الدولي، وقام الشارع الأوربي والأمريكي بمظاهرات ضخمة قبل وأثناء وبعد الحرب على العراق منددا بالحرب وسياسات الإدارة الأمريكية.

وحقيقية في الماضي والحاضر من أهمها سيطرة النظم الشمولية سياسيا ودينيا واجتماعيا على مراكز السلطة والنفوذ وانتشار حقيقي وواقعي للتيارات الإرهابية التي تمارس أنشطتها باسم الدين والحقيقة المطلقة، بينما تقف الشعوب الإسلامية والعربية مكتوفة الأيدي غير قادرة على المواجهة وانتشال ذاتنا من آتون التخلف والبؤس والرجعية لتبقى أسيرة أنظمتها الحاكمة وتلك الحركات الإرهابية المتخلفة التي تنشر الموت والخراب في كل مكان.

فعلى مر مئات السنين من الاضطهاد والقمع والإرهاب والتعصب الرهيب المستمر إلى يومنا هذا تستمر الغالبية العظمى من الطائفة السنية في نظرتنا المشينة لأتباع الطائفة الشيعية رغم القفزة المذهلة في عالم الاتصالات وتحول العالم بأسره إلى ما يشبه القرية الكونية الواحدة، إلا أن الإعلام المتخلف ما زال مسيطرا ومستفردا يقرأ الشيعة بصورة مجانبة لحقيقة مذهبهم بعقائده وفقه ومواقفه من الأحداث، وتساهم الحكومات الشمولية عبر الرقابة الصارمة في منع أي تواصل ايجابي بين المذاهب الإسلامية، فالمطبوعات الورقية والالكترونية التي تشرح وتبين لكافة الطبقات الثقافية حقيقة مذهب الشيعة ممنوعة في اغلب الدول، وفي المقابل تنتشر المطبوعات المعادية للشيعة لا سيما تلك الصادرة من المراكز السلفية التي تمولها وتدعمها الجهات الرسمية في أكثر من دولة عربية .

كما تمنع وتحارب بكافة الطرق والأساليب أية محاولات لقاء وتواصل ايجابي بين الطائفتين بل ويهدد القائمين عليها بالسجن والطرد من الوظيفة العامة وحظر كافة الأنشطة الأخرى، ولم تسلم حتى القنوات الشيعية الفضائية من الاضطهاد والقمع العربي فقناة الأنوار الفضائية ليست سوى قناة دينية شعبية شيعية تطلق من الكويت بتصريح من الحكومة الكويتية إلا إنا منعت من الاستضافة على قمر «العربسات» بضغط من بعض الحكومات الخليجية وواجهت العديد من العقبات لمنعها من البث.

ويمكن النظر إلى العلاقة بين الإرهاب والإعلام من خلال زاويتين:

الزاوية الأولى: العلاقة بين الحركات الإعلامية والحركات الثورية:

لا تتمكن في معظم الأحيان المنظمات الثورية من إنشاء مؤسسات خاصة بها لارتفاع تكلفتها ومحدودية الموارد لذلك فإننا نجد في المؤسسات الإعلامية المختلفة من قنوات فضائية وصحف واسعة الانتشار منفذ حيوي لمخاطبة الرأي العام الخارجي ولإيصال رسائلها السياسية ولتشعر بوجودها القوى الإقليمية والعالمية، ولعلها بهذا الظهور تستطيع تحصيل التأييد الشعبي اللازم وتعبئة الأصوات وكذلك من الممكن أن تتلقى الدعم من قوى إقليمية وعالمية مناوئة للنظام أو القوى التي تحاربها وتشن عليها عملياتها العسكرية.

الزاوية الثانية: العلاقة بين الحكومات ووسائل الإعلام:

غالبية الدول الشمولية والمركزية تتخذ من الإعلام وسيلة في منتهى الأهمية لبث الرسائل إلى الشعب، والإعلام هنا وسيلة ارتباط مركزي بين النظام والجماهير، لذلك فانه في أحيان كثيرة أول مؤسسة تسقط بيد النظام الجديد هي المؤسسة الإعلامية التي يبث منها البيان الأول للثورة.

الحكومات من خلال وسائل الإعلام المحلية والإقليمية والدولية تحشد الرأي العام ضد الإرهابيين المفترضين وتحث الأفراد على عدم التعامل معهم والإفصاح عن أماكن وجودهم وترصد مكافآت مالية لمن يدلي بمعلومات عنهم، وتستغل المؤسسات الإعلامية من تلفزيون وإذاعة وصحافة مطبوعة والكترونية في شن حملات سياسية ودينية وفكرية ضد القوى المعادية في الداخل والخارج وتصور لشعبها والشعوب المجاورة على أنها النظام النموذجي الذي ارتضاه الشعب والذي يكافح من اجله في مواجهة الإرهابيين والأعداء الذين يريدون تدمير الوطن وتحطيم كل شي يقف في طريق أهدافهم المشبوهة التي لا يقرها عقل أو منطق.

الإرهاب وعمليات الكفاح المسلح

لا تجدي في الغالبية العظمى من الأحيان عمليات الكفاح السلمي سواء السياسية أو الإعلامية في مناهضة قوات الاحتلال أو الأنظمة الغير شرعية لذلك تلجا الشعوب والمنظمات الثورية للكفاح المسلح باعتباره الطريق الأمثل

والواقعي لمواجهة غطرسة القوة وسياسة الاضطهاد والقمع المريع التي تمارسها القوات المحتلة أو قوات النظام المتغطرس، ويعرف الكفاح المسلح على انه «استخدام القوة من اجل الوصول إلى تقرير المصير» وفي تعريف آخر «حق الشعب في تملك زمام أمره وتقرير حاضره ورسم خريطة مستقبله السياسي والاقتصادي دون تدخل» أشير للكفاح المسلح في ميثاق الأمم المتحدة في الفصول من ١١ إلى ١٢ الخاصة بإدارة الأقاليم تحت الوصاية وأشار إليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م واتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩م وإعلان استقلال البلدان والشعوب المستعمرة عام ١٩٦٠م، أول ظهور علني للكفاح المسلح كان على أيدي زعماء الثورة الفرنسية حيث أعلنوا استعدادهم لمساندة الشعوب المستعمرة للحصول على حق تقرير المصير.

للكفاح المسلح صورتين إحداهما على المستوى الداخلي الذي يعني حق الشعب في اختيار شكل الحكم الذي يلائمه وتنظيم شئونه السياسية والإدارية والاقتصادية بناء على قواعده المركزية كالدين مثلا، والثاني على المستوى الدولي وله بعدان الأول حق الشعب في أن لا يكون عرضة للمساومة أو التنازل بغير إرادته والآخر حق الشعب في الانفصال عن الدولة المركزية.

يمارس الشعب لحقوقه المشروعة قد تكون سليمة عن طريق الاستفتاء العام والانتخابات وقد تكون بالكفاح المسلح وفقا للقانون الدولي، ففي عام ١٩٧٢م أدانت الأمم المتحدة الإعمال الإرهابية من قبل الأنظمة الاستعمارية والعنصرية لذلك فان الرد على إرهاب الأنظمة لا يتأتى إلا عن طريق الكفاح المسلح الذي يعتبر نشاطا مشروعا في هذه الحالة علاوة على حالات كثيرة مبينة تفصيلا وإجمالا في القوانين والأنظمة والاتفاقيات الدولية.

وان كانت قرارات بعض هيئات الأمم المتحدة كالجمعية العامة لا تحمل صفة الإلزام والشرعية إلا أنها بطريقة أو بأخرى تعبر عن الضمير الدولي، وقد أشير لحق الكفاح المسلح في العديد من مواضع القانون والاتفاقيات الدولية التي تحمل صفتي الاعتراف والتصديق كاتفاقية لاهاي عام ١٩٠٧م واتفاقية جنيف الأولى والثانية الخاصتين بالمرضى والجرحى والثالثة الخاصة بالأسرى إضافة إلى

البر وتوكلين المضافين لاتفاقيات جنيف الأولى والثانية عام ١٩٧٧م حيث أسبغا على أفراد المقاومة المسلحة وصف المحا ربيين ففي حال وقوعهم في قبضة العدو يجب أن يعاملوا كأسرى حرب وليس كمقاتلين غير شرعيين بشروط منها أن يكونوا تحت مسئولية شخص مسئول عن مرؤوسيه وان تكون لهم علامة مميزة وان يحملوا السلاح بشكل ظاهر وان يمارسوا عملياتهم الحربية وفقا لقوانين وأعراف الحرب المتداولة.

الفرق بين الكفاح المسلح والإرهاب

لا بد من وضع الفرو قات المنهجية بين الإرهاب الغير مقبول عالميا وبين الكفاح المسلح الشرعي ورغم أن بعض عمليات الكفاح المسلحة توصم بالإرهاب لمصالح معينة ترتئيها بعض الدول إلا انه على المستوى النظري على الأقل ثمة فرو قات منها أن الكفاح المسلح ذو طبيعة عسكرية وشعبية في حين أن الإرهاب من الممكن أن يتخذ طابعا عسكري إلا انه غير شعبي فعمليات حزب الله عمليات عسكرية تشن على جيش الاحتلال وتحظى بزخم شعبي واسع بينما عمليات تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ليست سوى عمليات انتحارية تستهدف تجمعات العسكريين دون مواجهة مباشرة مع القوات المستهدفة وتسقط من جرائها الضحايا المدنيين دون اكتراث قادة التنظيم بل يضعون لها المبررات الدينية اللازمة لتنفيذها.

كذلك كانت عمليات المقاومة في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي والتي راح ضحيتها أكثر من مليون قتيل تعتبر عمليات كفاح مسلحة مشروعة ولا يمكن وصمها بالإرهاب، كما أن الكفاح المسلح يتصف بالوطنية بينما الإرهاب يتصف بأبعاده الأيدلوجية المتخلفة والمتشددة، ثم أن عمليات الكفاح المسلح تقوم با الحركات المسلحة تجاه العدو المحتل والنظام المتغطرس وضد أهداف عسكرية في المقام الأول بينما تستهدف العلميات الإرهابية علاوة على المنشات العسكرية والأمنية أفراد الشعب ومقدرات الأوطان مصحوبة بدوافع دينية متخلفة كوصمها هذه الطائفة أو تلك من الشعب بموالاة النظام أو

بالخروج عن دائرة الدين أو العقيدة أو الوطن أو بوصف وجودها غير شرعي وبالتالي تتحمل عواقب بقاءها في البلاد.

اقتراحات وتوصيات وأفكار ختامية

الإرهاب والتعصب كظاهرة إنسانية لا يمكن القضاء عليها نهائيا في المجتمعات البشرية لأنها قد تظهر بين فترة وأخرى نتيجة لعوامل مختلفة ومتباينة تبعا للتطور والرقي أو للتخلف والتراجع في مسيرة الحضارة والتمدن الإنساني ولكن يمكن الحد منها وجعلها في الذهنية العامة السائدة والثقافات المتنوعة والطبيعة السوية منبوذة وغير مقبولة على نحو الإطلاق.

إن هذا لا يمكن تحقيقه إذا ما لم يصبح «الحوار» و«التسامح» طبيعة أصيلة بين مختلف الديانات والطوائف والمذاهب والثقافات، وتتركز الدعوة إليها في مناهج التعليم ووسائل الثقافة العامة في المجتمعات عبر المؤسسات التعليمية والثقافية وعلى رأسها منظمة اليونسكو التي من المفترض أن تقدم ثقافة الحوار والتعددية والتسامح كمشروع ثقافي عالمي لعالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

في العالم الإسلامي كيف يمكن تطبيع ثقافة الحوار وجعلها من بديهيات الحياة الثقافية والفكرية والتعليمية في ظل الاحتقان الطائفي والمذهبي وشيوع الإرهاب والتعصب كظاهرتين متلازمتين تنموان بنمو المجتمعات الإسلامية؟؟ لعل أول حربة في الحرب على الإرهاب والتعصب تكمن في دعم التيار الإسلامي الليبرالي في مواجهة الفكر المتشدد والمتطرف، فالليبرالية الإسلامية ليست تيار غربي متوافق مع الغرب انشئته الثقافة الغربية إنما نتاج حركية إسلامية أصيلة في الفكر والثقافة الإسلامية رغم صيرورتها إلى الارتكان والإقصاء بفعل عوامل عديدة اجتاحت العالم الإسلامي ولكن والعالم يعيش في القرن الجديد في ظل العولمة وتداول المعلومات ويسر وسائل الاتصال فان هذا التيار بدا يظهر من جديد وان كان ذلك على استحياء وقلة من الأنصار، لذلك فان ما نتطلع إليه في عصر المعلومات أن يتلقى الدعم الدولي ليساهم في نشر

ثقافة التسامح ونبذ الإرهاب والتطرف والتعصب وسائر الظواهر التي جلبت الدمار للبشرية.

لا يمكن القضاء على الإسلام كدين سماوي، فاليهودية والمسيحية ديانتان أقدم من الإسلام وعندما ظهر الإسلام لم تكن من أجندته إطلاقا القضاء عليهما كديانات سابقة يعتقد النبي الكريم(ﷺ) وجميع المسلمين جزما أنهما باطلان ومنسوخان بالديانة الإسلامية الجديدة، ولم تكن للإسلام والدولة الإسلامية كامل السيادة على الأرض أيضا، يقول القرآن الكريم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، لذلك يمكن الحد من الإرهاب والتعصب باسم الإسلام وشل فاعلية المنظمات والتيارات المتشددة والإرهابية بحيث لا تكون لها السيطرة والبسط على حركة المجتمعات والشعوب الإسلامية وذلك بدعم التيارات الدينية المعتدلة والتي تؤمن بالحوار والتسامح بين الأديان والطوائف.

سابقا وفي غمرة المد الشيوعي دعمت الحكومات العربية والغربية التيارات الإسلامية المتطرفة وتوارت بذلك التيارات الإسلامية المعتدلة لتنزوي في معاقلها دون المشاركة في رسم الواقع السياسي والديني والثقافي مما أدى لتوسع القاعدة الشعبية والبنى التنظيمية للحركات الإرهابية ذات الأيدلوجية الإسلامية، وعندما انحسر المد الشيوعي توجهت تلك الحركات لمحاربة الأنظمة والقوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، دعت الإدارات الأمريكية المتعاقبة دول العالم لتنديد بالإرهاب ومحاربته أينما كان وكيفما كان إلا أن الولايات المتحدة والغرب والأنظمة العربية نسوا أو تناسوا أن تلك القوى الإرهابية ليست سوى صنيعة أجهزتهم الاستخبارية وجهت لمحاربة أعداء الأمس فانقلبت عليهم بعد حين، وهاهي دول مصر والأردن والسعودية والعراق وإمارات الخليج تعاني من الإرهاب ورغم أنها تدعي بأنها ستقضي عليه لا سيما الدول التي تواجه تنظيم القاعدة الإرهابي على أراضيها مباشرة إلا

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥.

أنا لا تقر ولا تعترف بحقيقة أن البيئة الاجتماعية المتخلفة والنظام الاجتماعي المتدهور والاقتصاد المنهار والإعلام المنغلق وانعدام الحريات إلى غيرها من علامات البؤس والتخلف التي تقبع في وحله هذه الدول حكومة وشعبا هي التي تخلق أفراد وجماعات جديدة وسيجد النظام الحاكم نفسه بعد حين في مواجهة خلايا جديدة فما أن يقضي على خلية حتى تظهر أخرى، وهكذا تستمر الماسآة إلى ما لا ناية.

انه خطا محوري مطلق ترتكبه الأنظمة العربية فقد دعمت نظام صدام الدموي في حربه ضد الجمهورية الإسلامية في إيران وبعد انقضاء الحرب بسنتين فقط كان الخطر المحدق بدول الخليج هو النظام العراقي وليست الجمهورية الإسلامية فكان أن غزا صدام الكويت وتسبب بحرب جديدة دفعت وقودها شعوب المنطقة واستنزفت مليارات لا تعد ولا تحصى من قوتنا وقوت أجيالها القادمة.

في العصور الوسيطة دعمت الأنظمة سلطة الكنيسة التي كانت تمارس العنف والإرهاب وتتجاهر بالتعصب والتشدد والتطرف تثبيتا لسلطتي التاج والكنيسة ولكن بعد الثورة الأوربية وقيام الملكية الدستورية والأنظمة الديمقراطية تعاملت الحكومات المنتخبة من قبل شعوبا مع قوى الإرهاب والتطرف بما تمليه عليها مصالح الشعب والأمة ووضعت البرامج والخطط الشاملة لؤود أنشطتها وشل فاعليتها وجعلها غير قادرة على التأثير على مسار الأحداث وتحويلها إلى خلايا نائمة ومنظمات مدنية صرفة، أما الحكومات العربية فللأسف الشديد لم تتعامل مع القوى الإرهابية والمتطرفة إلا باللغة الأمنية والاستخبارية المعتادة فكانت النتيجة عكسية وما تزال الأنظمة غير قادرة على بلورة نظام متكامل لتحويل المنظمات الإرهابية إلى قوى فاعلة ايجابية لان الإصلاح والتغيير لا بد أن يبدأ بتلك الأنظمة التي انتشر فيه الفساد وسوء الإدارة وأصبح هدف رؤساؤها هو البقاء في السلطة دون الاكتراث للشعب وما يعانيه من تخلف حضاري غير مسبوق، والى يومنا هذا ما تزال بعض الأنظمة تكسب شرعيته من المؤسسات الدينية الرسمية والشعبية المتخلفة

التي لا تؤمن بالآخر وتقوم أجندتا الفقهية والعقائدية على مبادئ متهاوية في أبعادها الدينية والزمانية والمكانية والحضارية، وفي سوريا تلقت حركة الإخوان المسلمين الدعم المالي واللوجستي من نظام صدام وناهضة الحكومة السورية فقامت قوات الجيش العربي السوري في عام ١٩٨٢م بشن هجوما كاسحا على مدينة حلب معقل الإخوان المسلمون فسقطت المئات من الضحايا الأبرياء.

وهكذا في معظم الدول العربية والإسلامية لا تتم معالجة الأمور في أطرها القانونية والشرعية لافتقاد الأنظمة العربية للشرعية الحقيقة لوجودها، فتغلب لغة الدم وحاكمية صراع القوى على لغة العقل والمنطق والضمير.

إن الأنظمة الغربية منتخبة من قبل شعوبا لذلك فهي تمارس السياسة لما فيه صالح تلك الشعوب، أما الأنظمة العربية والإسلامية فمعظمها بعيدة كل البعد عن طموحات وآمال شعوبا وتعمل لما فيه صالح بقاء الحزب الحاكم والعائلة الحاكمة في السلطة بغض النظر عن إرادة الشعب الذي تمارس عليه أقصى درجات القمع، فإذا ما كانت الحركات الإرهابية تسير في مسار ينتهي إلى صالحها مثلما كان ذلك في السبعينات والثمانينات الميلادية من القرن الماضي فإنا تسارع إلى دعمها ورعايتها وإذا ما كانت تشكل خطرا محدقا بسلطتها فإنا تسارع إلى محاربتها واستئصالها، أما الشعوب فهي مجرد وقود للسياسية العنجهية من جانب هذه الأنظمة، فالشعب يزود الحركات الإرهابية بالعنصر البشري، وهذا العنصر هو الذي يقع ضحية حرب الاستئصال فيما بعد، أما الشعب فليس له إلا البكاء على أبناءه القتلى وليس له الحق في يوم ما في حياة كريمة حرة ما دامت هذه الأنظمة الدكتاتورية المستبدة تحكم باسمه أو باسم مرتكزا ته الدينية والحضارية والتاريخية.

الأنظمة العربية هي التي ساهمت في التغرير بالشباب العربي لمواجهة الاحتلال السوفييتي لأفغانستان وبعد انتصار المجاهدين واندحار الغزاة السوفييت قامت مجاميع من هؤلاء الشبان بمحاربة أنظمتها فما لتبثث أن اندلعت المواجهات بين السلطة وخلايا القاعدة، واعتمدت الأنظمة الحل الأمني كخيار

وحيد ولم تعول على نداءات الإصلاح والتغيير والتطوير في هيكل السلطة والنظام الاجتماعي والاقتصادي والإداري ولم تعترف بحق الشعب في حياة كريمة وسعيدة، وهاهي مجاميع الشباب العربي البائس تلتحق بدعم مباشر وغير مباشر من قوى دينية مقربة من الحكومات بالحركات الإرهابية في العراق مشحونة بتعبئة طائفية بغيضة ضد الشعب العراقي ولعل للمخابرات العربية الرسمية دورا في توجيههم إلى العراق لان عراق مستقر يسيطر عليه الشيعة ليس في مصلحة النظام العربي الرسمي وليس يهم السلطة من يقتل في العراق من الشباب العربي لان الإنسان ليس له قيمة تذكر أمام مصالحهم الأنانية[1].

سبل محاربة ظاهرتي الإرهاب والتعصب على مستوى العالم

إن نشر الديمقراطية باعتبارها آخر نتاج ثقافي وفكري واقتصادي وسياسي على مستوى الإنسانية جمعاء أمر لا بد منه ، لان الديمقراطية في مسارها العريض وتفاصيلها الدقيقة ترفض الديكتاتورية والاستبداد، والحرية نقيض للقمع، والتسامح ضد التعصب، والديمقراطية نظام حيوي فاعل يضمن في جزئياته كافة قيم الانفتاح والتحضر التي تضمن للبشرية السعادة والأمان والرفاه، وإذا ما كانت القوى الكبرى جادة في محاربة الإرهاب فلا بد من أن تتخلى عن دعمها للأنظمة القمعية والدكتاتورية والعمل على قيام أنظمة ديمقراطية أو على الأقل أنظمة تمارس الديمقراطية بشكل جزئي أو أنظمة توافقية يرتضيها شعبها وتكون بعيدة عن مدار الاستبداد والدكتاتورية.

إن الديمقراطية تمثل إلا فيما ندر القاسم المشترك لتطلعات الشعوب التواقة للحرية والعدل والمساواة ولا يمكن أن تكون للقوى العظمى مصداقية بين شعوب العالم إلا إذا مارست الديمقراطية في المنظمة الدولية وفي مجلس الأمن على وجه التحديد دون الخروج عن المألوف ومواجهة إجماع العالم أو حكم الأكثرية باستخدام حق النقض «الفيتو» فقضية فلسطين وغيرها من قضايا

الضمير العالمي تمثل قضية إجماع عام ولم يكن باستطاعة إسرائيل أن تمارس سياسة البطش وغطرسة القوة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وان تستمر في انتهاكاتها الرهيبة لحقوق الإنسان الفلسطيني دون الحماية الأمريكية اللامحدوده التي تمثل دعما بغيضا غير أخلاقي لدولة معتدية غير خاضعة للقانون الدولي وهذا دون شك يسقط المصداقية الدولية والأمريكية على وجه الخصوص، أما الدعوات الأمريكية لنشر الديمقراطية فليس لها أي معنى في ظل دعمها للعدوان الإسرائيلي المستمر على الشعب الفلسطيني.

إن حل المشاكل العالقة بناء على إجماع مجلس الأمن أو من خلال تحصيل النصاب القانوني في المجلس وعبر سلطات الأمم المتحدة الأخرى ومنها مشكلة فلسطين تحديدا باعتبارها القضية المركزية في الشرق الأوسط سيساهم حتما في تراجع المد الإرهابي في العالم لأنه سيثبت فاعلية الأمم المتحدة وجدية القوى الكبرى في نشر السلام والمحبة حول العالم أما إذا استمرت القضية الفلسطينية دون حل وتملك العظمى مفاتيح حلها دون أن تحرك ساكنا فان هذا يعني امراً واحدا لا غيره هو استمرار الإرهاب بقوة وبمساهمة القوى العظمى نفسها لأنها بذلك ستقدم المبررات وستوفر التربة الخصبة لقيام المنظمات الإرهابية التي سوف تتهم القوى الكبرى بأنها ليست سوى قوى تتاجر بالمصطلحات وتراهن على قضايا الشعوب المستضعفة والمنكوبة ولن تجد تلك القوى أي ردا شافي يبرر تقاعسها عن حل قضايا الشعوب ورفع معاناتها.

إن استمرار الضغط بكافة أشكاله على الأنظمة الاستبدادية والقمعية والإرهابية لتغييرها جذريا أو جزئيا أمر لا بد منه حتى تتخلى عن ممارساتها الإرهابية والقمعية ولتغيير مؤسساتها تغييرا فعليا يضمن إقامة مؤسسات أو أجهزة قادرة على التفاعل الايجابي مع شعوبها لتحقيق التنمية الشاملة، وفي هذا المضمار لا بد من احتضان القوى الديمقراطية المناوئة لتلك الأنظمة وإحلالها بديلا عنها في بعض الأحيان ولحملها على تغيير سياساتها وإشراك المعارضة في إدارة البلاد في أحيان أخرى، ولا بد من أن تكون للدول الديمقراطية مزايا على الصعيد الدولي كالأولوية في الاتفاقيات الاقتصادية العالمية والانضمام للمجلس

الأمن وعضوية المنظمات التابعة للأمم المتحدة، بينما لا بد من عزل الأنظمة القمعية، وجعل الأنظمة الغير ديمقراطية في الصفوف الأخيرة في المعاملات الدولية ورهن ذلك بالتقدم في مسار حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية والتنمية المحلية الشاملة.

إن بناء العلاقات الدولية بناء على التقدم في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان سيخلق بيئة تنافسية تؤدي إلى انحسار نشاط وثقافة وممارسة الإرهاب سواء من جانب الدول أو من القوى الأخرى المؤثرة على الساحة المحلية أو الاقليمة أو الدولية.

إصلاح الأمم المتحدة

لكي تستطيع الأمم المتحدة أداء مهامها بفاعلية ولتساهم باقتدار في السلم الدولي والحد من الحروب والجرائم والإرهاب على مستوى العالم لا بد من إصلاح أنظمتها الداخلية ومكافحة الفساد المالي والإداري والأخلاقي الذي بدا يظهر جليا في الآونة الأخيرة، كذلك فان من أهم الإجراءات في هذا المضمار تطوير القوانين الدولية عبر مساهمة كافة الأمم في صياغتها والاتفاق على معايير وتعريفات محددة وواضحة للإرهاب وكافة أشكال التعسف المنبوذ، واستقلالية سلطاتا وتعزيزها بحيث ينتفي التأثير الخارجي لصالح دولة ما أو تحالف ما على حساب الشعوب ومضامين العدالة وال اهة.

إن إصلاح الأمم المتحدة سيؤتي بثماره على كافة شعوب ودول العالم خاصة في مجال مكافحة الإرهاب، فأجهزت الأمم المتحدة سوف تساهم في انجاز مشاريع التنمية الاقتصادية والتعليمة والثقافية خاصة في الدول الفقيرة بما يحقق لشعوبا مستويات معيشة معقولة يجنبها ا ا اعة ويمنحها الأمن والسلام والحياة الكريمة وبالتالي يتحقق التوازن المنشود بين العالم الغني والعالم الفقير بحيث لا تنظر الشعوب الفقيرة بعين الكره والحقد للشعوب الغنية والتي تعتبر اللبنة الأولى للإرهاب العالمي، هذا على الصعيد الدولي أما على الصعيد الداخلي فانه سيحدث توازن بين الطبقات الغنية والفقيرة داخل مجتمعات

الشعب الواحد بما يحقق رفاه نسبي يلقي بظلاله الرحبة والايجابية على الحياة العامة من ثماره انحسار خطر نشوء جماعات وبالتالي منظمات تمارس العنف ثم الإرهاب.

إن تطوير أنظمة التجارة والاستثمار بحيث لا تتحول الدول الفقيرة إلى دول منتهكة تتحكم بمواردها الشركات العالمية، ومن ناحية أخرى ضمان حق تلك الشركات في تحقيق عوائد مجزية سيكون من النتائج المتوخاة توفير آلاف الوظائف في الدول المستثمر فيها وفي مقرات الشركة الرئيسية وفروعها وسيخلق أجواء ثقة بين أطراف الاستثمار (الشركات ـ الحكومات ـ الشعوب) وسينتج عنه تعزيز الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، من ناحية أخرى لا بد من تخفيض ديون الدول الفقيرة وإعادة جدولتها بل وإلغائها وفقا لضوابط محددة تضمن حقوق الدائنين والمدينين على حد سواء حتى لا تتحول تلك الديون بفوائدها المرتفعة إلى شبح يهدد بتوقف عجلة التنمية وخلق نوع من الإحباط المؤدي إلى اليأس، وخلق روح العداوة للدول الغنية عبر بروز تيارات ومنظمات معادية للدول الغنية مما يساهم في بروز ظاهرتي الإرهاب والتعصب وسيطرت المنظمات الإرهابية على حركة الشارع، ولا بد كذلك من وضع تعاريف وضوابط ومعايير محددة للظواهر الإنسانية وعلى رأسها الإرهاب ومحاكمة الدول والمنظمات والأفراد بناء عليها بحيث تعتبر تلك المحاكمات معبرة عن الضمير العالمي.

مكافحة الإرهاب والتعصب في العالم الإسلامي والعربي

في العالم الإسلامي الديمقراطية مطلب أساسي، والديمقراطية قد تعني أقامت نظام ديمقراطي متكامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وقد تكون ممارسات ديمقراطية محكمة في ظل نظام متوازن.

يطرح سؤال مهم: كيف يمكن في ظل الجمهورية الديمقراطية أو الملكية الدستورية تحقيق نظام ديمقراطي عادل يضم كافة الطبقات؟ فلربما تستأثر

بالسلطة التنفيذية أو التشريعية أو كلاهما طبقة أصحاب رؤوس الأموال بينما يحرم منها المثقفين وأصحاب الفكر وحملة الشهادات العليا ورجال الدين إلى غيرهم من الفاعليات والشرائح؟؟ وعلى هذا تقتصر الحياة الديمقراطية على طبقة دون أخرى وتحرم منها الطبقات الفقيرة والمعدمة وتتحول إلى ديمقراطية عقيمة معروفة النتائج سلفا ويستغلها أرباب الأموال والمصالح وأصحاب الأهواء لتمرير مخططاتهم الشخصية والفئوية والأنانية دون الالتفات لوعودهم الانتخابية أو مصالح الطبقات الأخرى وبالتالي لا يصبح للديمقراطية أية جدوى حقيقة ويتحول النظام الديمقراطي إلى دكتاتورية واستبداد بغلاف براق من الحرية الزائفة.

في الحقيقة الإجابة على هذا السؤال يتطلب تخصيص كتاب مستقل ولكن بصورة إجمالية نستطيع القول أن الديمقراطية في بداية الأمر ونهايته نتاج فكر إنساني يهدف إلى القضاء أو على الأقل الحد من الاستبداد والجور والاستفراد بالسلطة وكافة مظاهر الدكتاتورية الأخرى لذلك فان نتائجها ليست بالمطلقة وذات تأثيرات ايجابية شاملة على كافة الأفراد والشرائح الاجتماعية بل أن نتائجها نسبية كأي تجربة ونظام إنساني وكوني، فالهند على سبيل المثال كديمقراطية شعبية عدد سكانها يفوق المليار نسمة لا تستطيع كافة شرائح وطبقات الشعب الاستفادة منها، فالملايين من أفرادها تسافر طلبا للرزق إلى الدول الشمولية تاركين وراء ظهورهم الديمقراطية والحرية التي تسير النظام العام في بلادهم لأنهم بسبب الفقر المدقع غير قادرين ممارسة الديمقراطية، ويمكن على وجه العموم وضع عدة ضوابط للحد من استئثار الطبقات الغنية بالسلطة في ظل النظام الديمقراطي:

١ ـ ضمان التوافق بين الوعود الانتخابية وبرامج المرشحين حال فوزهم سواء في السلطة التشريعية أو التنفيذية وذلك عبر طرق عديدة منها التشهير وفقا للقانون وتأليب الرأي العام ودعوة الجماهير إلى عدم انتخابهم في الانتخابات القادمة وفي بعض الدول يتم وضع جزاءات على المرشح إذا لم يفي بوعوده الانتخابية.

٢ ـ حصر حق الترشيح بعدد محدود من الدورات الانتخابية ففي فرنسا مثالا لا يمكن لرئيس الجمهورية أن يشغل منصب الرئاسة لأكثر من ٣ ثلاث فترات مدة كل منها ٧ سنوات كحد أقصى وكذلك في الولايات المتحدة لا يستطيع الرئيس ترشيح نفسه لأكثر من فترتين رئاسيتين وكذلك في البرلمان توضع ضوابط تمنع الاستئثار بالمقعد النيابي ضمانا لعدم الاحتكار وإتاحة الفرصة للطاقات الشابة.

٣ ـ عدم قدرة الرئيس أو عضو البرلمان تجاوز القوانين والأنظمة ضمانا لعدم سوء استخدام السلطة من خلال السلطة القضائية والأجهزة الرقابية ومؤسسات الصحافة والرأي العام.

ومما لاشك فيه لا يمكن للديمقراطية أن تكون فاعلة من خلالها يتم امتصاص ظواهر الإرهاب والتعصب وشل قدرتا على التغلغل الايجابي في المحيط الشعبي دون شن حملات استئصال واسعة للفساد المالي والإداري والأخلاقي في أجهزة الدولة ومؤسسات المجتمع المدني والقيام بإصلاحات عميقة على سعيد الاقتصاد والإدارة والمال حتى تتمكن أجهزة السلطات المنتخبة من بناء دولة حديثة مبنية على حكم القانون وحاكمية الأمة وضميرها.

إن رفع الوصاية على الشعب والبدء ببناء مؤسسات المجتمع المدني ودعمها وتعزيز أنشطتها يساهم في امتصاص ظاهرتي الإرهاب والتعصب، ومن أهم القيم الحضارية والمفاهيم الراقية التي من المفترض تحقيقها في ظل الديمقراطية المتوخاة إدراج ثقافة الحوار وقيم التسامح الديني والمذهبي والإنساني في أجهزة الإعلام ومقررات التعليم واعتبار ذلك من أعمدة الحياة الفكرية والثقافية والإعلامية والإنسانية للمجتمع الإسلامي وتحقيق تنمية شاملة مستديمة يستطيع الشعب عبرها تحقيق الاستفادة القصوى من موارده وذلك عبر شرعية دستورية وقانونية شاملة ومرنة تعزز الحريات الفردية والجماعية التي يتبلور فيها الواقع الجديد بعيدا عن الإرهاب والتعصب والغلو والتطرف.

إن وضع اللبنات للواقع الجديد في ظل دولة القانون والمؤسسات والديمقراطية الكلية أو الجزئية سيقلل من مخاطر الظواهر الإرهابية والميول ذا ت

الاتجاه المتطرف إلى حد بعيد وفي التجربة الكويتية شاهد على ذلك، فالتيار الإسلامي بكافة مصنفاته لا سيما السلفي يشارك بفاعلية في الحياة النيابية رغم عدم قناعته المسبقة بالممارسات الديمقراطية اذ انه يعتبرها بدعة غربية و لكنه يستند على قاعدة شرعية تدعو إلى درء المفسدة وتحقيق المصلحة، فرموز التيار السلفي بمشاركتهم في البرلمان يستطيعون استصدار العديد من القوانين والأنظمة من وحي عقيدتهم، وكذلك في البحرين فالمجلس الوطني يحتضن كافة التيارات ومنها التيار السلفي المتشدد ويساهم الأخير في الحياة النيابية بفاعلية.

إن إلغاء مؤسسات المجتمع المدني وحظر الحريات العامة وعدم حكم البلاد من خلال قانون محكم كما في غالبية الدول العربية والإسلامية يدفع القوى الاجتماعية والسياسية لاسيما ذات الطابع الديني التقليدي للاتجاه نحو التعصب والتطرف والتشدد ثم إلى الإرهاب إلا أن سرعة احتضاننا بجعل نشاطها في أيطار قانون واضح المعالم يضمن الحرية في النشاط وإنشاء مؤسسات مدنية ودينية فاعلة ومستقلة يقلل بنسبة كبيرة من مخاطر تحولها إلى قنبلة موقوتة ضد الشعب والدولة في آن واحد.

إن المجتمعات الغربية تعج بالتيارات والمنظمات المعروفة بإيمانها بالإرهاب وتميزها بالتعصب القومي والديني والعرقي ولكنها لا تستطيع تنفيذ مآربها بسبب القوة الكاسحة للحياة الديمقراطية في تلك المجتمعات مما يجعلها عديمة الفاعلية ضعيفة التأثير في مناطقها الجغرافية ومحيطها الشعبي فالممارسات الديمقراطية وازدهار الاقتصاد والتداول السلمي على السلطة يحرمها من أي عوامل الحشد الجماهيري اللازم ضد النظام الديمقراطي السائد.

وما يمكن اعتباره توصيات في هذه الصفحات لا يمكن انجازها في ظل أنظمة قمعية استبدادية تمارس الإرهاب والإرهاب المضاد كالأنظمة العربية، فالنظام السياسي العربي يجسد أعلى درجات الإرهاب والتعصب ضد مواطنيه، فالإرهاب سوا كان تقليديا أو غير تقليدي يعتبر سيد الموقف في الدول العربية، في عام ٢٠٠٣م أطلقت السلطات السورية سراح معتقلين سياسيين قضوا ما يقارب من الـ ٣٠ ثلاثين عاما في السجون والمعتقلات، الغالبية العظمة منهم

مناضلين سياسيين بعضهم ينتمي لحزب البعث الحاكم، ولم يناضل هؤلاء نظام البعث الحاكم في سوريا بالسلاح إنما بالقلم والرأي فكان أن قضوا معظم حياتم في قعر السجون، ويرزح إلى كتابة هذه السطور العشرات من سجناء الرأي والضمير والفكر في مصر وسوريا والخليج وتونس.

أثناء حكم نظام صدام فقد اللالاف من الشعب العراقي أرواحهم والمئات أجزاء من أجسادهم لمرد رأي أو تعبير عن ما في الضمير.

ولا أظن أن أنظمة بهذه الوحشية قابلة للإصلاح فأجهزتا جبلت على الفساد والإيغال في دماء شعوبا بحيث لا يمكن أن تؤدي مهامها دون الرشوة والمحسوبية وشرب دماء المعارضين، في العراق عندما غزت القوات الأمريكية هذا البلد وأسقطت نظام صدام الطاغوتي وأقامت نظام بديل سرعان ما استشرى الفساد في دوائره ومؤسساته وهذا أمر طبيعي، فآثار الحكم الشمولي لا بد أنا سوف ترتسم في العديد من مظاهر حياة وسلوكيات الشعب وإلا كيف نفسر حالات النهب والفوضى التي سادت العراق عقب سقوط النظام البائد وسرقة الآثار وانتشار جرائم السرقة والاغتصاب والسلب، إنا أثار سلبية رهيبة لحكم البعث المبني على الفساد والفوضى وسوء الإدارة.

بعض المعايير المفترضة لتصنيف الإرهاب

يمكن تصنيف الحكومة القائمة أو المنظمة الثورية باعتبارها «إرهابية» بمعايير ذات أسس قانونية رصينة مبنية على تعريف متفق عليه مستسقى من خلاصة المعرفة وبديهيات القانون والمنطق والقيم الأخلاقية و التجربة والحس والوجدان الغير مرتبطة بالمصالح قصيرة الأجل، من هذه المعايير:

ـ إن النظام ـ المنظمة ـ لا تؤمن بالآخر ولا تعترف بوجوده كموجود شرعي في الدائرة المحلية أو الإقليمية، رغم كونه كيان ولد بطريقة شرعية كعدم اعتراف المنظمات الوهابية بالشيعة على أنم منتمون للدائرة الإسلامية الواسعة.

ـ ومن ضمن هذه المعايير عدم إيمانا بالحرية والانفتاح والديمقراطية

الكلية أو الجزئية كأدوات حل للإشكاليات العالقة كالنظام الشيوعي في عهد ستالين الذي أقصى كافة القوى الدينية والمدنية في الاتحاد السوفييتي وأباد الملايين لاحتجاجهم على إدارته الاقتصادية والسياسية.

ـ ومن المعايير عدم إيمانها بالحوار مع القوى الأخرى نظرا لعدم اعترافها بوجودها وبالتالي فهي لا تؤمن إلا بالعنف لتحقيق أهدافها والانتصار على الآخرين ومن ضمن ذلك العنف المؤدي إلى الفزع والرهبة وهو ما تبتنى عليه الجرائم الإرهابية، كالنظام العراقي البائد الذي قتل اللالاف من معارضيه دون أدنى اعتراف بعراقيتهم وحقهم المشروع بممارسة المعارضة من داخل العراق وخارجه، وكإسرائيل التي تمارس سياسية الاغتيالات ضد المنظمات الفلسطينية المناهضة للاحتلال.

إن الاتهامات الموجهة للمسلمين لا سيما العرب على أنهم أكثر الأمم التي ينتشر فيها الإرهاب والتعصب حقيقة لا مجاز فيها أبدا، فتاريخ العرب في الجاهلية والإسلام ليس سوى أحرف كتبت بالدماء والرؤوس التي تساقطت جراء الصراعات السياسية والعقائدية والعرقية، إلا أن الغرب وبقية أمم العالم وان كانوا في هذا العصر قد تجاوزا ظاهرتي الإرهاب والتعصب كظواهر ونظم حاكمة في مجتمعاتهم وأنظمتهم السياسية والدينية إلا أنهم كانوا في القرون الأولى والوسيطة يعانون اشد المعاناة من الظواهر الإرهابية والأجواء الملبدة بالتعصب والتطرف وقد سقط آلاف الأبرياء جراء معارضتهم للنظام السياسي والديني الحاكم في تلك الحق السوداء.

فحري بالغرب في عصر القرية الكونية الواحدة أن يتخذ موقفا ايجابيا من المسلمين ويساعدهم على تجاوز هذه الظواهر المدمرة بدلا من توجيه الاتهامات الجوفاء، فالعالم اليوم أصبح كتلة واحدة لا بد من استقراره ورفاه بأجمعه وإلا فان تداعيات الأوضاع في هذا الجزء المهم من العالم سوف تلقي بظلالها القاتمة على الجزء الآخر.

إن المؤسسات الإسلامية للأسف الشديد مرتعا للمفاهيم المنغلقة، وأجواء التعصب والإرهاب والتطرف مسيطرة على أنشطتها وفعالياتها المختلفة ففي

مدينة قم مثالا ما تزال تمارس فيها كافة أنواع الاضطهاد ضد المرجعيات الدينية وأتباعها من غير القائلين بنظرية «ولاية الفقيه» وتمنع فيها وسائر أرجاء إيران الآراء المخالفة للفقيه الحاكم رغم كونهم فقهاء مماثلون.

إن هذا الوضع الغير منسجم مع تعاليم الديانة الإسلامية هو الذي يساهم في بروز التنظيمات والتيارات الإرهابية والمتعصبة التي لا تؤمن إلا بذاتها كحركة وحيدة على الساحة وتنظر إلى الآخرين بنظرة الاستحقار والعداء الصارخ وهذا ما تعاني منه المجتمعات الإسلامية الشيعية والسنية على السواء.

إن الإرهاب في عراق ما بعد صدام لم يكن وليد تراكمات تاريخية فقط بل كان نتيجة دعم عربي وغربي واسع النطاق فالتنظيمات المسلحة التي تحارب القوات الأمريكية والشعب العراقي في أن واحد تكونت نتيجة لحكم البعث الدموي الذي استمر لأكثر من ٣٥ عاما والذي اغرق البلاد في ظلام دامس تسبب بإصابة المجتمعات العراقية بالأمراض الاجتماعية والنفسية والسلوكية ظهرت آثارها المدمرة عقب سقوط النظام مباشرة، إن هذه التنظيمات التدميرية لا تعترف إلا بنفسها، وهي وان كانت تنظيمات إرهابية إلا إنها تطرح مخططات رهيبة في واقعها وجوهرها، أنها تريد إخراج القوات الأمريكية وإسقاط النظام العراقي الجديد بحجة كونه مرتبط بالاحتلال ويسيطر عليه الشيعة ومن تم تأسيس دولة إسلامية سنية الطابع والأداء دون الاعتراف بالشيعة الذين يمثلون أغلبية الشعب العراقي بحجة كون أسلامهم مشكوك في صحته وفقا لأقوال معظم علماء أهل السنة في الماضي والحاضر ومن تم تحويل العراق إلى مرتع للحركات الإسلامية المناهضة لأنظمتها في جميع دول العالم العربي والانطلاق منه لمقارعة تلك الأنظمة وإقامة دول إسلامية عالمية وفقا للقواعد الفقهية والعقائدية للإسلام السني.

الجدير بالذكر أن الإسلام في نظر تلك الجماعات الإرهابية يعني أسلام السنة فهم لا يعترفون بغير المذاهب الأربعة وقد أعلن زعيم تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين أبي مصعب الزرقاوي بأن إحدى خلايا تنظيمه هي التي قامت بقتل السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) وحاولت اغتيال أخيه السيد عبد العزيز

الحكيم لكونهما دخلا العراق مستعينين بالأمريكان ولأنه شيعيا رافضيا معاديا لأهل السنة، كما قتل التنظيم المئات من أبناء الشعب العراقي من موظفي الدولة العراقية المدنيين والعسكريين ووجهاء وشيوخ العشائر وكذلك العزل الأبرياء لكون أسلامهم غير معترف به لذلك فان دمائهم ليست ذات ثمن خاصة إذا ما كان في قتلهم قتل لجنود الاحتلال الأمريكي.

وينقل عن المعارض السعودي في لندن سعد الفقيه أن موقفه من الشيعة في الجزيرة العربية واضح وسوف يدعوهم لتجديد أسلامهم وإعلان براءتهم من مذهبهم المبتدع وإلا فان السيف الإسلامي سيجتز رقابهم!.

مما سبق نستنتج:

١ ـ الإرهاب والتعصب ظاهرتين برزتا في الذات الفردية والجماعية نتيجة لابتعاد الإنسانية عن رسالات السماء.

٢ ـ الأديان السماوية عموما والإسلام خصوصا بريئة من الإرهاب والتعصب وان مارسته أقوام من المسيحية واليهودية والإسلام.

٣ ـ الإرهاب يمارس من قبل الدولة أو الأفراد أو الجماعات أو التيارات أو التنظيمات لذا فانه لا يستثني النظام القائم كما يحلو للبعض القول بذلك لان شخصيات النظام السياسي هم في نهاية الأمر بشر يشتركون مع الأفراد العاديين في الظواهر الإنسانية.

٤ ـ ظاهرة الإرهاب تعكس أزمة حادة تمر بها الإنسانية جراء الصراعات ذا ت الطابع الأناني، إنها تعبير عن أزمة ضمير وأخلاق لا بد من النظر إليها بعين الحكمة والمسئولية مع كافة البشر دون استثناء.

٥ ـ لا بد من تعريف محدد وواضح ومتزن للظواهر الإنسانية وعلى رأسها الإرهاب وما يرتبط به.

٦ ـ إن انعدام المناخ الموافق للفطرة البشرية المتمثل بالديمقراطية يساهم في خلق حالة من الإحباط الشديد المساهم في تبلور مجموعة من السلوكيات الإنسانية الشريرة على رأسها الإرهاب.

إن مع انحسار ظاهرتي الإرهاب والتعصب وشيوع الانفتاح على الآخر

في مختلف الصعد والميادين في حياة المجتمعات الإسلامية سوف ستتحول أراء السلف المغلقة بالتعصب والدعوة لإراقة دماء المخالفين مجرد أراء أطلقت لدوافع معينة في زمان ومكان معين و نتيجة لصراعات محتدمة سياسيا وعقائديا وأنا في هذا العصر غير ملزمة الأتباع على نحو الإطلاق، وكل طرف من الأطراف الإسلامية سيجد في الطرف الآخر صدرا رحبا وفكرا واسعا يستطيع التعايش معه بكل سهولة ويسر وأمان دون الالتفات لما كان في الماضي السحيق لان التعايش والتجانس بين مذاهب وشرائح وفئات الشعب تتطلب عدم الركون للماضي البعيد فبناء المجتمع الجديد يتطلب أن يكون بناء الحاضر على أسس مما يحمله هذا العصر من قيم حضارية ومثل سمحاء وعلوم ومعارف لا حدود لها.

٢٢ يوليو ٢٠٠٥م

مصادر الكتاب

١ ـ القران الكريم.
٢ ـ نج البلاغة.
٣ ـ الإرهاب وحروب التحرير الوطنية د. إمام حسانين خليل.
٤ ـ التعددية والحرية في الإسلام الشيخ حسن الصفار.
٥ ـ أزمة الوعي الديني فهمي هويدي.
٦ ـ لب الألباب في طهارة أهل الكتاب السيد محمد حسن اللنكرودي.
٧ ـ الإرهاب الدولي بين التجريم والمكافحة لواء دكتور.حسنين المحمدي بوادي.
٨ ـ الإرهاب سرطان المتمعات المعاصرة اللواء عبد الرحمن أبكر الياسين.
٩ ـ السياسة بين الحلال والحرام تركي الحمد.
١٠ ـ شرح العقيدة الطحاوية الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
١١ ـ ستالين ولينين أسامة معتمد.
١٢ ـ الردة في الإسلام حسن الغريب.
١٣ ـ العبودية د. فاضل الأنصاري.
١٤ ـ الشيخية السيد محمد حسن آل الطالقاني.
١٣ ـ الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني د. إسماعيل احمد ياغي.
١٥ ـ من سجناء أهل البيت جهاد علي السيف.
١٦ ـ الإرهاب الدولي والنظام العالمي الجديد د. أمل يازجي د. محمد عزيز شكري.

١٧ـ عالم واحد للجميع اندراوس بشيه عادل تيودور خوري.
١٨ـ الأب الروحي والمافيا محمد احمد المنوفي.
١٩ـ تاريخ العرب في الجاهلية د. السيد عبد العزيز سالم.
٢٠ـ القانون الدستوري والأنظمة السياسية د. احمد سرحال.
٢١ـ التسامح بين شرق وغرب ترجمة إبراهيم العريش.
٢٢ـ الإسلام والعالم رائد قاسم.
٢٣ـ الضعفاء والروحين لابن حبان ـ تحقيق محمد إبراهيم زيد ـ دار الوعي ـ حلب ـ ١٣٩٦هـ ـ.
٢٣ـ كتاب السنة ـ عبد الله بن احمد بن حنبل ـ الجزء الأول ـ تحقيق الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ـ جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم العقيدة ـ ط١ ١٤٠٦هـ ـ، ١٩٨٦ م، دار ابن القيم ـ الدمام.
٢٤ـ أثار اختلاف الفقهاء في الشريعة الإسلامية ـ احمد بن محمد عمر الأنصاري ـ مكتبة الرشد ـ الرياض، أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية ـ تقريظ الدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي ـ عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٢٥ـ الموع شرح المهذب، للإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ط ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، وإدارة الطباعة المنيرية بدمشق.
٢٦ـ الانتقاء لابن عبد البر ـ اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة ـ الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ـ ط١ ١٤١٧هـ ـ، ١٩٩٧م.
٢٧ـ مغيث الخلق في ترجيح القول الحق، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، ط ـ محمد محمد عبد اللطيف بالقاهرة.
٢٨ـ قواعد التحديث عن فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق وتعليق محمد بجة البيطار، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢٩ ـ ترتيب المدارك ـ القاضي عياض ـ ج١ ص٢٤٤ ـ تحقيق د: احمد بكير محمود ـ نشر دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧.
٣٠ ـ الإرهاب الدولي. محمد عزيز شاكر.
٣١ ـ لسان العرب ابن منظور.
٣٢ ـ المنجد في اللغة والأعلام.
٣٣ ـ شرح النهج ابن أبي الحديد.
٣٤ ـ الكامل في التاريخ ابن الأثير.
٣٥ ـ البداية والنهاية ابن كثير.
٣٦ ـ الميزان في تفسير القران الطباطبائي.
٣٧ ـ بحار الأنوار.
٣٨ ـ صحيح مسلم.
٣٩ ـ صحيح البخاري.
٤٠ ـ الإمامة والسياسية ابن قتيبة الدينوري.
٤١ ـ تحرير الوسيلة الإمام الخميني.
٤٢ ـ المسائل المنتخبة السيد علي السيستاني.
٤٣ ـ معالم المدرستين العلامة مرتضى العسكري.
٤٤ ـ منهاج الصالحين السيد الخوئي.
٤٥ ـ منع تدوين الحديث الأسباب والنتائج.
٤٦ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة أسد حيدر.
٤٧ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية الإمام محمد أبو زهره.
٤٨ ـ التأويل الشيخ احمد البحراني.
٤٩ ـ منع تدوين الحديث الأسباب والنتائج السيد علي الشهرستاني.
٥٠ ـ المازر والفتن الطائفية في عهد الشيخ المفيد.
٥١ ـ موقف الشيعة من هجمات الخصوم.
٥٢ ـ حياة عمر بن الخطاب عبد الرحمن احمد البكري.

٥٣ ـ مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ابن مخنف.
٥٤ ـ تاريخ الطبري أبو جعفر جرير الطبري.
٥٥ ـ مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصفهاني.
٥٦ ـ فاجعة ألطف السيد محمد كاظم القز ويني.
٥٧ ـ مجموعة من الدوريات والمواقع الالكترونية.